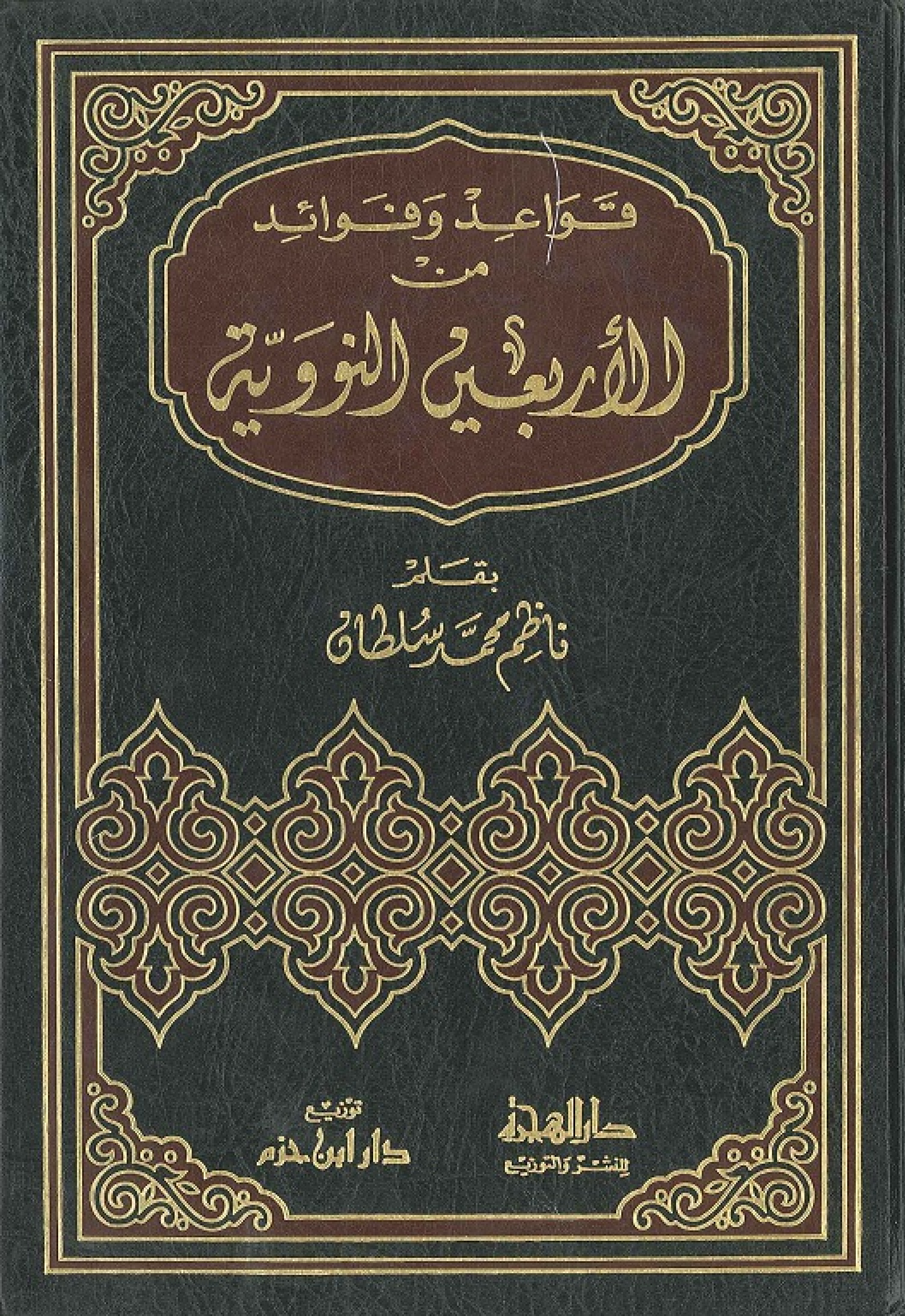

قواعد وفوائد
من
الأربعين النووية
بقلم
ناظم محمد سلطان
دار الهجرة
للنشر والتوزيع
توزيع
دار ابن حزم

قواعد وفوائد

من

الأربعين النووية

بقلم

ناظم محمد سلطان

دار الهجرة للنشر والتوزيع

توزيع

دار ابن حزم

الطَّبعَة السَّابِعَة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار الهجرة للنشر والتوزيع

هاتف: ٨٩٨٣٠٠٤ (٠٣) الثقبة - ٤٧٩٢٠٥٥ (٠١) الرياض

فاكس ٨٩٥٢٤٩٦ (٠٣)

ص . ب: ٢٠٥٩٧ - الثقبة ٣١٩٥٢

المملكة العربية السعودية

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[2].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾[3].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد.

الأربعون التي جمعها النووي - رحمه الله - لها شأن عظيم لأنها من

---

(١) آل عمران/ ١٠٢.

(٢) النساء/ ١.

(٣) الأحزاب/ ٧٠.

جوامع كلمه[1]، قال صلوات الله وسلامه عليه: «أعطيت فواتح الكلام، وجوامعه وخواتمه»[2] وكل حديث منها قاعدة من قواعد الدين، كما يحتوي كل حديث منها على فوائد عظيمة كثيرة، فالذي يوفق لحفظها وفهمها فقد حصل على نصيب عظيم من ميراث النبوة، وأصبح ملما بقدر لا بأس به من أمور دينه.

لذلك اهتم المسلمون قديما وحديثا بهذه الأربعين من حيث تحفيظها للنشء في المدارس، كما اهتم العلماء بتدريسها وشرحها للعامة والخاصة وممن قام بشرحها:

١ ـ جامعها النووي رحمه الله.

٢ ـ ابن دقيق العيد.

٣ ـ ابن رجب ـ جامع العلوم والحكم.

٤ ـ ابن حجر الهيتمي ـ فتح المبين بشرح الأربعين.

٥ ـ د. مصطفى البغا ومحيى الدين مستو ـ الوافي في شرح الأربعين النووية.

وعندما قمت بتدريس هذه الأربعين لبعض إخواني شعرت بفائدة عظيمة، أثناء التحضير والتدريس، فأحببت إيصال ما استفدت من هذه الأربعين لأخواني المسلمين عن طريق الكتابة، كما وفقت بإلقائها عن طريق المحاضرات في أكثر من موضع، لعلي أكون قد قدمت خدمة للمسلمين في ميدان الكتاب، لأن ميدان الكتابة عظيم الشأن في نشر علوم الدين.

كما هو ميدان عظيم لكسب الثواب والأجر أثناء الحياة وبعد الممات.

واعتمدت بشرحي لهذه الأربعين على أقوال العلماء الأعلام، لذلك سترى أني أنقل أقوالهم في شرح الحديث بالنص، وذلك لأني في بداية الطريق، وعلى البادئ أن يستنير بخطى من سبقه في ذلك الميدان.

---

(١) جوامع الكلم: قلة ألفاظ الكلام مع احتوائها على كثرة المعاني والفوائد.

(٢) صحيح الجامع للألباني / ١٠٦٩ والسلسلة الصحيحة / ١٤٨٣.

كما أن الدين لا يؤخذ إلا ممن عرف بمتانة دينه وكثرة حفظه، وفهمه النير الثاقب لنصوص الكتاب والسنة وفق منهج سلف هذه الأمة الذين أثنى الله ورسوله عليهم، والطريقة التي سلكتها في الشرح الآتي :

١ ـ بيان أهمية ومنزلة الحديث عند العلماء الأعلام .
٢ ـ وضع كل قضية تعرض لها الحديث تحت عنوان مناسب لها وشرحها بإيجاز.
٣ ـ وضع ترجمة قصيرة للعلماء الذي أنقل أقوالهم في شرح الحديث.
٤ ـ ذكر فوائد الحديث التي استنبطها العلماء بإيجاز.

وما قمت به جهداً متواضعاً، وذلك لكثرة المشاغل، وعدم التفرغ، أسأل الله أن ينفع به المسلمين، وأن يكتب لي به الأجر والثواب في حياتي وبعد مماتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ناظم محمد سلطان

الإمــام النــووي

نسبه وحياته :

هـو يحيى بن شرف بن مري حسن بن حسـين بن حـزام النـووي أبـو زكريا محيي الدين، ولد النووي في قرية نوى من قرى حوران جنـوبي دمشق، في شهر محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة من الهجرة.

ألقى الله في قلبـه ـ منـذ نعـومـة أظفـاره ـ حب الـدين والعلم، فحفظ كتـاب الله، وكان لتشجيـع والده لـه على طلب العلم دورا كبـيرا في تكـوين حياته العلمية.

ثقـافتـــه :

انتقل النووي إلى دمشق، وسكن في المدرسة الرواحية، وكان جادا في طلب العلم، فحفظ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع المهذب حفظا في باقي السنة على شيخه، وأخذ ينهل من العلم حتى أصبح علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة، واشتغل في التدريس، كما ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية .

أخــلاقــه :

النووي كان عـالمًا ربـانياً زاهـداً في الدنيـا ورعاً وقـوراً مهيباً، لا يكـاد يصرف ساعة من غير طاعة، وكان يأمر بـالمعروف وينهى عن المنكـر، وينصح الحكام ولا يخشى في الله لومة لائم، وله رسائل في ذلك لظاهر بيبرس ينصحه ويأمره ويعظه .

منزلتـه :

للنووي منزلة عظيمة، عرفها له علماء عصره، واعترف بها اللاحقون من خلال ،ثاره التي تركها.

قال الشيخ قطب الدين اليونيني : «كان أوحد زمانه في العلم والورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش»[1]. وقال الشيخ بن فرح: «الشيخ محي الدين قد صار إلى ثلاث مراتب، كل مرتبة لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال :ـ العلم، والزهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[2] .

وفـاتـه :

توفي النووي ـ رحمه الله ـ في الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة هجرية في قرية نوى، وقبره لازال يعرف إلى الآن، ورغم أن عمر النووي لم يتعد الخمسة والأربعين عاما إلا أنه كان عمراً مباركاً، قضاه في العبادة والطاعة والتعلم والتعليم والتأليف.

والمعروف أن النووي ـ رحمه الله ـ لم يتزوج، وذلك لأنه كان فقيراً معدماً يأتيه رزقه كفافاً من والديه[3].

الآثار التي خلفها الإمام النووي :

ترك النووي آثاراً علمية قيمة في مختلف علوم الدين، يعرف المطلع على هذه الآثار عظمة هذا الرجل، حيث أعطى قوة الحافظة مع الذاكرة مع الفهم الدقيق للنصوص، متضلع في أغلب العلوم، فله باع في الفقه والأصول والمصطلح واللغة وغيرها من الفنون، فمما خلف لنا من آثار :

---

(١) مقدمة صحيح مسلم/ طبعة الشعب.

(٢) المصدر السابق.

(٣) من أراد التوسع في ترجمة النووي فعليه الرجوع إلى :
١ ـ طبقات الشافعية للسبكي ٥/١٦٥.
٢ ـ الأعلام للزركلي ٩/١٨٥ .
(٣) النجوم الزاهرة ٧/٢٧٨ .

١ ـ المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.
٢ ـ تهذيب الأسماء واللغات.
٣ ـ منهاج الطالبين.
٤ ـ الدقائق.
٥ ـ تصحيح التنبيه في فقه الشافعية.
٦ ـ التقريب والتيسير في مصطلح الحديث.
٧ ـ حلية الأبرار وشعار الأخيار، ويعرف بالأذكار النووية.
٨ ـ خلاصة الأحكام من مبهمات السنن وقواعد الإسلام.
٩ ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.
١٠ ـ بستان العارفين.
١١ ـ الإيضاح... في المناسك.
١٢ ـ شرح المهذب للشيرازي.
١٣ ـ روضة الطالبين.. في الفقه.
١٤ ـ التبيان في آداب حملة القرآن.
١٥ ـ المقاصد... رسالة في التوحيد.
١٦ ـ مختصر طبقات الشافعية لابن الصلاح.
١٧ ـ مناقب الشافعي (مخطوط).
١٨ ـ المنثورات... في الفقه وهو كتاب فتاويه.
١٩ ـ مختصر التبيان... في المواعظ.
٢٠ ـ منار الهدى في الوقف والابتدا... في التجويد.
٢١ ـ المبهمات من رجال الحديث.
٢٢ ـ الأربعون حديثا النووية... وقد شرحها كثير من العلماء[١].

أسأل الله له المغفرة، وأن ينفعه بهذه الآثار القيمة، التي تركها يوم يلقاه، وأن ينفعنا بها.

---

(١) هذه القائمة من المصنفات ذكرها عبدالله أحمد أبو زينه في مقدمة شرح صحيح مسلم نشر مكتبة الشعب في القاهرة.

مقدمة الإمام النووي

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾[1]

« قرآن كريم »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مدبر الخلائق أجمعين، باعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى المكلفين لهدايتهم، وبيان شرائع الدين، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين، أحمده على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، الكريم الغفار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين، المكرم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين، سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين ، وآلِ كُلٍّ وسائر الصالحين .

أما بعد ،

فقد روينا عن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهم - من طرق كثيرات ومن روايات متنوعات أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء»[2] وفي رواية: «بعثه الله

---

(١) الحشر/ ٧.

(٢) انظر الأحاديث الضعيفة للألباني.

فقيهـا عـالمـا». وفي روايـة أبي الـدرداء: «وكنت لـه يـوم القيـامـة شـافعـا وشهيـدا»[1]. وفي رواية ابن مسعـود: «قيل لـه أدخـل من أي أبـواب الجنـة شئت». وفي روايـة ابن عمـر: «كتـب في زمـرة العـلماء، وحشر في زمـرة الشهداء».

واتفق الحفّاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه ،

وقـد صنف العـلماء ـ رضي الله عنهم ـ في هـذا البـاب مـا لا يحصى من المصنفـات، فـأول من علمتـه صنف فيـه عبـدالله بن المبـارك، ثم ابن أسلم الطوسي العالم الـرباني، ثم الحسن بن سفيـان النسائي، وأبـو بكر الآجـري، وأبو بكر بن إبراهيم الأصفهاني، والدارقطني، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو سعيد الماليني، وأبو عثمان الصابوني، وعبـدالله بن محمد الأنصاري، وأبو بكر البيهقي، وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين.

وقد استخرت الله ـ تعالى ـ في جمـع أربعين حديثـاً اقتداء بهؤلاء الأئمـة الأعـلام وحفـاظ الإسـلام، وقـد اتفق العلماء عـلى جـواز العمـل بـالحـديث الضعيف في فضائل الأعمال، ومع هـذا فليس اعتمادي عـلى هذا الحـديث بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[2] وقوله ﷺ : «نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»[3] ثم من العلماء من جمـع الأربعين في أصـول الـدين، وبعضهم في الفـروع، وبعضهـم في الجهـاد، وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخـطب وكلها مقـاصد صالحة رضي الله عن قاصديها ، وقد رأيت أربعين أهم من هذا كله، وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه، أو نحو ذلـك، ثم ألتزم في هـذه الأربعين أن تكـون صحيحة، ومعـظمها في صحيحي

---

(١) الأحاديث الضعيفة للألباني/ ٤٥٨٩.

(٢) انظر صحيح الجامع للألباني ٥٢٢٨/٥ .

(٣) انظر صحيح تخريج الترغيب للألباني ٨٦/١.

البخاري ومسلم . وأذكرها محذوفة الأسانيد ، ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى، ثم أتبعها بباب في ضبط ما خفي من ألفاظها ، وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات، وذلك ظاهر لمن تدبره، وعلى الله اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي ، وله الحمد والنعمة ، وبه التوفيق والعصمة .

تعقيب على مقدمة النووي
رحمه الله

أولا : قول النووي في مقدمة أربعينه : «وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال» هذا القول فيه نظر، هناك من العلماء من لا يرى العمل فيه لا في الأحكام ولا في الفضائل.

قال محمد جمال الدين القاسمي : «ليعلم أن المذاهب في الضعيف ثلاثة: الأول لا يعمل به مطلقا، لا في الأحكام، ولا في الفضائل. حكاه ابن سيد الناس في عيون الأثر، عن يحيى بن معين، ونسبه في فتح المغيث لأبي بكر بن العربي والظاهر أن مذهب البخاري ومسلم ذلك أيضا[٢]، يدل عليه شرط البخاري في صحيحه، وتشنيع الإمام مسلم على رواة الضعيف كما أسلفنا[٣]، وعدم اخراجهما في صحيحيهما شيئا منه.

وهذا مذهب ابن حزم - رحمه الله - أيضا حيث قال في الملل والنحل: «ما نقله أهل المشرق والمغرب، أو كافة عن كافة، أو ثقة عن ثقة، حتى يبلغ إلى النبي - ﷺ، إلا أن في الطريق رجلا مجروحاً بكذب أو غفله، أو مجهول

---

(١) يتساهل بعض العلماء رحمة الله عليهم - وخاصة المتأخرين منهم في إطلاق مثل هذه العبارة، «قد اتفق العلماء على كذا وكذا» فيجب التأكد من هذا القول قبل الإعتماد عليه، فكثير ما يطلق بعضهم مثل هذه العبارة والقول بخلافها.

(٢) وهذا ما فهمه ابن رجب - رحمه الله - من كلام مسلم في مقدمة صحيحه قال ابن رجب: «وظاهر ما ذكره مسلم في مقدمة كتابه يقتضي أنه لا تروى أحاديث الترغيب والترهيب إلا عمن تروى عنه الأحكام» صحيح الجامع للألباني ١/ ٤٥.

(٣) راجع قواعد التحديث للقاسمي صفحة ١١١.

الحال، فهذا يقول به بعض المسلمين، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الأخذ بشيء منه»أهـ[1] .

وما ذهب إليه هؤلاء العلماء عندي هو الراجح ـ والله أعلم ـ قال العلامة الألباني: «ذلك لأن الحديث الضعيف، إنما يفيد الظن المرجوح بلا خلاف أعرفه بين العلماء، وإذا كان كذلك فكيف يقال بجواز العمل به، والله عز وجل قد ذمه في غيرما آية من كتابه فقال تعالى: ﴿ إن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾[3] وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[4].

واعلم أنه ليس لدى المخالفين لهذا القول الذي اخترته أي دليل من الكتاب والسنة[5] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وما كان أحمد بن حنبل، ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن، فقد غلط عليه...»أ. هـ[6]. وأما من نقل عن أحمد وعبد الرحمن بن مهدي وعبدالله بن المبارك: «إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا»[7] قال أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ معنقاً على هذه العبارة: «فإنما يريدون به ـ فيما أرجح، والله أعلم ـ أن التساهل إنما هو في الأخذ بالحديث الحسن الذي لم يصل درجة الصحة، فإن الاصطلاح في

---

(١) قواعد التحديث ١١٣.

(٢) سورة النجم الآية ٢٨.

(٣) سورة النجم الآية ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم.

(٥) صحيح الجامع للألباني ١/٤٥.

(٦) القاعدة الجليلة ص ٨٤ المطبعة السلفية.

(٧) صحيح الجامع للألباني ١/٤٦.

التفرقة بين الصحيح والحسن لم يكن في عصرهم مستقرا واضحا، بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلا بالصحة أو بالضعف فقط»أ. هـ[1].

وقال الألباني كذلك معقبا على هذه العبارة: «هو أن يحمل تساهلهم المذكور على روايتهم إياها مقرونة بأسانيدها ـ كما هي عادتهم ـ هذه الأسانيد التي بها يمكن معرفة ضعف الأحاديث، فيكون ذكر السند مغنيا عن التصريح بالضعف، وأما أن يرويها بدون أسانيد، كما هي طريقة الخلف، ودون بيان ضعفها، كما هو صنيع جمهورهم، فهم أجل وأتقى لله عز وجل من أن يفعلوا ذلك والله تعالى أعلم»أ. هـ[2].

كما أن رواية الأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب لها آثار سلبية، منها:

١ ـ تؤدي إلى اختلاف في الموازنة بين الأعمال، فقد يقدم البعض التفرغ للذكر على الجهاد في سبيل الله، وذلك بسبب الأحاديث الضعيفة التي احتوت على الإفراط في الترغيب بالذكر.

٢ ـ غالبا ما يكون في هذه الأحاديث التي لا تصح الإسراف في الترغيب والترهيب، وهذا له آثار سلبية في تربية الفرد، يعرف ذلك المختصون في هذا الميدان.

لذلك حذر العلماء من مجالسة القصاصين، روى مسلم في مقدمة صحيحه عن عاصم قال: «لا تجالسوا القصاص»[3]. والقصاص هم الذين يعظون الناس في المساجد فيروون صحيح الحديث مع سقيمه دون تميز.

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٠١.
(٢) صحيح الجامع للألباني ١/٤٧.
(٣) قواعد التحديث للقاسمي ص ١١٣.

* شروط رواية الأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب

كثير ممن يرى جواز رواية الحديث الضعيف في الترغيب والترهيب لا يراعي الشروط، التي وضعها المحققون لرواية الحديث الضعيف في هذا المقام ، ولو راعى هؤلاء هذه الشروط ، لتقلص فشو الأحاديث الضعيفة بين المسلمين وهي كالآتي :

١ ــ أن يكون الضعف غير شديد ، فلا يجوز رواية الكذابين ، أو المتهمين بالكذب، أو ممن فحش غلطه، ومعنىٰ هذا الشرط أنه لا يجوز رواية الحديث الضعيف إلا ممن له علم في الحديث ، وهذا لا يتيسر إلى الجميع، لأنه كيف يعرف بأن هذا الحديث ليس بشديد الضعف ؟ إلا إذا كان له إلمام بعلم الحديث .

٢ ــ أن يندرج الحديث الضعيف تحت أصل معمول به، فالأحاديث الضعيفة التي تدعو إلى إحداث عبادة لم تثبت بحديث صحيح لا يجوز العمل بها.

قال الألباني معلقا على هذا الشرط: «فثبت أن العمل بالحديث الضعيف بهذا الشرط، شكلي، غير حقيقي، وهو المراد»[١].

٣ ــ أن لا يعتقد ثبوته عند العمل به، بل يعتقد الاحتياط، وللألباني كذلك تعقيبا على هذا الشرط: «أن الشرط الثالث يلتقي مع الشرط الأول في ضرورة معرفة الحديث، لكي لا يعتقد ثبوته.

وقد عرفت أن الجماهير الذين يعملون في الفضائل بالأحاديث الضعيفة لا يعرفون ضعفها، وهذا خلاف المراد أ. هـ[٢] .

ثانيا : قول النووي ـ رحمه الله ـ «ثم التزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة» بذل النووي ما في وسعه، واجتهد على أن تكون جميع أربعينه صحيحة، ولكنه لم يوفق لذلك، وهو في حالتيه مأجور إن شاء الله في صوابه

---

(١) صحيح الجامع ١/٥١.
(٢) المصدر السابق ١/٥١.

وخطأة لأنه مجتهد. فمن الأحاديث التي أوردها في أربعينه ظانا صحتها وهي ضعيفة.

١ ـ الحديث الثلاثون: «عن أبي ثعلبة الخشني - جرثوم بن ناشر - رضي الله عنه، عن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» حديث حسن رواه الدارقطني وغيره.

هذا الحديث ضعيف، ولقد بين سبب ضعفه المحدث ناصر الدين الألباني، في كتاب غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، وسيأتي الكلام عليه في حينه.

٢ ـ الحديث الحادي والأربعون عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» حديث حسن صحيح، رويناه من كتاب الحجة بإسناد صحيح.

هذا الحديث كذلك ضعيف وسيأتي الكلام عليه.

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِيءٍ مَا نَوىٰ، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[1].

منزلة الحديث :

هذا الحديث من جوامع كلمه ـ ﷺ ـ، قال عنه الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ «حديث النية يدخل في سبعين باباً من الفقه، وما ترك لمبطل، ولا مضار، ولا محتال حجة إلى لقاء الله تعالى»[2]. وقد قال النووي : «لم يرد الشافعي ـ رحمه الله ـ انحصار أبوابه في هذا العدد، فإنها أكثر من ذلك»[3] وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل إنه ثلث العلم وقال كذلك: «وهو على انفراده حقيق بأن يفرد له مصنف مستقل»[4] . ومن تعظيم العلماء لهذا الحديث رأوا البداءة به في مصنفاتهم وذلك تنبيهاً لطالب العلم إلى تصحيحه نيته. قال عبد الرحمن بن مهدي: «من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث»[4] عمل بهذه النصيحة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) فيض القدير ١/٣٢ .

(٣) العيني على البخاري ١/٢٢.

(٤) النيل ١/١٥٦.

(٥) العدة ١/٦٢.

البخاري - رحمه الله - بدأ به في صحيحه، وكذلك تقي الدين المقدسي في كتابه «عمدة الأحكام» وكذلك السيوطي في جامعه الصغير، والنووي في المجموع، وقال أبو عبيد: «ليس في الأحاديث أجمع ولا أغنى ولا أنفع ولا أكثر فائدة منه».

هل الحديث سيق بسبب مهاجر أم قيس ؟

ظن قوم أن الحديث سيق بسبب رجل، أراد الزواج من امرأة يقال لها أم قيس، فهاجر من أجل ذلك، ولم يبتغ بهجرته فضيلة الهجرة، واستدلوا بالآتي :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من هاجر يبتغي شيئا فإنما له ذلك» هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس، فكان يقال له مهاجر أم قيس، ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ: «كان فينا رجل خطب امرأة، يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس» قال الحافظ: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، لكن ليس فيه أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك، ولم أر في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك»[1].

فائـــدة :

وسبب بحث العلماء عن سبب صدور الحديث عنه ﷺ، لأن هذا يعين على فهم النص، كما حرص المفسرون على معرفة أسباب النزول، قال ابن دقيق العيد[2]: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم القرآن»[3] وقال ابن تيمية

---

(١) الفتح: ١/ ١٠.

(٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح تقي الدين القشيري ٦٢٥ - ٧٠٢هـ المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد. قاض من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد أصل أبيه من منفلوط (بمصر) انتقل إلى قوص. وولد على ساحل البحر الأحمر وتوفي بالقاهرة.
التراجم الآتية في الكتاب معظمها منقول من الموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف في الكويت بتصرف مني.

(٣) إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام ١/ ٨١.

كذلك :ـ « معرفة سبب النزول تعين على معرفة الآية فإن العلم بالسبب علم بالمسبب »[1] وكذلك معرفة سبب صدور الحديث عنه ﷺ معين على فهمه .

معنى الحديث :

١ ـ قوله ﷺ : «إنما الأعمال» هذا التركيب يفيد الحصر، وذلك لوجود «إنما» حيث هي من صيغ الحصر[2]، ولأن الأعمال جمع محلى باللام وهذا يفيد الاستغراق المستلزم للقصر. وهذا فهم ابن عباس رضي الله عنه. في مثل هذه التراكيب كما في «إنما الربا بالنسيئة» ولم يعارض من قبل الصحابة في فهمه لهذا التركيب للحصر، وإنما عورض بدليل آخر يقتضي التحريم.

قال ابن دقيق العيد: «وفي ذلك اتفاق على أنها للحصر»[3].
ومعنى الحصر فيها: «إثبات الحكم في المذكور، ونفيه عما عداه».

٢ ـ تأتي «إنما» فتفيد الحصر المطلق، وتارة تقتضي حصرا مخصوصاً، ويفهم ذلك بالقرائن والسياق، فمثلا قوله جل وعلا ﴿إنما أنت منذر﴾[4].

الظاهر من الآية، حصر مهنة رسول الله ﷺ بالنذرة، والأمر ليس كذلك، فالرسول لا تنحصر مهمته بالنذرة، بل له أوصاف أخرى، كالبشارة وغيرها وكذلك قوله: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي»[5] فمعناه حصر البشرية من حيث الإطلاع على بواطن الأمور لا في كل شيء، وكذلك قوله

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الحصر: أسلوب من أساليب البلاغة عند العرب وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص وله قواعد انظر كتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم وأمين مصطفى ص ٢١٦ والحصر في اللغة ضيق الصدر ومن معانيه كذلك الحبس نقول: حصره المرض عن السفر. أي حبسه.
(٣) أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١/٦٤.
(٤) الرعد/ ٧.
(٥) الجامع الصحيح للألباني ٢٣٣٨.

جل وعلا: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾[1] والحصر هنا من حيث آثارها، وإلا قد تكون سبباً إلى الخيرات، أو يكون من باب التغليب للأكثر في الحكم.

قال ابن دقيق العيد: «فإذا وردت إنما فاعتبرها[2]، فإن دل السياق المقصود من الكلام على الحصر في شيء مخصوص فقل به وإن لم يدل على الحصر في شيء مخصوص فاحمل الحصر على الإطلاق[3].

وهذا الحكم مع كل أدوات القصر المعروفة.

٣ ـ والحديث يشمل جميع أفعال الجوارح الأفعال والأقوال، لأن البعض خصص الأعمال بما لا يكون قولا، وهذا فيه بعد، كما قال ابن دقيق العيد، كما أن ابن عباس يرى القول من العمل، ولم يخرجه كما أخرجه بعض المتأخرين، قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير «لعلي أعمل صالحا»[4]، إنه قول لا إله إلا الله كما أن الترك من الأعمال لأنه عمل اختياري، وهو يختلف باختلاف النيات، فإن ترك الشر لله، يثاب على الترك، وإن ترك الخير الواجب بلا عذر فهو شر ويلام. ويشهد لما قلت، قول الله عز وجل: ﴿إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة ـ إلى قوله ـ وإن تركها من أجلي فاكتبوها حسنة﴾[5] ومفهومه إذا لم يترك من أجل الله، لم تكتب حسنة، وإن تركها من أجل الخوف من الخلق يأثم. ولكن يستثنى من التروك بعض الأعمال، كما بينت العلماء، مثل إزالة النجاسات، ورد المضمونات، فإنها لا تتوقف صحتها على النية، ولكن يتوقف الثواب فيها على نية التقرب .

٤ ـ قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» هنا لابد من تقدير المضاف المحذوف، واختلف في تقديره فالذين اشترطوا وجوب النية قدروه بصحة الأعمال

---

(١) محمد ٣٦.

(٢) قوله فاعتبرها أي على إطلاقها.

(٣) أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٦٧/١.

(٤) المؤمنون/ ١٠٠.

(٥) رواه البخاري انظر الفتح ٤٦٥/١٣.

بالنيات أو ما يقاربها. والذين لم يشترطوا النية، قدّروه بكمال الأعمال بالنيات، وهذا يرد لأن النية شرط في قبول العمل، كما قال الصنعاني، فالقول الأول أرجح لأن الصحة أكثر لزوما للحقيقة من الكمال، فالعمل عليها أولى وبهذا قال ابن دقيق.

٥ ــ قوله ﷺ: «وإنما لكل امرىء ما نوى» من نوى شيئا يحصل له سواء عمله، أو منعه عنه مانع يعذر به شرعا، ويشهد لذلك أحاديث كثيرة، لمن نوى خيرا ولم يعمله منها حديث «رجل آتاه الله مالا وعلما، فهو يعمل بعمله في ماله، وينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول: «لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل العمل الذي يعمل، فهما في الأجر سواء»[١] وكل ما لم ينوه لم يحصل له ولكن يستثنى من ذلك بعض المسائل المعروفة لمن تتبعها، مثل من نوى الحج في غير أشهره فإنه ينقلب إلى عمره.

والخلاصة كما قال ابن رجب[٢] فالعمل في نفسه صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه المقتضية لوجوده، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب النية التي صار بها العمل صالحا أو فاسدا أو مباحا[٣].

٦ ــ قوله ـ ﷺ ـ «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» قال ابن رجب في شرح هذا باختصار وبتدخل مني: لما ذكر ـ ﷺ ـ أن الأعمال بحسب النيات، وأن حظ العامل من عمله نيته من

---

(١) رواه ابن ماجه/ ٤٢٢٨ وأحمد ٤/ـ ٢٣.

(٢) ابن رجب ٧٣٦ ـ ٨٩٥ هـ هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ولد ببغداد وتوفي بدمشق، كان محدثا حافظا فقيها أصوليا مؤرخا، تمكن في علم الحديث، وصار له مكانة فيه، تتلمذ على يديه غالب أصحابه الحنابلة، من آثاره العلمية:

ـ تقرير القواعد وتحرير الفوائد المشهور بقواعد ابن رجب في الفقه.

ـ جامع العلوم والحكم وهو شرح لخمسين حديثا من جوامع الكلم.

ـ شرح سنن الترمذي ومعه شرح العلل آخر أبوابه.

ـ ذيل طبقات الحنابلة.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٧ ـ ٨.

خير أو شر، وهاتان كلمتان جامعتان، وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيء . ذكر بعد ذلك مثلا من الأمثال على الأعمال، التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات، وكأنه يقول سائر الأعمال على حذو هذا المثال.

والهجرة حقيقتها الترك، والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره، فترك بلاد الكفر إلى دار الإسلام يسمى هجرة وهذه باقية، وترك مكة إلى الحبشة سمي هجرة وترك مكة أو غيرها إلى المدينة سمي هجرة، وترك ما نهى الله عنه وزجر سمي هجرة كذلك.

فبين صلوات الله وسلامه عليه، أن الهجرة تختلف باختلاف مقاصد المكلف، فمن هاجر حبا لله تبارك وتعالى ولرسوله، ورغبة في التفقه في دينه، وإظهاره حيث كان يعجز عن ذلك في ديار الكفر، فهذا هو المهاجر لله ولرسوله بحق.

ومن كان مقصد هجرته حظوظ الدنيا، وشهواتها من نساء ومال وجاه وغير ذلك، فحظه من هجرته الدنيا وحظوظها الفانية، وقوله ﷺ: «إلى ما هاجر إليه» فيه تحقير واستهانة لما طلبه من الدنيا، حيث لم يذكره بلفظ.

ويقاس على الهجرة سائر الأعمال من حج وعمرة وجهاد وغيرها، فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها.

٧ ــ كلام العلماء حول النية يقع في وجهين :

أ ــ تميز العبادات عن العادات، فالإمساك عن الأكل يكون حمية للتطبيب، وقد يكون لعدم القدرة على الأكل، وقد يكون تركا للشهوات لله عز وجل، فالصوم يحتاج إلى نية حتى يتميز عن غيره، وكذلك غسل الجنابة بحاجة إلى نية، حتى يتميز من غسل التبرد والنظافة. تميز العبادات عن بعضها البعض، فالصلاة بحاجة إلى نية، حتى تتميز عن غيرها من النافلة، والصيام منه الفرض، والفرض منه صوم رمضان والنذر والكفارات، ومنه

النافلة كصوم يوم عرفة وعاشوراء وصوم الإثنين والخميس، فلابد من نية، حتى يتميز كل نوع على حدة، والصدقة منها الفرض والكفارات والنافلة، وكذلك لابد من نية حتى تتميز.

ب ـ تميز المقصود بالعمل، هل هو الله عز وجل وحده، أم معه غيره، وهذه النية التي خاض بها علماء السلوك[1]، لذلك صنف أبو بكر بن أبي الدنيا مصنفا سماه «كتاب الإخلاص والنية».

تعريف النية :

أ ـ في اللغة : استخدم العرب النية بمعنى القصد، لذلك يقولون: نوى الشيء ينويه نيَّة ونيَه. . وانتواه: قصده ونوى المنزل، وانتواه كذلك».

ويقولون: نواك الله بالخير قصدك به، وأوصلك إليه وقال: أعرابي من بني سليم لابن له سماه «إبراهيم» ناويت به إبراهيم، أي قصدت قصده، فتبركت باسمه».

استخدمت النية كذلك بمعنى الشيء المقصود إليه «والنية الوجه الذي يذهب فيه» وقد يراد بها الشيء الذي يصاحبه القصد أويسبقه.

وكذلك استخدمت النية بمعنى العزم، يقول صاحب المصباح المنير: « خصت النية في غالب الاستعمال بعزم القلب على أمر من الأمور» وكذلك في لسان العرب: نويت نية ونواة، أي عزمت وانتويت مثله»[2].

ب ـ في الشرع : لم يضع الشرع للنية تعريفا خاصا بها ومن وضع لها تعريفا خاصا بها يختلف عن معناها اللغوي لم تكن له حجة قوية يستند عليها كما بين ذلك الدكتور عمر الأشقر[3].

---

(١) أقصد المتبعين لا المبتدعين من المتصوفة وغيرهم.

(٢) هذا باختصار وتدخل من كتاب مقاصد المكلفين د. عمر الأشقر.

(٣) في كتابه مقاصد المكلفين ص ٣٤.

لذلك ذهب جمع من العلماء إلى تعريفها بمدلولها اللغوي منهم النووي رحمه الله قال: «النية هي القصد إلى الشيء والعزيمة على فعله، ومنه قول الجاهلية: نواك الله بحفظه، أي قصدك به»[1]. ومنهم القرافي[2] قال رحمه الله: «هي قصد الإنسان بقلبه ما يريده بفعله»[3] ومنهم الخطابي قال رحمه الله: «النية قصدك الشيء بقلبك، وتحري الطلب منك له، وقيل عزيمة القلب»[4].

قال الدكتور عمر الأشقر: وتعريف النية بالقصد والعزم مذهب قوي يدل على مدلول الكلمة في لغة العرب».

ومنهم من عرفها بالإخلاص كما قال بعضهم: «واخلاص الدين هو النية»[5] لأن النية تطلق ويراد بها قصد العبادة، ويراد بها قصد المعبود وهذا تدل عليه اللغة كما قدمت آنفا.

العزم والقصد والفارق بينهما :

فالعزم بالفعل المستقبل، والقصد بالفعل الحاضر المتحقق؛ وهذا ما قال به إمام الحرمين رحمه الله «النية إن تعلقت بفعل مستقبل فهي عزم، وإن تعلقت بفعل حاضر سميت قصدا تحقيقا»[6].

---

(١) مواهب الجليل ٢/٢٣٠ وفيض القدير ١/٣٠.

(٢) القرافي (٦٢٦ - ٦٨٤هـ) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو القاسم، أصله من قبيلة صنهاجه البربرية من المغرب، نسبته إلى القرافة وهي المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي بالقاهرة، ولد بمصر، ونشأ فيها وتوفي فيها، شيخ المالكيين في زمنه، آثاره العلمية: ١ - الفروق. ٢ - الذخيرة. ٣ - شرح تنقيح الفصول في الأصول. ٤ - الأحكام في تميز الفتاوى من الأحكام.

(٣) الذخيرة ١/١٣٤ ومواهب الجليل ٢/٢٣٠.

(٤) العيني على البخاري ١/٣ ومنتهى الامال .

(٥) مجموع الفتاوى ٢٦/٣١.

(٦) نهاية الأحكام ٧.

أما العلامة ابن القيم رحمه الله فيرى النية هي القصد بعينه إلا أن هناك فرق بينهما :

١ ـ القصد عنده معلق بفعل الفاعل نفسه وبفعل غيره والنية متعلقة بفعل الفاعل نفسه وعلى هذا يكون القصد عنده أعم من النية.

٢ ـ القصد يكون بما هو مقدور على تحقيقه والنية بما هو مقدور وغير مقدور على تحقيقه وبناء على هذا تكون النية عنده من هذا الحيث أعم من القصد.

حكم التلفظ بالنية :

الجهر بالنية بدعة منكرة، لأنه لم يثبت في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ ما يدل على مشروعيتها، ومما هو معلوم أن الأصل بالعبادات التحريم، ولا تثبت العبادة إلا بنص.

قال جمال الدين أبو الربيع سليمان بن عمر الشافعي : «الجهر بالنية وبالقراءة خلف الإمام ليس من السنة، بل مكروه فإن حصل به تشويش على المصلين، فحرام، ومن قال بأن الجهر بلفظ النية من السنة فهو مخطِئ ، ولا يحل له ولا لغيره أن يقول في دين الله تعالى بغير علم»[١].

وقال الشيخ علاء الدين العطار: «ورفع الصوت بالنية مع التشويش على المصلين حرام إجماعا ومع عدمه بدعة قبيحة، فإن قصد به الرياء كان حراماً من وجهين كبيرة من الكبائر، والمنكر على من قال بأن ذلك من السنة مصيب، ومصوبه مخطئ ، ونسبته إلى دين الله اعتقادا كفر، وغير اعتقاد معصية، ويجب على كل مؤمن تمكن من زجره، زجره ومنعه وردعه، ولم ينقل هذا النقل عن رسول الله، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن أحد ممن يقتدي به من علماء الإسلام[٢].

---

(١) الأعلام ٣/١٩٤.

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى ١/٢٥٤.

وبـذلـك أفتى العـلامـة محمـد بن الحـريــري الأنصـاري، وابن رجب وغيرهم، مما تقدم نخلص أن الجهر بالنية بدعة منكرة بعيدة عن هدي رسول الله ﷺ.

أثر النية الصالحة على المباحات :

«يعرف علماء الأصول المباح بالآتي: هو الذي لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، ويكون فعله وتركه سيان».

ولكن المباح إذا خالطته النية الصالحة، يكون بـذلك قـربه ويثاب فاعله على ذلك، فمن أكل أو شرب ونوى التقوى على طاعة الله ورسـوله. يثـاب على هذه النية وكذلك من نوى بكسبه كف وجهه عن المسـألة، والإنفـاق على نفسه وعياله وهكذا.

ذهب إلى القول بهذا جمع من أهل العلم، منهم ابن القيم الجوزية قال رحمـه الله: «إن خواص المقـربـين هم الـذين انقلبت المبـاحـات في حقهم إلى طـاعات، وقـربات بـالنية فليس في حقهم مبـاح متسـاوي الـطرفين، بـل كل أعـمالهم راجحة»[1]. ومنهم ابن الحاج المـالكي[2] قـال رحمه الله تعـالى[3]: «المبـاح ينتقل بـالنية إلى النـدب، وإن استـطعنـا أن ننـوي بـالفعـل نيـة أداء الواجب، كان أفضل من نية الندب، للحديث: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضتـه عليه»[4]. ومنهم العـلامة النـووي قال رحمـه الله معقباً على الحديث الخامس والعشرين من أربعينه: «وفي هذا دليل على أن المباحات

---

(١) مدارج السالكين ١/١٠٧.

(٢) ابن الحاج (؟ ـ ٧٣٧) هـ هو محمـد بن محمد بن محمـد، أبو عبـدالله العبدري من قبيلة عبـد الدار، من أهل فاس، بلدة بالمغرب، كان خبيرا بمذهب المـالكية، اشتغـل بالقضـاء، أصبح ضريرا في آخر حياته، من آثاره العلمية: ١ ـ مـدخل الشرع الشريف. ٢ ـ شمـوس الأنوار. ٣ ـ كنوز الأسرار.

(٣) المدخل من ٢١ ـ ٢٢.

(٤) رواه البخاري كتاب الرقاق ٧/١٩٠ وانظر السلسلة رقم ١٦٤٠

تصير طاعات بالنيات الصالحات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعا من النظر إلى الحرام، أو الفكر فيه، أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد»[١].

ويشهد لما ذهب إليه هؤلاء العلماء الأجلاء عليهم سحاب الرحمة قوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم أمرأتك[٢]. قال النووي معقبا على هذا الحديث: «وضع اللقمة في فم الزوجة يقع غالبا في حال المداعبة، ولشهوة النفس في ذلك مدخل ظاهر، ومع ذلك إذا وجد القصد في تلك الحال إلى ابتغاء الثواب حصل له بفضل الله»[٣].

وقال السيوطي[٤]: «ومن أحسن ما استدلوا به على أن العبد ينال أجرا بالنية الصالحة في المباحات والعادات، قوله ﷺ: «ولكل امرىء ما نوى» فهذه يثاب فاعلها إذا قصد بها التقرب إلى الله، فإن لم يقصد ذلك فلا ثواب له...»[٥]. وقوله ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أليس كان يكون عليه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال له أجر»[٦].

---

(١) شرح مسلم ٣/٤٤.
(٢) البخاري جزء ١ ص٢٠ شرح مسلم جزء ٤ص ١٦٠.
(٣) الفتح ١/١٣٧.
(٤) السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١) هـ هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين أبو الفضل، من بلدة أسيوط في مصر، نشأ في القاهرة يتيما ـ عندما بلغ الأربعين ترك الإفتاء والتدريس وتفرغ للعبادة والتأليف، من آثاره العلمية: ١ ـ الأشباه والنظائر. ٢ ـ الحاوي للفتاوى. ٣ ـ الإتقان في علوم القرآن.
(٥) شرح السيوطي على النسائي ١/١٩.
(٦) شرح مسلم كتاب الزكاة جزء ٣ ص ٤٤ وأحمد.

ضوابط تحويل المباح إلى قربة :

١ ـ لا يجوز أن تتخذ المباحات قربة في صورتها وذاتها، كمن يظن أن المشي أو الأكل أو الوقوف أو اللباس قربة لله في ذاته ، لذلك أنكر ـ ﷺ ـ على أبي إسرائيل عندما رآه قائماً في الشمس، فسأل عن سبب وقوفه فقيل له : «هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم » . قال النبي ﷺ : « مروه فليتكلم، وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه »[١] .

٢ ـ أن يكون المباح وسيلة إلى العبادة :

قال ابن الشاط: «إذا قصد بالمباحات التقوى على الطاعات، أو التوصل إليها كانت عبادة، كالأكل والنوم واكتساب المال. . .»[٢] ويرى العز بن عبد السلام[٣] أن المسلم يثاب في هذه الحالة على القصد دون الفعل[٤].

وقال ابن تيمية: «ينبغي ألا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة، ويقصد الإستعانة بها على الطاعة»[٥].

٣ ـ أن يكون الأخذ به على أنه تشريع إلهي :

ينبغي للمسلم أن يأخذ المباح معتقدا أن الله عز وجل أباحه له، والله يحب أن تأتى رخصة، كما تأتى عزائمه، كما أن الله ـ عز وجل ـ لا يرضى بالترهبن، والغلو والتشدد وعلى هذا يظهر المسلم عبوديته لربه، فهو يسير وفق نظام متكامل، فالحلال ما أحل الله والحرام ما حرم، والمباح ما أباحه، فالذي ينظر للمباح على هذا الأساس يثاب إن شا الله.

---

(١) رواه البخاري بهذا اللفظ وليس فيه في الشمس ورواه أبو داود وابن ماجه وغيرهم.

(٢) غمز عيون البصائر ٣٤/١.

(٣) عز الدين بن عبد السلام (٥٧٧ ـ ٦٦٠) هـ هو عبد العزيز بن عبد السلام أبي القاسم بن الحسن السلمي، ولد بدمشق، درس وخطب بالجامع الأموي، ذهب إلى مصر واشتغل بالقضاء وتولى الخطابة، فقيه شافعي مجتهد، من آثاره العلمية: ١ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام. ٢ ـ الفتاوى. ٣ ـ التفسير الكبير.

(٤) قواعد الأحكام ١٧٨/١ .

(٥) مجموع الفتاوى ٤٦٠/١٠، ٤٦١ .

٤ ـ أن يكون المباح مباح بالجزء، ولكن مطلوب بالكل سواء على الندب أو الوجوب. فمثلا يباح للعبد أن يترك الطعام والشراب أحيانا، ويجهد نفسه بذلك ، ولكن لا يجوز له أن يتمادى في ذلك حتى يهلك نفسه ، ففي هذه الحالة يجب عليه أن يأكل ويشرب بما ينقذ به نفسه، وإذا لم يفعل يستوجب الوعيد في ذلك .

ولو قدر للناس ان امتنعوا عن الزواج، والتجارة والزراعة والصناعة يعدون بذلك آثمين، لأن هذه الأشياء مطلوبة بالكل[1] .

من فوائد الحديث :

١ ـ في الحديث دليل على أن النية من الإيمان، لأنها عمل القلب، والإيمان عند أهل السنة والجماعة تصديق بالجنان، ونطق باللسان وعمل بالأركان. لذلك ساق الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب الإيمان.

٢ ـ كما في الحديث دليل على أنه يجب على المسلم قبل القدوم على العمل أن يعرف حكمه، هل هو مشروع أم لا، هل هو واجب أم مستحب، لأن في الحديث العمل يكون منتفيا إذا خلا من النية المشروعة فيه.

٣ ـ والحديث يدل على اشتراط النية في أعمال الطاعات، وأن ما وقع من الأعمال بدونها غير معتد به.

---

(١) أقول من باب نسب الفضل إلى أهله لقد استفدت استفادة عظيمة في شرح هذا الحديث من كتاب د. عمر الأشقر «مقاصد المكلفين حتى إنك سترى بعض النقاط التي مرت مختصر من كتابه فجزاه الله عنا خير الجزاء.

الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ ـ رَضي الله عَنهُ ـ قَالَ: بَينما نَحنُ جُلوسٌ عِنْدَ رَسولِ الله ﷺ ذاتَ يومٍ إِذْ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعْرِ، لا يُرى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفرِ ولا يَعرِفُهُ منا أَحدٌ، حَتى جَلَسَ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ فَأَسْنَد رُكْبَتَيْهِ إِلىٰ رُكْبَتَيهِ وَوَضعَ كفيهِ على فَخذَيهِ قَالَ: يَا مُحمدُ أَخْبِرْني عَن الإسلامِ؟ فقَالَ رسولُ الله ﷺ: «الإِسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ الله وأَنَّ محمَّدا رسولُ الله، وتُقيمَ الصلاةَ، وَتُؤتِيَ الزكَاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبيلًا»، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فعَجبْنا لَهُ يَسْأَلُهُ ويصدِّقُهُ، قالَ: فَأَخْبِرني عن الإيمانِ؟ قالَ: «أَنْ تؤمنَ بالله وملائكتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسلِهِ واليومِ الآخِرِ، وَتؤمنَ بالقَدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: صدقتَ، قال: فأخبرني عنِ الإحسانِ؟ قال: «أن تعبدَ الله كأَنَّكَ تَراهُ، فإن لم تكنْ تراهُ فإنه يراكَ» قال: فأخبرني عن الساعةِ؟ قالَ: «ما المسؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السائِلِ»، قال: فأخبرني عن أَمارَاتِها؟ قالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبتَها، وَأَنْ تَرَى الحُفاةَ العراةَ العالةَ رعاءَ الشاء، يتطاوَلُونَ في البُنْيانِ»، قال: ثم انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مليًا، ثم قال لي: «يا عمرُ أَتَدْرى مَن السائِلُ؟» قُلْتُ: الله ورسولُهُ أَعْلَمُ؟ قالَ: «فإِنَّهُ جبريلُ أَتاكُمْ يُعَلِّمُكم دينَكُم»[1].

---

(١) رواه مسلم جزء ١ ص ١٣٣.

منزلة الحديث :

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: هذا حديث عظيم، اشتمل على جميع وظائف الأعمال الظاهرة والباطنة، وعلوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه، لما تضمنه من جمعه علم السنة، فهو كالأم للسنة، كما سميت الفاتحة «أم القرآن»، لما تضمنته من جمعها معاني القرآن»[١].

وقال ابن رجب: «وهو حديث عظيم الشأن جدا. يشتمل على شرح الدين كله. ولهذا قال ﷺ في آخره: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»أ. هـ[٢]. وقال النووي رحمه الله تعالى: «واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواع من العلوم، والمعارف، والآداب، واللطائف، بل هو أصل الإسلام»[٣] قلت ولذلك ساقه في أربعينه رحمه الله.

الإسلام :

الإسلام والاستسلام باللغة الانقياد، وفي الشرع إظهار الخضوع وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم، ويستدفع المكروه[٤].

وفي الحديث الذي بين أيدينا، عرفه حبيب رب العالمين عليه صلوات الله وسلامه: بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل، فالتلفظ بالشهادتين عمل اللسان، والصلاة والصوم عمل بدني، وزكاة المال عمل مالي والحج بدني مالي .

وفيه أن جميع الواجبات الظاهرة داخلة فيه وإنما ذكر الصلاة وباقي الأركان، لأنها الأصول التي يبنى عليها.

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق ص ٨.

(٢) الوافي في شرح الأربعين ص ١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي كتاب الإيمان ١/١٣٥ امارات الساعة.

(٤) من لسان العرب جزء ١٢ ص ٢٩٣.

ومما يشهد أن كل الواجبات داخلة في مسمى الإسلام، قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١].

كما أنّ ترك المحرمات داخل في مسمى الإسلام. قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»[٢].

الإيمان :

الكلام حول الإيمان يطول ولكن سأتناول بعض النقاط الآتية :

١ ـ أصل الإيمان، التصديق، وعرفه - ﷺ - في هذا الحديث بالإيمان لما بطن من الاعتقادات، كما ذكر ربنا تبارك وتعالى الإيمان في كتابه بهذه الأصول في مواضع، أذكر منها قوله تعالى: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾**[٣] وما عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ممن أدركهم، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

٢ ـ الإسلام والإيمان : قال ابن رجب: «وأما تفريق النبي بين الإيمان والإسلام في تعريفه. وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي صححه المحدث الألباني المشكاة/ ٤٨٣٩ وسيأتي شرح هذا الحديث بالتفصيل إن شاء الله.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان ، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراد، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي»أ. هـ[1].

إذا قرن في نص بين الإيمان والإسلام يكون بينهما فرق ، فيكون الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، ويكون الإسلام بمعنى الإستسلام لله والخضوع والإنقياد له بالعمل .

وعلى هذا قال العلماء: كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، لأن العبد قد ينقاد بالأعمال الظاهرة، كالصلاة والحج والزكاة وغيرها تظاهرا ونفاقا،

وقد ينقاد وإيمانه وتصديقه ضعيف، كما قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله، لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم﴾[2].

بين ابن عباس رضي الله عنه أنهم لم يكونوا منافقين بالكلية، بل كانوا ضعيفي الإيمان.

٣ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة أن العمل من الإيمان، وذلك للأدلة المستفيضة وأذكر منها قوله جل وعلا: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾[3] بين جلّ وعلا بأن المؤمن من كانت هذه صفاته، إيمان بالقلب، وعمل بالواجبات.

---

(١) جامع العلوم والحكم: ٢٦.
(٢) الحجرات: ١٤.
(٣) الأنفال: ٢.

وقوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

فإماطة الأذى عمل، وعده ﷺ من الإيمان،

قال ابن بطال[2]: وهذا المعنى أراد البخاري - رحمه الله - إثباته في كتاب الإيمان، وعليه بوب أبوابه كلها. فقال باب أمور الإيمان، وباب الصلاة من الإيمان، وباب الزكاة من الإيمان، وباب الجهاد من الإيمان، وسائر أبوابه وإنما أراد الرد على المرجئة في قولهم أن الإيمان قول بلا عمل، وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم، ومخالفتهم للكتاب والسنة، ومذاهب الأئمة»[3].

٤ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾[4] وقوله: ﴿وزدناهم هدى﴾[5] وقوله: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾[6] وغيرها من الأدلة.

قال ابن بطال: «فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص، قال: فإن قيل الإيمان في اللغة التصديق، فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها، فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان، وبنقصانها ينقص، فمتى نقصت أعمال البر، نقص كمال الإيمان، ومتى زادت زاد الإيمان كمالا، هذا توسط القول في الإيمان»أ. هـ[7].

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان جزء ١ ص ٢٠٩.

(٢) ابن بطال (؟ - ٤٤٩هـ) هو علي بن خلف بن عبد الملك، ويعرف باللجام، من أهل قرطبة، مدينة بالأندلس، وبنو بطال أصلهم من اليمن. له باع في علم الحديث، مالكي المذهب كثيرا ما ينقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

(٣) شرح مسلم للنووي كتاب الإيمان ص١٢٥ جزء ١ .

(٤) الفتح: ٤.

(٥) الكهف: ١٣.

(٦) مريم : ٧٧٦ .

(٧) شرح مسلم/ كتاب الإيمان جزءا ص ١٢٤.

وقال ابن عبد الرزاق: «سمعت من أدركت من شيوخنا، وأصحابنا سفيان الثوري ومالك بن أنس، وعبيد الله بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينه. يقولون: «الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، وهذا قول ابن مسعود، وحذيفة، والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبدالله بن المبارك»أ. هـ[1].

٥ ـ المؤمنون يتفاضلون بالإيمان، فإيمان الصديقين الذي يصبح عندهم الغيب كالشهادة، ليس كغيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة، ومنها قال بعضهم: ما سبقكم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صوم، ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره.

وسئل ابن عمر رضي الله عنه، هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: «نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل»[2]. قال ابن رجب: «فأين هذا ممن الإيمان في قلبه ما يزن ذرة أو شعيرة، كالذين يخرجون من أهل التوحيد من النار، فهؤلاء يصح أن يقال لم يدخل الإيمان في قلوبهم لضعفه عندهم»[3].

الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء: حكم الله ـ سبحانه ـ أزلا بوجود الشيء أو عدمه.
والقدر: إيجاد الله تعالى الشيء على كيفية في وقت خاص، وقد يطلق كل منهما على الآخر[4].

فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، كما بين ﷺ في هذا الحديث الشريف: «وتؤمن بالقدر خيره وشره» وسبب إيراد ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) شرح مسلم/ كتاب الإيمان جزء ١ ص ١٢٥.
(٢) المشكاة بتحقيق الألباني/ ٤٧٤٩.
(٣) جامع العلوم والحكم ص ٣٩.
(٤) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري.

هذا الحديث، كان ردا على من أنكر القدر، وزعم أن الأمر أنف، بمعنى أنه مستأنف، لم يسبق له سابق قدر من الله عز وجل، ولقد غضب ابن عمر من مقالتهم غضبا شديدا، وأغلظ لهم القول، وتبرأ منهم، وبين بأن أعمالهم مردودة عليهم، لا تقبل منهم إلا بإيمانهم بالقدر.

والإيمان بالقدر يكون على وجهين كما بينت العلماء:

١ ـ التصديق بأن الله جل وعلا سبق في علمه ما يعلمه عباده من خير وشر وطاعة ومعصية قبل ايجادهم، ومن هو من أهل السعادة، ومن هو من أهل الشقاء، ودَوَّن ذلك في الكتاب المحفوظ، قال ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» قال: «وكان عرشه على الماء»[1] وأعمالهم لابد أن تكون مطابقة لما كتبه الله عليهم جل وعلا، وتجري على ما سبق في علمه سبحانه.

ولقد نفى غلاة القدرية كمعبد الجهني، وعمرو بن عبيد، وغيرهم هذا، وخالفوا ما عليه سلف الأمة، فضلوا سواء السبيل.

وذهب أحمد والشافعي، وغيرهم من أئمة الإسلام إلى القول بتكفير من أنكر العلم القديم.

٢ ـ إن الله جل جلاله خلق أفعال العباد كلها، من كفر وإيمان وطاعة ومعصية، وشاءها منهم قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾[2].

هذا معتقد أهل السنة، وخالفهم بذلك القدرية، الذين بدأت بدعتهم في أواخر زمن الصحابة رضي الله عنهم، لذلك لما أخبر ابن عمر بخبرهم قال لمن أخبره: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر»[3].

---

(١) رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ٥/٥٠٩.

(٢) الصافات: ٣٧.

(٣) رواه مسلم ١/١٣٢ كتاب الإيمان ـ إثبات القدر.

العاصم من الزلل في القضاء والقدر :

مما هو معروف، أن كثيرا من الناس انحرف في فهم الإيمان بالقدر عما كان عليه سلف الأمة، ويرجع ذلك لأمور منها :

١ ـ استغل أعداء الإسلام الحاقدون القدر في إضلال الناس، حيث وجدوا في نصوصه منفذا لإضلال المسلمين، وإلقاء الشبهات عليهم، وضرب نصوصه بعضها ببعض، فتأثر كثير من المسلمين بهؤلاء، وضلوا عن الفهم السوي في هذا الركن، فمنهم من وصف الله بالظلم والعبث، ومنهم من فوض فهم النصوص التي وردت كما فوض فهم الحروف المقطعة في أوائل السور، ومعلوم أن الله أمرنا بتدبرها، ولم يقفل الباب فيها، ولو شاء لفعل، كما قال: **﴿ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**[1].

٢ ـ الفهم القاصر لنصوص القدر، فمنهم من يخلص بفهم عام من نص يتكلم عن جزئية من الموضوع، كما فهم البعض من قوله: **﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾**[2] .

بأن المشيئة كلها لله، وأن العبد لا مشيئة له، بل هو مجبور على فعله، وهذا الفهم ناتج من الفهم الجزئي لنصوص القدر، وعدم النظرة الشمولية للنصوص .

٣ ـ تشابك النصوص في هذه القضية في أمور كثيرة، مثل التشابك بين السبب والنتيجة، وبين إرادة الله جل وعلا، وبين إرادة العبد، هذا التشابك أوقع الكثير في اللبس والحيرة.

٤ ـ تقديم البعض أفهامهم القاصرة المتأثرة بما دسه الحاقدون على الإسلام على افهام سلف الأمة، الذين زكاهم ربنا تبارك وتعالى في كتابه، ورسول الله

---

(١) الاسراء: ٨٥.

(٢) فاطر: ٨ .

ﷺ في أحاديثه المستفيضة ، في بيان مناقبهم، فعلينا أن نتتلمذ على أفهامهم في نصوص الكتاب والسنة، فإن الخير في ذلك وصدق من قال:

فكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداع من خلف

لذلك على الباحث في نصوص القضاء والقدر أن يعي الأمور الآتية، حتى يعصم - بإذن الله تعالى - من الإنحراف عن الفهم السليم، الذي يريده الله عز وجل. أن نعتقده في هذا الركن.

١ ـ التفريق بين صفات الله وخلقه :

فلابد من التفريق بين علم الله عز وجل، وعلم البشر، فهذه الصفة لابد من إثباتها على أكمل وجه لله تعالى، فالله جل وعلا لا تخفى عليه خافية، ولم يسبق علمه جهل، فهو يعلم كل ما سيحدث في ملكه قبل أن يخلقهم علما دقيقا كاملا لا يعتريه نقص، لذلك كتب في اللوح المحفوظ كل ما سيحدث ويقع في ملكه من خير وشر وسعادة وشقاء، ولابد أن يكون مطابقا لما كتب، وإلا يكون هناك نقص بصفة العلم عنده، والله عز وجل منزه عن النقائص.

وما قيل بصفة العلم، يعم جميع صفات ربنا تبارك وتعالى، فقدرته ومشيئته كاملة، لا يشوبها عجز ولا نقص ولا قهر، كما يعتري قدرة ومشيئة الخلق، حيث أن مشيئتهم محدودة، يعتريها النقص والقهر، فكل ما يقع بسلطان ربنا سبحانه وقع بمشيئته من كفر وإيمان، وهو يرضى لعباده الإيمان ولا يرضى لهم الكفر، فالذين ظنوا أن الكافر يوقع كفره رغما على الله، والله لا يستطيع أن يمنعه، هؤلاء يعبدون ربا عاجزا مقهورا من قبل خلقه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ـ تنزيه الله جل وعلا عن النقائص :

يجب على العباد، أن ينزهوا ربهم عن العبث والجهل والظلم وغيرها من
ـائص، قال تعالى منزها نفسه عن الظلم: ﴿إن الله لا يظلم مثقال
﴾[1]، وقال: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[2].

والظلم هو وضع الشيء بغير موضعه، فيستحيل أن يستحق الإنسان
اية، ويحرمه الله منها، وكذلك يستحيل أن يستحق الإنسان الإضلال ولا
ن له، ولكن قد تغيب عنا عواقب الأمور، وذلك لقصر فهمنا ولضعفنا،
ـ العبد عندما يحير في أمر إنسان ضل بعد استقامته، أن يتهم نفسه
له، وينزه ربه عن الظلم، وبهذا ينجو.

ـ النظرة الشمولية لنصوص الكتاب والسنة، والخروج بالحكم بعد ذلك، وهذا ينبغي أن يكون في جميع قضايا الدين، تجمع النصوص في القضية، ويبذل الجهد والوسع في فهمها والتوفيق بينها، ثم يصدر بالحكم بعد ذلك.

ـ الله عز وجل لا يسأل عما يفعل، كما قال تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[3] فإذا أراد أن يعرف العبد كل ما يدور، وكل ما يحكم به الله سبحانه، معنى ذلك يريد هذا أن ينصب نفسه إلهاً آخر، ويريد أن يشارك ربه في صفاته، فعندما يوحي إليك الشيطان ـ مثلاً ـ هذا السؤال، لماذا خلق الله فلانا وهو يعلم أنه من أهل النار، وغيرها من الأسئلة، فتذكر هذه الآية: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[4] ونزهه عن الظلم والعبث، وصفه بالحكمة والعدل وبكل صفات الكمال، واتهم فهمك وعقلك القاصر، واحذر من وساوس إبليس، فإنه يعرف المداخل التي يضل بها العباد عن الصراط المستقيم.

النساء: ٤٠.

فصلت: ٤٦.

الأنبياء: ٢٣.

الأنبياء: ٢٣.

٥ ـ ينبغي العلم بأن العبد مكلف ببذل السبب، والنتائج بيد الله، وليس كل من بذل سببا معينا، وقام بمثله آخر يصل كلاهما إلى نفس النتيجة، فقد يسعى إنسان ويكدح ولا يحصل من رزقه إلا القليل، ويسعى آخر بجهد قليل يهال عليه الأموال والثروات، وكذلك قد يسعى العبد بالطاعة ويشقى وينصب ولا يوفق فيها كما قال تعالى: ﴿**وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى نارا حامية**﴾[1]. فهؤلاء مع سعيهم ونصبهم عاقبتهم سيئة، فالنتائج بيده سبحانه يرتبها على الأعمال بناء على عدله، وحكمته سبحانه.

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض. قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاما. قال آدم: فهل وجدت فيها: (وعصى آدم ربه فغوى)؟ قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة». قال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى»،[2] حجة لأن الإخراج من الجنة نتيجة المعصية، والنتيجة من عنده سبحانه، أما المعصية فقد وقعت بإرادة آدم عليه السلام.

هذه بعض الأمور التي أراها مهمة، ومعينة على فهم النصوص التي تدور في فلك هذه القضية.

---

(١) الغاشية: ١ ـ ٤.

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني/ ١٨٤٢.

أمارات [1] الساعة:

ذكر ﷺ من علامات الساعة في هذا الحديث علامتين:

١ ــ «أن تلد الأمة ربتها» والمراد بربتها سيدتها ومالكتها وللعلماء في هذا أقوال منها:

أ ــ قيل: يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته، من حيث السب، والضرب، والاستخدام والاستهانة، وهذا ما يميل الحافظ ابن حجر إليه[2].

ب ــ وقال ابن رجب: وهذا إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراري، وتكثر أولادهن، فتكون الأمة رقيقة لسيدها، وأولاده منها بمنزلته، فإن ولد السيد بمنزلة السيد فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها وسيدها»[3].

جـ ــ ذهب بعض العلماء إلى القول، بأن أم الولد تعتق بموت سيدها، فكأن ولدها هو الذي أعتقها، فصار عتقها منسوبا إليه، وبهذا صار كأنه مولاها وسيدها.

٢ ــ «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»

الحاف هو من لا نعل في قدميه، والعار هو من لا ثياب على بدنه، والعائل هو الفقير،

والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساء، وتكثر أموالهم، ويشيدوا المباني العالية مباهاة وتفاخرا على عباد الله.

قال القرطبي:[4] «المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل

---

(١) الأمارات جمع أمارة، وهي العلامة، والمراد بالحديث العلامات الدالة على قرب الساعة.

(٢) انظر الفتح ١/١٣٠.

(٣) جامع العلوم والحكم.

(٤) القرطبي (؟ ـ ٦٧١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. من أهل قرطبة المدينة الأندلسية =

البادية على الأمر، ويتملكوا البلاد بالقهر، فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان»[1].

صفات جبريل عليه السلام :

هو الروح الأمين، كما قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين﴾[2] ووصفه بالأمانة تزكية عظيمة له من ربه جل وعلا، كما بين سبحانه من صفاته: ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾[3]

فوصفه بحسن الخلق، وبهاء المنظر، والقوة وشدة البطش والفعل، وبأن له مكانة ومنزلة عند الله، فهو سيد الملائكة مطاع أمره في السموات.

رآه رسول الله ﷺ على صورته الحقيقية مرتين، مرة بعد بعثته بثلاث سنوات، قال ﷺ : «بينما أنا أمشي، إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت، فقلت: زملوني»[4] .

ويشهد لذلك قوله جل وعلا: ﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلىٰ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[5] ورآه مرة ثانية ليلة

= الشهيرة، علامة في التفسير رحل إلى مصر، واستقر بمنية ابن الخطيب شمالي أسيوط، ومات فيها، من آثاره العلمية: ١ ـ الجامع لأحكام القرآن وهو كتاب تفسير لا يستغنى عنه طالب علم. ٢ ـ التذكر بأمور الآخرة. ٣ ـ الأسنى في شرح الأسماء الخمسة.

(١) الفتح ١/١٣١.

(٢) الشعراء: ١٩٣.

(٣) التكوير: ١٩.

(٤) رواه البخاري ١/٢٧ كتاب بدء الوحي.

(٥) النجم: ٥ ـ ٩.

الإسراء والمعراج، كما قال: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾[1] يصفه ﷺ بعظم الخلق عن عبدالله بن مسعود قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق: يسقط من جناحه التهاويل «الأشياء المختلفة الألوان» من الدر واليواقيت[2].

وقال ﷺ: «رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض»[3].

من فوائد الحديث:

١ ـ أن العالم إذا سئل عن شيء ولم يعلمه أن يقول: لا أعلمه، وان هذا لا ينقص من مكانته، بل هذا دلالة على متانة دينه، وخوض العالم بكل جوانب العلوم دون التمكن بها دلالة على رقة الدين، كما قال بعض العلماء المعاصرين عن الحديث الآتي: عن سعيد بن أبي مريم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نبي الله أيوب ﷺ لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه»[4].

فيقول هذا المعاصر عن هذا الحديث الصحيح، كذب وافتراء على داود دون النظر في سند الحديث، وهذا من الخوض بما لا يعلم نسأل الله السلامة.

٢ ـ كما في الحديث دلالة على طريقة من طرق التعليم، وهي السؤال والجواب، وهكذا ينبغي للداعية إن يتفنن في عرض ما لديه من مادة، ولا يجمد على أسلوب واحد، فيؤدي ذلك إلى ملل سامعيه، بل عليه أن يستفيد من كل جديد فيه خير للأمة، أقول هذا لأن البعض عنده عقد

---

(١) النجم: ١٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده وقال عنه ابن كثير إسناده جيد/ البداية/ ١/ ٤٧.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) صحيح انظر السلسلة للألباني رقم ١٧.

من كل جديد. وهذه الطريقة من أحدث وأجود الطرق في العملية التعليمية عند المربين.

٣ ـ في الحديث دليل على أن الملائكة يتشكلون على صورة البشر، ويشهد لذلك نصوص من القرآن قال تعالى: **﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾**[١] والمقصود بروحنا جبريل عليه السلام.

كما أخبر سبحانه بأن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، ولم يعرفهم عليه السلام، حتى أخبروه، وكذلك جاءت الملائكة لوطا عليه السلام على صورة شباب حسان الوجوه، والأدلة على ذلك كثيرة.

٤ ـ كما أن في الحديث دلالة على كراهة ما لا تدعو الحاجة إليه من البناء ومن تطويل البناء وتشييده، ولعل قائلاً يقول: ليس في الحديث دلالة واضحة جلية على ذم تطويل البناء، إنما فيه إخبار عن علامة من علامات قرب الساعة ولكن هذا يرد، بأن هناك أحاديث تشهد لما قلت، قال ﷺ: «كل نفقة ينفقها العبد يؤجر فيها إلا البنيان»[٢].

وما كرهه رسول الله ﷺ وقعت به الأمة إلا من عصمه ربه، فأصبح المسلمون يسرفون بالبناء، وينفقون الأموال الكثيرة فيه، والأولى أن تنفق هذه الأموال بدعوة الناس إلى الله، وإنقاذهم مما هم فيه من غي وضلال.

٥ ـ كما أن في الحديث دلالة على استحباب تحسين الثياب، والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء، والفضلاء والملوك.

٦ ـ في الحديث بيان آداب الجلوس في حلق العلم، فجبريل عليه السلام جلس قريبا من رسول الله ﷺ، وهكذا ينبغي لطالب العلم حتى يأخذ العلم بدقة، وتثبت من أفواه العلماء.

---

(١) مريم: ١٦، ١٧.

(٢) الجامع الصحيح للألباني/ ٤٤٤٢.

كما فيه بيان كيفية الجلوس في حلق العلم، فجبريل عليه السلام جلس جلسة التشهد، ووضع كفيه على فخذيه، فعلى طالب العلم أن يفرغ ذهنه، وحواسه أثناء ذلك، حتى يستفيد من مجالسته للعلماء.

٧ ـ في الحديث دلالة أن الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ويشهد لهذه الحقيقة نصوص كثيرة من الذكر الحكيم، منها قوله جل وعلا : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلي** ﴾[١] . فالرسول ﷺ لا يعلم من أمور الغيب إلا ما علمه ربه سبحانه ، وقال سبحانه : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾[٢] ، وقال سبحانه : ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون** ﴾[٣] وبهذه النصوص وغيرها يعلم فساد قول الروافض الذين يعتقدون أن أئمتهم يعلمون الغيب كما في الكافي :

«أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم»[٤].

«أن الأئمة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا علموا».

وفي صفحة «٢٦»، أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء»[٥].

دين الإسلام :

بين صلوات الله وسلامه عليه، بأن هذه الأسئلة التي سألها جبريل عليه السلام وإجابته ﷺ عليها هي أصول وقواعد الدين، يندرج تحتها باقي أمور

---

(١) الأنعام : ٥٠.
(٢) الأنعام : ٥٩.
(٣) الأعراف : ١٨٨.
(٤) الكافي/ ٢٨٥ وهذا عندهم كمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة.
(٥) الكافي : ٢٦٠ .

الدين، من عقائد، وعبادات وآداب، وغيرها ومن هذا تتضح أهمية هذا الحديث العظيم، وبأن النووي رحمه الله وفق في اختيار هذا الحديث في أربعينه، لأنه هدف من ذلك جمع الأحاديث الجامعة لأمور الدين.

الحديث الثالث

عَنْ أبي عبدِ الرحمنِ عبدِ الله بن عمرَ بنِ الخطّابِ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

«بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شهادةِ أَنْ لا إلهَ إلاّ الله، وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاةَ، وإيتاءِ الزكاةِ، وحجِّ البيتِ، وصومِ رمضانَ»[1].

منزلة الحديث:

هذا الحديث له أهمية عظيمة، لأنه تعرض لبيان أسس وقواعد الإسلام، التي عليها بني، والتي بها يكون العبد مسلما، وبغيرها يمرق من الدين.

قال النووي: إن هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين وعليه اعتماده وقد جمع أركانه»أ. هـ[2].

فيجب الاعتناء به وحفظه ونشره بين المسلمين.

متى يكون العبد مسلما؟

لا يكون العبد مسلما إلا بالقيام بأسس ودعائم وأركان الأسلام، التي بينها ﷺ في هذا الحديث، ومثل صلوات الله وسلامه عليه لهذه الأسس والدعائم بالبناء العتيد المحكم الثابت، الذي لا يقوم إلا على قواعد وإلاّ انهار على أهله، وبقية خصال الإسلام الواجبة متممة له، كما أن البناء له

---

(١) رواه البخاري جزء ١ ص ٨ وشرح مسلم جزء ١ ص ١٥١.

(٢) شرح مسلم جزء ١ ص ١٥٢.

تتمات ضرورية لا يستغنى العبد عنها، والدعائم الأربعة المذكورة مبنية على الشهادة لأن الله لا يقبل منها شيئا دون الشهادة.

ولم يذكر ﷺ بقية أركان الإيمان والواجبات لأن الإيمان بأن محمدا رسول الله مستلزم لجميع ما ذكر من معتقدات وعبادات، كما لم يذكر الجهاد وهو الفريضة العظيمة التي فيها عز أمة الإسلام ورفع رايتها وقمع الكفار والمنافقين، وذلك لأنها فرض كفاية، ولا تتعين على الجميع إلا في بعض الحالات.

أولا الشهادة :

قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» هذه من أعظم دعائم الإسلام، لأن بها يعصم الدم والمال، قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[1].

وبها يتقبل الله ما شرع لنا من أعمال، وبها دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: **﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾**[2]، وبها تغفر الذنوب مهما عظمت.

ومعناها الاقبال على الله بالعبادة الصادقة، والبراءة من عبادة كل ما سوى الله، فهو الإله الحق في الوجود، وكل ما سواه من آلهة باطلة، ومعنى محمد رسول الله الشهادة له بأنه مرسل من عند الله، تجب محبته، وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، وألا يقدم على قوله قولا .

---

(١) شرح مسلم عن أبي هريرة ـ كتاب الإيمان جزء ١ ص ١٧٧.

(٢) الأعراف / ٤٠ .

ثانيا : الصلاة :

الصلاة هي الصلة بين العبد وربه تبارك وتعالى، يجب أداؤها على هدي رسول الله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1] أفلح من أداها بخشوع وإخبات وخضوع، قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[2] من حافظ على أدائها كانت له يوم القيامة نورا وبرهانا ونجاة، وكان له عند ربه عهد أن يدخله الجنة.

الصلاة تربي في المسلم الوازع الذي به يبتعد عما لا يرضي الله تبارك وتعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[3].

الصلاة كما قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»[4] الصلاة المفروضة تمحق الذنوب والخطايا.

حكم تارك الصلاة :

أجمع علماء المسلمين على أن من ترك الصلاة جحودا وإنكارا لها كفر وخرج من ملة الإسلام.

واختلفوا في حكم من تركها تكاسلا، وتشاغلا عنها دون عذر يعتد به مع اعتقاده بفرضيتها .

١ ـ فمنهم من ذهب إلى القول بتكفيره، من الصحابة عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله، وأبي الدرداء ـ رضي الله

---

(١) رواه البخاري كتاب الأذان باب ١٨ جزء ١ ص ١٥٥.

(٢) المؤمنون: ١، ٢.

(٣) العنكبوت: ٤٥.

(٤) صحيح رواه الطبراني انظر صحيح الجامع رقم ٢٥٧٠.

عنهم - ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبدالله ابن المبارك، والنخعي، واستدلوا بالآتي:

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة»[1].

وعن عبدالله بن شقيق العقيلي قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[2].

٢ - ومنهم من ذهب إلى القول بفسوقه، وعدم تكفيره، وهذا قول جمهور العلماء من السلف، والخلف منهم: مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، واستدلوا بالآتي:

قال ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن، كان له عند الله عهدا أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهدا، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة»[3].

والشاهد في الحديث، أن تارك الصلاة قد يغفر له، وهذا يعني أن تركها ليس كفرا حقيقيا، إذ لو كان كفرا لمنعت عنه المغفرة، وكذلك عدم خلوده في النار، دليل على أن ترك الصلاة ليس كفرا حقيقيا، لأن المعروف أن الكافر مخلد في النار.

وكذلك مما احتجوا به، قوله جل وعلا: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[4].

---

(١) رواه مسلم وغيره انظر مختصر مسلم ص ٦٢.
(٢) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في السلسلة ١/١٣٠.
(٣) رواه أحمد ومالك وغيرهما انظر صحيح الجامع / ٣٢٣٨.
(٤) النساء / ١١٦.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة «لا إله إلا الله» فنحن نقولها: قال صلة بن زفر لحذيفة: «ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: ياصلة تنجيهم من النار ثلاثة»[1].

قال الألباني معقبا على هذا الحديث: «هذا وفي الحديث فائدة فقهية هامة، وهي أن شهادة أن لا إله إلا الله، تنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الأخرى كالصلاة وغيرها، ثم قال: وأنا أرى أن الصواب رأي الجمهور، وأن ما ورد عن الصحابة ليس نصا على أنهم كانوا يريدون بالكفر هنا الكفر الذي يخلد صاحبه في النار، ولا يحتمل أن يغفر الله له، فكيف ذلك وهذا حذيفة بن اليمان ـ وهو من كبار أولئك الصحابة يرد على صلة بة زفر، وهو يكاد يفهم الأمر على نجو فهم أحمد له .

فيقول: ما تغني لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة. . . .» فيجيبه حذيفة بعد إعراضه عنه «ياصلة تنجيهم من النار ثلاثا».

فهذا نص من حذيفة رضي الله عنه أن تارك الصلاة، ومثلها بقية الأركان ليس بكافر، بل هو مسلم ناج من الخلود في النار يوم القيامة»أ. هـ[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجة والحاكم وصححه الألباني بالسلسلة/ ٨٧.

(٢) السلسلة للألباني جزء ١ ص ١٣٠ .

كما يعضد من ذهب إلى هذا الرأي عموميات منها :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[1].

وحمل الجمهور الأحاديث الوارد بتكفير تارك الصلاة على الجاحد، أو المستحل للترك.

كما حمل بعضهم الكفر في الأحاديث الواردة على كفر المعصية، أو العمل، لا الكفر المخرج من الملة، وذلك أن الكفر والظلم والفسوق مراتب، ولهذا ورد عن ابن عباس قوله: «كفر دون كفر» كما جعل البخاري رحمه الله كتاب الإيمان عدة أبواب منها: باب كفر العشير، وكفر دون كفر، ولهذا قد يوصف المؤمن - كما ورد في نصوص كثيرة بالفسق والظلم، أو الشرك أو عدم الإيمان، أو الكفر، ولا يعد مرتدا عن الملة، كما روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال:

«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[2].

ولم يقل أحد ممن يعتد بقوله أن الكفر هنا هو المخرج من الملة، ومما يخرج الكفر هنا عن معناه الحقيقي كذلك، قوله تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. . .**﴾[3].

فهذا النص يشهد لما قلنا أن الكفر والظلم والفسوق والشرك مراتب، لذلك حمل الجمهور «نصوص تكفير تارك الصلاة على كفر النعمة، أو على

(١) متفق عليه البخاري كتاب الأنبياء باب ٤٧ جزء ٤ ص١٣٩ / شرح مسلم كتاب الإيمان جزء ١ ص ١٩٢.
(٢) متفق عليه/ البخاري كتاب الإيمان جزء ١ باب ٣٦ ص ١٨ / شرح مسلم كتاب الإيمان جزء ١ ص ٢٥٣.
(٣) الحجرات/ ٩.

معنى قد قارب الكفر، أو كفر المعصية أو العمل، كما قدمت، والراجح عندي في هذا ـ والله أعلم ـ قول الجمهور.

ثالثا: الزكاة:

الزكاة أوجبها ربنا تبارك وتعالى على كل مسلم، ملك نصابا من مال بشروطه، وهي مأخوذة من الزكاة، وهو النماء والطهارة والبركة، وسميت بذلك لما يكون فيها من البركة في المال، وطهارة النفس لمؤديها من أدران الشح والبخل.

كما ثبت وجوبها في كتاب الله في مواضع عدة، قال تبارك وتعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**[1] والمقصود بالصدقة التي أمر حبيب رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه بأخذها، هي الزكاة المفروضة، التي بين الفقهاء أحكامها في مصنفاتهم، وكلامي حول الزكاة مقصور حول النقاط الآتية:

١ ـ الترغيب في أدائها:

رغب الله جل جلاله عباده الأغنياء في آداء زكاة أموالهم، في مواضع كثيرة من كتابه الكريم فبين سبحانه أن:

ـ أداء الزكاة من أسباب نزول رحماته على العباد، قال عز وجل: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾**[2].

ـ أداء الزكاة يطهر النفس ويزكيها من دنس البخل والطمع والقسوة على

---

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) التوبة: ٧١.

الضعفاء والبائسين، قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[1].

- أداء الزكاة من أسباب التمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور﴾[2].
- كما رغب رسول الله ﷺ في أداء هذا الركن العظيم بين ﷺ أن:
- أداء الزكاة من أسباب دخول الجنة في أحاديث كثيرة، منها عن أبي أيوب رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم»[3].

- أداء الزكاة سبب في ذهاب شر المال، عن جابر رضي الله عنه قال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أدى الرجل زكاة ماله،؟ فقال رسول الله ﷺ: «من أدى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شره»[4].

٢ ـ الترهيب من منع الزكاة:

أ ـ بين الله تبارك وتعالى مآل مانع زكاة الذهب والفضة بوم الخزي والندامة، بأن هذه الأموال التي يبخل بها على عباد الله، سوف يحمي عليها في سقر، ثم يكوى بها جبينه وباقي جسده، قال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[5].

---

(١) التوبة ١٠٣.

(٢) الحج: ٤١.

(٣) البخاري جزء ٢ ص ١٠٩ / شرح مسلم جزء ١ ص ١٤٦.

(٤) رواه الطبراني وابن خزيمة وحسنه الألباني في الترغيب ٧٤٣.

(٥) التوبة: ٣٤.

ب ـ كما بين سبحانه بأن مانع الزكاة، سوف يطوق يوم المعاد، بسبب امتناعه عن أداء حق الله تبارك وتعالى عليه، قال عز وجل: **﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾**[1] أورد ابن كثير في شرح هذه الآية الحديث[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا[3] أقرع[4] له زبيبتان[5]، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ثم يقول: «أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية: **﴿لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم﴾**[6] إلى آخر الآية.

جـ ـ عن الأحنف بن قيس قال: «جلست إلى ملأ من قريش، فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسلم ثم قال: بشر الكانزين برضف[7] يحمي عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض[8] كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل»[9].

د ـ منع الزكاة سبب في منع نزول الأمطار، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا»[10].

---

(١) آل عمران: ١٨٠.
(٢) البخاري كتاب الزكاة باب ٣ جزء٢ ص ١١٠.
(٣) الشجاع: الذكر من الحيات.
(٤) والأقرع: الذي ذهب شعره من كثرة السم.
(٥) زبيبتان: أي نكتتان سوداوان فوق عينية.
(٦) آل عمران: ١٨٠.
(٧) الرضف: الحجارة المحماة.
(٨) نغض: أعلى.
(٩) البخاري جزء ٢ ص١١٢ وشرح مسلم جزء ٣ ص٢٩ واللفظ للبخاري.
(١٠) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة/ ١٠٦.

رابعا : الحــج :

فالحديث يدل على أن حـج بيت الله الحرام من قـواعد الإسـلام، ومن الأدلة التي تؤكد فرضيته على المستطيع، قولـه جل وعـلا: ﴿ولله على النـاس حـج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[1] ذكـر الله سبحانـه وتعالى الحـج بابلغ الألفاظ التي تدل على وجوبه تأكيداً لحقه، وتعظيما لحرمته، وتقوية لفرضه.

قال الشوكاني[2] ـ رحمه الله تعالى ـ: «اللام في قوله (لله) هي التي يقـال لها لام الإيجاب والإلـزام، ثم زاد هذا المعنى تـأكيدا حـرف (على)، فـإنه من أوضح الدلالات على الوجوب عند العرب،[3] والحج واجب في العمر مرة واحدة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أفي كل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال ﷺ : لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم »[4] .

وجوب الحج على الفور :

لا يحـل للمسلم المستطيـع، الصحيح البـدن، الذي يملك من المـال ما يكفيه للحج ذهابا وإيابا، ويكفي من يعـولهم حتى يرجـع من الحج أن يؤخـر فريضة الحج، بل يجب عليه أن يبادر بأدائها، وذلك للأدلة الآتية :

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) الشوكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠) هـ هو محمد بن علي بن محمد الشـوكاني، من كبـار فقهاء صنعـاء ومجتهـديهم، ولـد بهجرة شوكان، من بلاد خولان باليمن، ونشأ بصنعاء، وكان قاضيـا فيها، أعلن الحرب على التقليد والمقلدين، حتى قال: بتحـريمه، من آثـاره العلمية: ١ ـ نيـل الأوطار شرح منتقى الأخبـار، وهو كتـاب قيم في الفقه، وفقت لتـدريس كتـاب الـطهـار منه لبعض الشباب، واستفدت منه استفادة عظيمة.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٣٦٣ .

(٤) رواه مسلم جزء ٣ ص ٤٨١ .

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «من كسر، أو مرض، أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل»[1].

قال الشوكاني: «لو كان على التراخي، لم يعين - ﷺ - العام القابل» أ. هـ[2].

٢ ـ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «تعجلوا إلى الحج، يعني الفريضة، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»[3] ووجه الدلالة من هذا الحديث واضح، لأنه صلى الله عليه وسلم ـ أمر بالتعجيل ـ، ولا توجد قرينة قوية تحمل هذا الأمر «تعجلوا» إلى غير ذلك، والله أعلم.

٣ ـ وعن الحسن قال: «قال عمر بن الخطاب: «لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار، فينظروا كل من كان له جدة، ولم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين»[4].

ذهب إلى القول بوجوب الحج على الفور: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد، وبعض أصحاب الشافعي، وزيد بن علي، والمؤيد بالله، والناصر، وأبو يوسف، وما ذهب إليه هؤلاء، يوافق كثيرا من الأدلة العامة، التي تحث على المبادرة في أعمال البر، والطاعات.

واحتج من خالف هذا المذهب، بأن الحج فرض سنة ست، ورسول الله ﷺ لم يحج إلا سنة عشرة، فلو كان الحج على الفور، لم يأخره ﷺ إلى السنة العاشرة.

وهنا أكتفي برد العلامة الشوكاني على ما استدل به هؤلاء العلماء الأعلام عليهم سحائب الرحمة.

---

(١) صحيح الجامع للألباني ٦٣٩٧ .

(٢) نيل الأوطار جزء ٤ ص ٣١٨.

(٣) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٢٩٥٤ .

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه والبيهقي.

قال الشوكاني رحمه الله: «واحتجوا بأنه ﷺ حج سنة عشر، وفرض الحج كان سنة ست أو خمس، وأجيب بأنه قد اختلف في الوقت الذي فرض فيه الحج. ومن جملة الأقوال أنه فرض في سنة عشر فلا تأخير، ولو سلم أنه فرض قبل العاشر، فتراخيه - ﷺ - إنما كان لكراهة الاختلاط في الحج بأهل الشرك، لأنهم كانوا يحجون ويطوفون بالبيت عراة، فلما طهر الله البيت الحرام منهم، حج ﷺ، فتراخيه لعذر، ومحل النزاع التراخي مع عدمه»[1].

ومما يرد عليهم كذلك، أن قوله - ﷺ -: «تعجلوا إلى الحج...» يقدم على فعله، وهذه قاعدة أصولية يعمل بها عند تعارض النصوص، والله أعلم.

٢ ـ الترغيب بالحج :

رغب - ﷺ - أمته في آداء فريضة الحج، وبين الأجر والثواب الذي أعده الله عز وجل لمن حج بيته الحرام، وإليك بعض ما ورد من الأحاديث:

١ ـ الحج من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا، كما هو من العبادات التي أثرها واضح على النفوس، كما هو من أكثر العبادات ثواب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل قال: «إيمان بالله ورسوله. قيل ثم ماذا، قال: الجهاد في سبيل الله. قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[2].

والحج المبرور: هو أن يؤدى الحج كما قال ﷺ: «لتأخذوا عني مناسككم»[3] وأن يجتهد على نفسه، بحيث يكون للحج أثراً على طهارة نفسه

---

(١) نيل الأوطار جزء ٤ ص ٣١٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم جزء ١ ص ١٢.

(٣) انظر صحيح الجامع الصغير ٤٩٣٧.

وأن يكون زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة.

٢ ـ إذا حج المسلم كما أمره ربه تبارك وتعالى، مراعيا ما يجب عليه مراعاته من آداب هذه العبادة، فالحج ينقيه من الذنوب والخطايا، كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حج هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٢].

قال الحافظ بن حجر[٣]: الرفث: يطلق ويراد به الجماع، ويطلق ويراد به الفحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع، وقد نقل من معنى الحديث كل واحد من هذه الثلاثة عن جماعة من العلماء والله أعلم»[٤].

٣ ـ الحج المبرور جزاءه الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[٥].

---

(١) وردت عدة أحاديث تدور حول، أن الحج سبب لمغفرة الذنوب والخطايا، اقتصر على ذكر واحد منها فقط.

(٢) رواه البخاري جزء ٢ ص ٢٠٩.

(٣) ابن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢) هـ هو أحمد بن علي بن محمد شهاب الدين أبو الفضل الكناني العسقلاني، ولد بمصر، ونشأ فيها، وتوفي فيها، يعرف بابن حجر، نسبة إلى آل حجر قوم يسكنون بلاد الجريد، وأرضهم قابس في تونس. من كبار علماء الشافعية برز في الفقه والحديث والتاريخ، وكان شيخ زمانه في معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالي والنازل وعلل الحديث، أجمع العلماء على تلقيبه بالحافظ، اشتغل بالقضاء والخطابة والتدريس والتأليف والتعليم، من آثاره العلمية: ١ ـ فتح الباري وهو كتاب عظيم لا يستغني عنه طالب العلم. ٢ ـ الدراية في منتخب تخريج أحاديث الهداية. ٣ ـ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير..

(٤) الترغيب والترهيب. جزء ٢ ص ١٦٣.

(٥) رواه مالك والبخاري كتاب العمرة جزء ٢ ص ١٩٨. ومسلم كتاب الحج جزء ٣ ص ٤٩٦.

٤ ـ الحج جهاد الضعيف والنساء :

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني جبان، وإني ضعيف، فقال: هلم إلى جهاد لا شوكة فيه «الحج»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد، قال: لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[2].

خامسا : صوم رمضان :

١ ـ وجوب صيام رمضان :

صوم رمضان فرض، ثبت في كتاب الله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[3] ومعنى كتب، أي فرض وقال تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[4] كما ثبتت فرضيته بالسنة، كما في هذا الحديث، وغيره من الأحاديث، وأجمعت الأمة على أن الصيام أحد أركان الإسلام، التي علمت من الدين بالضرورة، ومن أنكر فرضيته بعد قيام الحجة عليه، لا يختلف إثنان في كفره.

٢ ـ الترغيب في صوم رمضان :

أ ـ من صام رمضان مخلصا لله عز وجل ـ مبتغيا ما أعد الله للصائمين من ثواب جزيل، غفر الله تبارك وتعالى له ذنوبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٦٩٢١.
(٢) البخاري كتاب الحج باب ٤ جزء ٢ ص ١٤١ .
(٣) البقرة: ١٨٣.
(٤) البقرة: ١٨٥.

إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

قال الألباني: «فإن لم يكن للإنسان ذنب، يكون الصيام سببا في رفع درجاته، كما هو في حق الأبناء المعصومين من الذنوب»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن، ما لم تغش الكبائر، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر»[3].

ب ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»[4]

ومعنى قوله: «تغل فيه مردة الشياطين» قال المنذري : «إن الشياطين لا يخلصون فيه إلى افساد الناس إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، لاشتغال المسلمين بالصيام، الذي فيه قمع الشهوات، وبقراءة القرآن، وسائر العبادات»[5].

وهذا مشاهد، فنجد كثيرا من الناس الذين كانوا قبل رمضان مقصرين في أداء الصلاة في الجمع والجماعات،

يقوم بأدائها في المساجد كما نرى الكثير من الناس يتوبون ويقلعون عن معاصيهم في هذا الشهر الكريم.

جـ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إن الله

---

(١) رواه البخاري انظر مختصر البخاري للألباني ص ١٥.

(٢) صحيح الترغيب للألباني جزء ١ ص ٤١٥.

(٣) مختصر مسلم للألباني ١/٤١٥.

(٤) رواه النسائي والبيهقي صحيح الترغيب للألباني ١/٩٨٩ وانظر صحيح الجامع الصغير ٥٥.

(٥) صحيح الترغيب للألباني ١/٤١٨.

تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة، (يعني في رمضان)، وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة»[1].

٣ ـ الترهيب من الإفطار في رمضان :

الإفطار في يوم رمضان من الكبائر، فيجب على المسلم أن يقي نفسه من غضب الله وعقابه، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾[2].

عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان، فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعرا، فقالا: اصعد. فقلت إني لا أطيقه. فقال: أنا سنسهله لك. فصعدت، حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة. قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما. قال: قلت: من هؤلاء ؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم..» الحديث[3] ومعنى «يفطرون قبل تحلة صومهم» أي قبل وقت الإفطار، وهو دخول هلال شوال، وهذا الحديث فيه وعيد شديد، لمن تعمد الإفطار في رمضان دون عذر يعتد به شرعا، نسأل الله السلامة .

---

(١) صحيح الترغيب رقم الحديث ٩٩٢ ص ٤١٩ جزء ١ .

(٢) التحريم: ٦ .

(٣) صحيح الترغيب للألباني جزء ١ ص ٤٢٠ رقم الحديث ٩٩٥.

الحديث الرابع

عَنْ أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وَهُوَ الصادِقُ المَصْدُوقُ: «إنَّ أَحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبعينَ يوماً نُطْفَةً، ثُمَّ يكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يكونُ مُضْغَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الملكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كلماتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللهِ الذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ ما يكونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلاَّ ذِراعٌ، فَيَسْبِقُ عليهِ الكتابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها، وإنَّ أَحَدَكُم لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى ما يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلاَّ ذِراعٌ فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ الكتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَها»[1].

منزلة الحديث:

الحديث له أهمية عظيمة، لأنه تعرض لكيفية خلق الإنسان، الذي كرمه الله على باقي مخلوقاته، كما فيه الكلام حول القضاء والقدر، الذي هو الركن السادس من أركان الإيمان، الذي لا يتم إيمان العبد إلا به، كما فيه فوائد كثيرة عظيمة، استنبطها العلماء منه.

---

(١) رواه البخاري كتاب القدر باب ١ جزء ٧ ص ٢١٠ وشرح مسلم كتاب القدر جزء ٥ ص ٤٩٦.

كيفية تكوين الإنسان :

بين لنا رسول الله - ﷺ - في هذا الحديث كيفية تكوين الإنسان، فقال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه» والمراد بالجمع: ضم بعضه إلى بعض بعد الإنتشار، وقال القرطبي - رحمه الله -: المراد أن المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافعة مبثوثا متفرقا، فيجمعه الله تعالى في محل الولادة من الرحم»أ. هـ[1]، وقول القرطبي: موافق لما أثبته العلم الحديث، فالحيونات المنوية التي يقذفها الرجل كثيرة، وتكون منتشرة في رحم المرأة بعد القذف، ولكن لا يجتمع منها مع البويضة إلا واحد،

١ ـ **النطفة** : وهي الطور الأول الذي يمر به الجنين بعد التقاء الحيوان المنوي مع البويضة، والنطفة أصلها الماء الصافي، والمراد بها هنا المني، وتمتد مدة هذا الطور أربعين يوما، كما قال ﷺ: «أربعين يوما نطفة».

٢ ـ **العلقة** : وهي الطور الثاني الذي يمر به الجنين، والعلقة هي الدم الجامد الغليظ، وسمي بذلك لتعلقه بما مر به، ويمتد هذا الطور أربعين يوما كما بين رسول الله ﷺ: «ثم يكون علقة مثل ذلك» ومما يشهد لذلك من الذكر الحكيم، قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من علق﴾[2].

٣ ـ **المضغة** : وهي الطور الثالث، الذي يمر به الجنين، والمضغة هي قطعة من لحم، وسميت بذلك لأنها قدر ما يمضع الماضغ،

ويمتد هذا الطور أربعين يوما، فقال ﷺ: «ثم يكون مضغة مثل ذلك».

٤ ـ **نفخ الروح** : ويكون ذلك بعد مضي مائة وعشرون يوما من اجتماع الزوجين قال ﷺ: «ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح»، وهذا

---

(١) اللؤلؤ والمرجان رقم ١٦٩٥ ص ٧١٥.

(٢) سورة العلق: ٢.

ملاحظ بالمشاهدة، والروح ما يحيى به العبد، وهي كما قال تعالى: ﴿يسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[1].

وعرفها بعض أهل العلم: جسم لطيف سار في البدن، مشتبك به اشتباك الماء بالعود الأخضر»[2].

وعرفها آخرون: «جوهر مجرد متصرف في البدن»[3].

وجوب الإيمان بالقدر:

قوله ﷺ: «ويؤمر بأربع كلمات» يكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أو سعيد، في هذا المقطع من هذا الحديث تعرض - ﷺ - لقضية من القضاء والقدر، وهي تتعلق بعلم الله الكامل، الذي يعلم ما كان وما سيكون وكيف يكون،

وبناء على هذا العلم الكامل، كتب سبحانه في الكتاب رزق الإنسان الذي سيحصل عليه أثناء حياته، حتى يموت، والعمل الذي سيقوم به من خير وشر،

وهل هو من أهل الشقاء أم السعادة.

وهذا العلم لا يرفع عن العبد الاختيار والقصد، لأن صفة العلم غير مؤثر،

كما أن النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة، تثبت أن للإنسان قصد وإرادة وحرية اختيار.

---

(١) الاسراء: ٨٥.

(٢) شرح مسلم للنووي.

(٣) احياء علوم الدين للغزالي.

(٤) مر الكلام عن القضاء والقدر في شرح الحديث الثاني.

الأعمال بالخواتيم :

وأعمال عباد الله التي تصدر منهم في الدنيا لابد أن تكون موافقة لما كتبه الله عليهم في الكتاب السابق، فمن كتب أنه من أهل الجنة، لابد وأن يوفق للأعمال التي تدخله الجنة، ولو عمل فترة من حياته بأعمال أهل النار.

وكذلك من كتب من أهل النار لابد وأن يعمل بما يوجب له النار، ولو عمل فترة من حياته بأعمال أهل الجنة.

لذلك قال ﷺ: «فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار. . . الخ».

فوائد الحديث :

استنبط علماؤنا من هذا الحديث فوائد كثيرة سأذكر بعضا منها، والمتأمل لهذه الاستنباطات، يلحظ ما من الله به على هؤلاء العلماء من نعمة الفهم والفقه الدقيق لأحاديث خير الأنام ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[1] وذلك لأن العبد قد يحفظ الكثير من الكتاب والسنة، ولكن لا فهم ولا فقه له في النصوص، فقد يستدل بنص بغير موضعه، وقد يمر على موضع الدلالة بالنص، ولا يعي ذلك ولا يلاحظه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يمن علينا، وعلى علمائنا بنعمة الفقه والفهم لدينه، قال ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[2].

---

(١) قال الألباني في المشكاة: وأما الشافعي فرواه (١/١٤ من الجمع بين مسنده والسنن) بسند صحيح رقم ٢٨٨.

(٢) متفق عليه/ البخاري كتاب العلم باب ١٣ جزء ١ ص ٢٥/ شرح مسلم كتاب الإمارة جزء ٤ ص ٥٨٥.

مما يؤخذ من هذا الحديث من فوائد الآتي :

١ ـ الحث على الدعاء بالثبات على الدين. وكان ﷺ يدعو ربه بالثبات على الدين، حتى يلقاه على ذلك، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[1].

٢ ـ الحث على الاستعاذة من سوء الخاتمة، لذلك كان سلف الأمة يخافون من سوء الخاتمة، حتى قال بعضهم: «ما أبكى العيون، ما أبكاها الكتاب السابق»[2]، ونقل ابن رجب[3] أقوالا كثيرة لهم، تبين خوفهم وجزعهم من سوء الخاتمة.

فيجب على العبد، ألا يغتر بعمله وصلاحه، بل يجب عليه أن يكون بين جناحي الخوف والرجاء.

٣ ـ إن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار.

٤ ـ إن على من علم كيفية خلقه وإيجاده أن يشكر من أوجده، وخلقه في أحسن صورة، وأن يطيعه فيما أمر، وينتهي عما نهى عنه وزجر.

٥ ـ إن الشقاء والسعادة لا يعلمها أحد إلا الله عز وجل.

٦ ـ القسم على الخبر الصدق تأكيدا في نفس السامع.

٧ ـ الاطمئنان على الرزق، والقناعة مع أخذ الأسباب، وعدم الحرص عليه وبيع الدين والضمير من أجله، كما يفعل البعض.

٨ ـ الحياة بيد الله، ولن يموت عبد حتى يستكمل عمره، وهذا يدعو العبد أن لا يهاب أحداً في الله، ويكون شجاعا.

٩ ـ الأعمال سيئها وحسنها علامات وليس بموجبات .

١٠ ـ قال بعض أهل العلم والحكمة في هذه الأطوار رفقا بالأم، لأنه قادر

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني في الجامع رقم ٧٨٦٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٥.

(٣) في كتابه جامع العلوم ص ٥٥٠.

على خلقه مرة واحدة.

١١ ـ رخص بعض أهل العلم في إسقاط الجنين ما لم تنفخ فيه الروح، وقاسوا ذلك على العزل، ولكن هذا يرد بأن تخلق الجنين يبدأ في النطفة بعد أن تستقر في الرحم، كما يشهد لذلك قوله ﷺ: «إذا مر بالنطفة إثنان وأربعون ليلة ـ وفي رواية بضع وأربعون ليلة ـ بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها»[١]، وهذا ما يشهد له العلم الحديث.

قال ابن رجب: وقد رخص طائفة من الفقهاء للمرأة في إسقاط ما في بطنها ما لم ينفخ فيه الروح، وجعلوه كالعزل، وهو قول ضعيف، لأن الجنين ولد انعقد وربما تصور، وفي العزل لم يوجد ولد بالكلية، وإنما تسبب إلى منع انعقاده، وقد لا يمتنع بالعزل إذا أراد الله خلقه»[٢].

١٢ ـ وفيه تنبيه على أن البعث حق، لأن من قدر على خلق الإنسان من ماء مهين، قادر على إعادته.

١٣ ـ استدل بعض أهل العلم بأن إذا اسقط الجنين بعد أربعة أشهر يصلى عليه، لأنه قد نفخت فيه الروح، وهذا ما ذهب إليه الإمام أحمد، وحكى ذلك عن سعيد بن المسيب، كما هو أحد قولي الشافعي وإسحاق.

---

(١) شرح مسلم عن حذيفة بن أسيد. كتاب القدر جزء ٥ ص ٤٩٧.
(٢) جامع العلوم والحكم / ٤٦.

الحديث الخامس

«عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِالله عائِشَةَ - رَضِيَ الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ في أَمِرنا هَذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[1].

وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»[2].

منزلة الحديث:

قال الحافظ بن حجر - رحمه الله: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعد الدين»[3].

وقال الإمام النووي - رحمه الله: «هذا الحديث مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الإستدلال به»[4].

وقال الطرقي - رحمه الله -: «هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع، لأن المطلوب بالدليل إثبات حكم أو نفيه، وهذا الحديث مقدمة كبرى في إثبات كل حكم شرعي أو نفيه»[5].

وقال ابن رجب - رحمه الله -: «وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، كما أن حديث «الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها وهو ميزان للأعمال في ظاهرها[6].

---

(١) البخاري كتاب الصلح باب ٥ جزء ٣ / ١٦٧ وشرح مسلم كتاب الأقضية جزء ٤ ص ٣١٢ واللفظ للبخاري.

(٢) شرح مسلم كتاب الأقضية جزء ٣ ص ٣١٣.

(٣) الفتح جزء ٦/٣٣١.

(٤) شرح مسلم جزء ٣١٢/٤.

(٥) الفتح جزء ٦/٢٣١.

(٦) جامع العلوم والحكم ص ٥٦.

النهي عن الإحداث في الدين :

قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»

أي من أنشأ واخترع في دين الله، وشرعه الذي رضيه لنا من قبل هواه ونفسه مما ينافي الدين ويناقضه ولا يشهد له من أصول الدين وقواعده العامة فهذا الذي اخترعه وأنشأه مردود على صاحبه، لا ينتفع به في دينه ودنياه، يدل على ذلك منطوق الحديث. وهذا الحديث الذي يؤصل هذه القاعدة العظيمة، يشهد له من الكتاب والسنة الكثير، ما يطول به المقام لو ذكرناه.

الإحداث في العبادات :

الأصل بالعبادات التحريم، فكل عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله يحرم على المسلم أن يتقرب بها، وعلى ضوء هذه القاعدة التي أصلها علماؤنا فكل من تقرب بعباده فعليه أن يثبت دليل مشروعيتها لمن طالبه بذلك.

ولكن من حيث الرد وعدم القبول لابد من بيان الآتي :

١ ـ ما كان قربة في عبادة لا يكون قربه في كل المواطن.

فمثلا كشف الرأس أثناء الإحرام قربة مشروعة، والقيام قربة مشروعة أثناء الصلاة والآذان، ولكن من نذر أن يتقرب بالقيام، أو كشف الرأس في موضع آخر لم يثبت بنص يكون بذلك وقع في الابتداع، الذي نهى عنه الدين، ويكون عمله مردودا عليه غير مقبول .

رأي النبي ﷺ رجلا قائما في الشمس، فسأل عنه، فقيل: «إنه نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل وأن يصوم، فأمره النبي ﷺ أن يقعد ويستظل وأن يصوم»[1] فلم يجعل النبي ﷺ القيام وبروزه للشمس قربة، يجب الإيفاء بها.

---

(١) انظر إرواء الغليل ٢١٨/٨.

٢ ـ ما كان خارجا عن الشرع بالكلية :

العبادات الخارجة عن الشرع بالكلية مثل من تقرب بسماع الملاهي، أو بالرقص أو بغيرها من الخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، التي عمت وانتشرت في العالم الإسلامي، وأصبحت ديناً عند بعض الناس، يشب عليها المرء ويهرم. فهذه مردودة على صاحبها، لا يقبلها الله منه، بل حجب الله التوبة عن صاحبها حتى يدعها قال ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة، حتى يدع بدعته»[١] والقائم بهذه البدعة، يدخل تحت قوله جل وعلا: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾[٢].

٣ ـ الزيادة على العمل المشروع :

الزيادة في العمل الذي شرعه الله سبحانه مردودة غير مقبولة، ولكن من حيث بطلان العمل الذي زيد فيه، تارة يكون العمل باطلا، كمن تعمد زيادة ركعة في الصلاة المفروضة، وتارة لا تبطل العمل كمن توضأ أربعا أربعا.

لذلك لا يجوز الإستدلال بعموم هذا الحديث ببطلان كل عمل مشروع زيد فيه، ولكن لابد من النظر في العمل الذي زيد فيه، وتتبع أدلته، وتقصي أقوال أهل العلم فيه، حتى لا نبطل أعمال العباد دون بينة.

٤ ـ الإخلال بشيء من العمل المشروع :

من قام بعمل يتقرب به إلى ربه جل وعلا، ثم أخل ببعض هذا العمل، فمن حيث قبول العمل وبطلانه لابد من النظر بما أخل، فإن أخل بشرط من شروط العمل، كمن ترك الطهارة للصلاة فهنا يقال ببطلان عمله،

---

(١) انظر صحيح الترغيب والترهيب جزء ١/٢٦ رقم الحديث ٥٢.

(٢) الشورى: ٢١.

وعدم قبوله، وكذلك من أخل بترك ركن يكون باطلا مردودا على صاحبه، كمن ترك سجدة من الركعة.

أما من أخل بشيء لا يوجب بطلان العمل المشروع، فهنا لا يقال ببطلان العمل أو رده، بل يقال بنقصانه، كمن ترك صلاة الجماعة، وصلى في بيته، فصلاته صحيحة ولكن عليه إثم ترك صلاة الجماعة عند من يرى وجوب صلاة الجماعة.

الإحداث في المعاملات:

الأصل في المعاملات الحل، فمن قال بحرمة معاملة فعليه أن يقيم الدليل على ذلك، والإحداث في المعاملات يكون على أوجه منها:

١ ـ ما كان منها بديلا لعقود شرعية:

فالعقود التي وضعها الناس كبديل لعقود شرعية فهذه لاشك في بطلانها، ولا يستفيد من بنودها كلا الطرفين. ويشهد لذلك

عن أبي هريرة وزيد بن خالد: أن رجلا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، وقال الخصم الآخر ـ وهو أفقه منه ـ نعم، فاقضي بيننا بكتاب الله، وائذن لي. فقال رسول الله ﷺ: «قل». قال: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة. فسألت أهلم العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإن على امرأة هذا الرجم.

فقال رسول الله ﷺ:
«والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ـ الوليدة والغنم رد عليك. وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ـ واغد يا أنيس (رجل من أسلم) الى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها».

قال: فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت[1].

٢ ـ العقود التي نهى عنها الشرع:

أ ـ كون المعقود عليه ليس محلا للعقد.

مثل نكاح من يحرم نكاحه بسبب القرابة أو النسب أو للجمع، فهذا العقد باطل، لأن فيه تعدي على حق الله، الذي حرم علينا أن ننكح المحارم بسبب النسب أو القرابة، أو الرضاعة، أو للجمع.

ب ـ فوات شرط من العقد لا يسقط بالتراضي، مثل نكاح المعتدة، والنكاح بغير ولي، وهذا العقد باطل، روي أن النبي ﷺ فرق بين رجل وامرأة تزوجها وهي حبلى فرد النكاح لوقوعه في العدة.

جـ ـ عقود ما حرم الله سبحانه، كبيع الخمر، والميتة والخنزير والأصنام، والكلب والربا، وسائر ما نهى عن بيعه، فهذه عقود باطلة مردودة، لا تقيد الملك، ثبت عنه ﷺ: أنه أمر من باع صاع من تمر بصاعين أن يرده.

٣ ـ العقود التي يحصل بها ظلم لأحد الطرفين، مثل إنكاح الولي دون إذن البنت، فهذا من حيث الرد والقبول يتوقف على صاحب الحق، فإذا تنازل عن حقه فالعقد صحيح، وإن لم يتنازل فهو مردود باطل، ثبت عن النبي ﷺ رد نكاح امرأة ثيب زوجت دون إذنها.

وروي عنه ﷺ، خيّر امرأة زوجت بغير إذنها.

وكذلك من تصرف بماله دون إذنه بصدقة، أو بغيرها، فتتوقف صحة العقد على رضا صاحب الحق، فإن أمضاه فهو صحيح، وإن لم يمضه فهو

---

(١) رواه البخاري كتاب الحدود جزء ٣٤/٨ وشرح مسلم كتاب الحدود جزء ٢٨١/٤ واللفظ لمسلم.

باطل، لأن النهي هنا كما يقول العلماء: لحق الآدمي معين ويسقط برضاه، إذا تنازل عنه؛

الخلاصة :

يجب على طالب العلم التريث، وعدم التسرع بالحكم على العمل بالرد وعدم القبول استدلالاً بهذا الحديث، ويجب عليه أن يطلع على أقوال العلماء في القضية، ويعي الضوابط والأصول، التي من خلالها يحكم على العمل بالرد وعدم القبول.

فوائد الحديث :

١ ـ النهي يقتضي الفساد. قال النووي: في الحديث دليل لمن يقول من الأصوليين: «إن النهي يقتضي الفساد ومن قال: لا يقتضي الفساد يقول: هذا خبر واحد، ولا يكفي في إثبات هذه القاعدة المهمة، وهذا جواب فاسد[1] وقال الحافظ: «وفيه أن النهي يقتضي الفساد»[2].

٢ ـ في الحديث أن الإسلام دين كامل لا نقص فيه.

---

(١) شرح مسلم ٤/٣١٢.
(٢) الفتح ٦/٢٣١.

الحديث السادس

«عن أبي عبدِ الله النُّعمان بنِ بَشيرٍ رضي الله عنهما قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أُمورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ فَقَدِ اسْتَبْرأَ لِدينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فيهِ، أَلا وإنَّ لِكُلِّ مَلِك حِمَىً، أَلا وإنَّ حِمَى الله مَحارِمُهُ أَلا وإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ: أَلا وَهِيَ القَلْبُ»[1].

منزلة الحديث:

الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، قال عنه أبو داود السجستاني[2] رحمه الله: الإسلام يدور على أربعة أحاديث، ثم ذكر منها هذا الحديث، وقال بعض العلماء:

عمدة الدين عندنا كلمات مسندات من قول خير البرية.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أبو داود (٢٠٢ ـ ٢٧٥) هـ هو سليمان بن الأشعث بن بشير أزدي من سجستان. إمام في الحديث، شد الرحال لطلب الحديث، وجمع الكثير واختار من نصف مليون حديث ٤٨٠٠ لكتابة السنن المشهور، وهو معدود من أصحاب الإمام أحمد روى عنه المسائل، رحل إلى البصرة لنشر الحديث بها، وتوفي فيها من آثاره العلمية: ١ ـ المراسيل، ٢ ـ البعث.

أترك المشبهات[1] وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية[2].

الحلال والحرام المحض بيِّن :

قوله ﷺ : «إن الحلال بين وإن الحرام بين»
قال الحافظ : أي في عينها ووضعها بأدلتها الظاهرة[3] .

فالحلال المحض بين لا شبهة فيه، كالزواج وأكل الطيبات، ولبس ما يحتاج إليه من القطن والصوف، وكذلك الحرام المحض بين، كشرب الخمر، ونكاح المحارم، ولباس الحرير على الرجال، والزنى والربا.

ولم يمت - ﷺ - حتى بين لأمته ما أحله الله لهم وما حرمه عليهم قال ﷺ : «لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»[4].

والبيان في الحلال والحرام بعضه أظهر من بعض، فهناك أمور معلومة من الدين بالضرورة، وذلك لظهورها واشتهارها، وهذا لا يعذر أحد بجهله يعيش بين ظهراني المسلمين.

وهناك أمور لا يعلمها إلا حملة الشريعة، وتخفى على أغلب عوام المسلمين، وهناك أمور لا يعلمها إلا العلماء الراسخون في العلم.

الأمور المشتبهات :

قوله ﷺ : «وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس» يعني أن بين الحلال البين الظاهر، وبين الحرام البين أمور تشتبه على كثير من الناس،

---

(١) يقصد هذا الحديث الذي تتعرض لشرحه.
(٢) الفتح جزء ١ ص ١٣٧ .
(٣) الفتح جزء ١ ص ١٣٥ .
(٤) صحيح الترغيب للألباني ٥٨ .

هل هي من الحلال أم من الحرام، أما العلماء الراسخون فلا يشتبه عليهم إلا ما ندر وذلك عندما لا يظهر لهم ترجيح أحد الدليلين.

معنى المشتبهات :

المشتبهات جمع مشتبه، وهو مشكل، لما فيه من عدم الوضوح في الحل والحرمة[1] قال النووي: «المشتبهات» معناه أنها ليست بواضحة الحل الحرمة، ولهذا لا يعرفها كثير من الناس، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد، فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي»[2].

وأما إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل، فقد فسر المشتبهات بأنها منزلة بين الحلال والحرام المحض، وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام مثل من اختلط ماله بحرام.

لذلك أفتىٰ إذا كثر الحرام على الحلال، فينبغي أن يجتنبه، وإذا كان الحلال أكثر والحرام يسير جاز استعماله.

وخلاصة ما فسر علماؤنا الشبهات، كما قال الحافظ بن حجر في الفتح :

١ ــ تعارض الأدلة ظاهريا، كما في بعض قضايا العبادات، والمعاملات وغيرها وهذا الذي يرجحه الحافظ رحمه الله.

٢ ــ اختلاف العلماء وهذا يندرج تحت الأول.

٣ ــ مسمى المكروه لأنه يجتذبه جانبا الفعل والترك[3] ويرى الحافظ أن هذا

---

(١) الوافي في شرح الأربعين ٣٢.

(٢) المرجع السابق ٣٢.

(٣) نقل ابن المنير في مناقب شيخه القباري عنه أنه قال: المكروه عقبة بين العبد والحرام فمن استكثر من المكروه تطرق إلى الحرام.

التفسير محتمل وخاصة في حق العلماء لذلك قال: «فالعالم الفطن لا يخفى عليه تميز الحكم، فلا يقع لـه ذلك إلا في الاستكثار من المباح أو المكروه. كما تقرر قبل، ودونه تقع لـه الشبهة في جميع ما ذكر بحسب اختلاف الأحوال. ولا يخفى أن المستكثر من المكروه تصير فيه جرأة على ارتكاب المنهي في الجملة أو يحمله اعتياده ارتكاب المنهي غير المحرم على ارتكاب المنهي المحرم، إذا كان من جنسه، أو يكون ذلك لشبهة فيه، وهو أن تعاطي ما نهى عنه يصير مظلم القلب لفقدان نور الورع فيقع في الحرام، ولو لم يختر الوقوع فيه. ووقع عند المصنف في البيوع من رواية أبي فروة عن الشعبي في هذا الحديث «فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان له أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم، أوشك أن يواقع ما استبان» .

وهذا يرجح الوجه الأول كما أشرت إليه.

٤ ـ المباح ولا يمكن قائل هذا أن يحمله على متساوي الطرفين من كل وجه بل يمكن حمله على ما يكون من قسم خلاف الأولي، بأن يكون متساوي الطرفين باعتبار ذاته راجح الفعل، أو الترك باعتبار أمر خارج قال القباري: والمباح عقبة بين المكروه فمن استكثر منه تطرق إلى المكروه.

والمعنى أن الحلال حيث يخشى أن يئول فعله مطلقا إلى مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه، كالإكثار مثلا من الطيبات فإنه يحوج إلى كثرة الاكتساب الموقع في أخذ ما لا يستحق، أو يفضي إلى بطر النفس، وأقل ما فيه الاشتغال عن مواقف العبودية[1].

والذي أميل إليه ما رجحه الحافظ لأنه موافق لمفهوم المشتبهات أما الأقوال الأخرى فالذي يظهر لي أنها بعيد عن المراد والله أعلم.

---

(١) الفتح ١/١٤٥ ـ ١٤٦.

موقف الناس من المتشابه :

الناس أمام المتشابه ضربان :

١ ــ فمنهم من يتركه ابتغاء مرضاة الله، وتحرزا من الإثم، وذلك لاشتباهه عليهم وعدم وضوح الحكم فيه، وهؤلاء بتركهم المتشابه طلبوا السلامة لدينهم، والبراء لأعراضهم من الطعن.

والعرض ـ كما قال علماؤنا ـ هو موضع المدح والذم من الإنسان، وما يحصل له بذكره بالجميل مدح، وبذكره بالقبيح قدح، وقد يكون تارة في نفس الإنسان وتارة في سلفه أو أهله[1].

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

٢ ــ ومنهم من يقع في المتشابه من حيث هو متشابه عند الناس لا عنده، وذلك لاتضاح الحكم له في القضية فهذا لا حرج عليه في وقوعه، ولكن إن تركه حفاظا لعرضه من الناس فهذا حسن وممدوح، فالمسلم مطالب بالحفاظ على سلامة عرضه، ويشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام لمن رءاه واقفا مع صفية إنها صفية بنت يحيى»[2].

ومنهم من يقع في المتشابه مع أنها مشتبه عليه إتباعا لهواه، فهذا حكمه أنه وقع في الحرام، كما قال ﷺ: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»[3] وفسر العلماء الوقوع في الحرام بمعنيين :

١ ــ أن يكون ارتكابه للشبه مع اعتقاده أنها شبه، ذريعة للوقوع في الحرام وذلك بالتدرج والتسامح.

---

(١) من جامع العلوم والحكم ٦٨.
(٢) مختصر البخاري ص ٤٦٥/ مختصر مسلم ١٤٣٧ ص ٣٧٨.
(٣) صحيح الجامع رقم ٣١٨٨.

وهذا يشهد له قوله عليه السلام: «من اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استان»[1].

٢ ـ إن من أقدم على ما هو مشتبه عنده، لا يدري أهو حلال أو حرام فإنه لا يأمن أن يكون حراما في نفس الأمر فيصادف الحرام وهو لا يدري حرام[2].

حكم المتشابه:

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: واختلف في حكم الشبهات فقيل التحريم وهو مردود، وقيل الكراهة، وقيل الوقف»[3].

ترك الشبهات من الورع الذي رغب به رسول الله ﷺ، وحث عليه لذلك أورد البخاري ـ رحمه الله ـ هذا الحديث في صحيحه في كتاب الإيمان قال رحمه الله: «باب فضل من استبرأ لدينه، وسبب إيراده في كتاب الإيمان كي يبين أن الورع من مكملات الإيمان.

فالقول بأن المتشابه مكروه، كما نقل الحافظ عن بعض العلماء، قول قريب من الصواب والله أعلم.

البعد عن محارم الله عز وجل:

«كالراعي يرعى حول الحمى[4] يوشك أن يرتع[5] فيه، ألا[6] وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه».

---

(١) البخاري كتاب البيوع باب ١ جزء ٣ ص ٤.

(٢) من جامع العلوم والحكم ٦٩.

(٣) فتح الباري ١: ١٣٥.

(٤) الحمى: المحمي، هو المحظور المحرم على غير مالكه. وقيل هو ما يحميه الخليفة أو نائبه من الأرض المباحة لدواب المجاهدين، ويمنع الغير عنه ـ الوافي في شرح الأربعين / ٣٢.

(٥) يرتع فيه: أن تأكل منه ماشيته وتقيم فيه. المصدر السابق.

(٦) ألا: قال الحافظ: للتنبيه على صحة ما بعدها، وفي إعادتها وتكريرها دليل على عظم شأن مدلولها الفتح ١/١٣٧.

يضرب بعض السلاطين حمى لهم، ويمنعون غيرهم من الوقوع فيه، وقد يكون بوجه حق أو بغير حق.

فمن يرعى أغنامه بالقرب من هذا الحمى المضروب فإنه لا يأمن أن تأكل ماشيته منه، وبهذا يعرض نفسه للمسؤولية أمام سلاطين الأرض.

وهذا مثل ضربه صلوات الله وسلامه عليه، لمن يقع في الشبهات فإنه يقرب من الوقوع بالحرام، وبهذا يعرض نفسه لعقاب ملك الملوك.

قال ابن رجب: «وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي التباعد عن المحرمات وأن يجعل الإنسان بينه وبينها حاجزا.

القلب أمير البدن :

قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن في الجسد مضغة[1] إذا صلحت صلح الجسد كله. وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب».

١ ـ سبب تسمية القلب:

قال الحافظ: «سمي القلب قلبا لتقلبه في الأمور أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوبا»[2] والذي يظهر أن المعنى الأول والثاني قريبان من الصواب أما الأخير فبعيد.

٢ ـ سبب الإهتمام بالقلب :

لأن الإنسان يفقه الأمور به ويشهد لهذا قوله جل وعلا: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها﴾**[3] وقوله: **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾**[4].

---

(١) في الفتح ١/١٣٧: المضغة: قدر ما يمضغ، وعبر بها هنا عن مقدار القلب في الرؤية.

(٢) الفتح جزء ١/١٣٧.

(٣) الأعراف ١٧٩.

(٤) ق : ٣٧.

قـال المفسرون: أي عقل وعـبر عنه بـالقلب لأنه محـل استقراره. قـال الحافظ: «يستدل ـ أي بالحديث ـ على أن العقل في القلب»[1] وهـذا ما ذهب إليه الشافعية.

لأن بصلاح القلب، وذلك باستقرار الإيمـان به، تصلح جميـع الجوارح وتستقيم وفق أوامر الدين، وبفساد القلب تفسد باقي الجوارح، قال الحافظ: وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعيـة، وبفساده تفسد»[2].

٣ ـ هل القلب يمرض؟

قال تعالى: ﴿**أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا**﴾[4].

وقـال تعـالى: ﴿**أم حسب الـذين في قلوبهم مـرض أن لن يخـرج الله أضغـانهم**﴾[5] فهذه الآيـات الكريمـات، وغير ذلـك، تجيب بـأن القلوب قـد تصاب بالمـرض، والمقصود بـأمراض القلوب، مـا تصاب بـه من نفاق وشـك وكفر، وقسوة وكبر وحقد وحسد.

فيجب على المسلم أن يحرص على سلامة قلبه من هـذه الأمراض، وأن يجاهد نفسه على سلوك منهج الله، والله وعد من سلك طـريقه وجـاهد نفسـه على ذلك بالهدايـة والاستقامـة، قال تعـالى: ﴿**والذين جـاهدوا فينـا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾[6].

---

(١) الفتح جزء ١/١٣٧.
(٢) الفتح جزء ١/١٣٧.
(٣) النور: ٥٠.
(٤) البقرة: ١٠.
(٥) محمد: ٢٩.
(٦) العنكبوت: ٦٩.

فوائد من الحديث :

١ ــ يستنبط من الحديث، أنه ينبغي للمسلم أن يبعد عن محارم الله عز وجل، ويجعل بينه وبين محارم الله سبحانه حاجزاً .

٢ ــ ينبغي للمسلم أن يسعى لحفظ عرضه، وأن يبعد عن كل ما يشينه، ويعرضه للطعن.

٣ ــ في الحديث دلالة لمن قال بقاعدة سد الذرائع إلى المحرمات، وتحريم الوسائل إليها، كما تدل على ذلك قواعد الإسلام، فحرم قليل المسكر، وحرم الخلوة بالأجنبية، والأدلة على ذلك كثير.

٤ ــ كما استدل بالحديث أن من سيب دابته ترعى قرب زرع غيره فإنه ضامن لما أفسدته من الزرع، وكذلك من أرسل ما يصيد له من كلب أو غيره قرب الحرم، فصاد داخل الحرم، فهو ضامن لما صاد، كما أفتى بذلك الإمام أحمد رحمه الله .

٥ ــ في الحديث إشارة على تعظيم القلب، والحث على بذل الجهد لإصلاحه، لأنه أمير الجوارح فبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد.

الحديث السابع

عَنْ أَبي رُقَيَّـةَ تَميم بْنِ أَوْسٍ الـدَّارِيِّ - رَضيَ الله عنْـهُ - أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَـالَ: «الدِّينُ النَّصيحَـةُ، قُلْنا: لِمَنْ؟ قَـالَ: للهِ ولِكِتـابِـهِ وَلِـرَسُـولِـهِ ولأَئِمَّـةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهم»[1].

منزلة الحديث :

هـذا الحديث لـه شأن عـظيم، لأنه ينص عـلى أن عماد الـدين وقوامـه النصيحة، فبوجودها يبقى الـدين قائما في المسلمين، وبعدمها يـدخل النقص على المسلمين في جميع شؤون حياتهم.

وإذا فسرت النصيحة بمعنى الصدق والإخـلاص، تتضح أهميـة الحديث بجلاء أكبر لأن الصدق والإخلاص شرط في قبول الأعمال.

والنصـح بمعنى: «الخلوص فخلوص النفس لله وتـزكيتهـا وتطييبها هـي غاية رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه».

تعريف النصيحة :

يأتي النصح بمعنى الخلوص.

نصـح الشيء: خلص. والناصـح: الخالص من العسـل وغـيره. وكـل شيء خلص فقد نصح[2]. فشبهوا تخليص القول والفعل مما يفسده، وتخليص النفس مما يدنسها بتخليص العسل من الخلط.

---

(١) شرح مسلم كتاب الإيمان ١/٢٣٧.

(٢) لسان العرب ٢/٦١٥.

كما يأتي بمعنى خاط

والنصح: «مصدر قولك نصحت الثوب إذا خطته»[١].

قال الخطابي:[٢] فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب»[٣].

وذلك أنه يلم شعث أخيه المسلم كما تلم المنصحة[٤] خلل الثوب.

قال الخطابي في تعريف النصيحة: كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له[٥] وقال ابن الأثير[٦] «النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له وقال أبو عمرو بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا.

النصيحة لله:

تكون النصيحة لله سبحانه وتعالى بالإيمان الصادق به، وبما أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وبإخلاص العبادة له وحده، ونفيها عن غيره، وطاعته فيما أمر به، والابتعاد عما نهى عنه وزجر، وحب ما يحب، وبغض

---

(١) لسان العرب ٢/٦١٥.

(٢) الخطابي (٣١٩ ـ ٣٨٨) هـ هو محمد بن محمد بن إبراهيم البُسْتي، أبو سليمان من أهل كابل يقال إنه من نسل زيد ابن الخطاب شقيق عمر الفاروق، إمام من أئمة السنة برز في الفقه والحديث من آثاره العلمية: ١ ـ معالم السنن في شرح أبي داود. ٢ ـ غريب الحديث. ٣ ـ شرح البخاري. ٤ ـ الغنية.

(٣) شرح مسلم للنووي ١/٢٣٨.

(٤) المنصحة: الإبرة.

(٥) شرح مسلم للنووي ١/٣٨.

(٦) ابن الأثير (٥٤٢ ٦٠٦) هـ هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات مجد الدين الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر. كان عالماً مشهورا ورئيساً مشارا إليه تنقل في الأمصار أصيب بمرض أقعده عن الكتابة والحركة أملى مصنفاته الآتية على تلاميذه أثناء مرضه الذي أقعده منها: ١ ـ النهاية في غريب الحديث. ٢ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول. ٣ ـ الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف وهذا كتاب تفسير.

ما يبغض، وموالاة عباده المؤمنين، والتبرأ من أعدائه فمن قام بذلك، فقد خلص نفسه مما يدنسها من أدران الرذيلة ونصح لربه جل وعلا.

فمعنى النصيحة هنا الخلوص لله عز وجل ونصح العبد لنفسه لأن الله عز وجل غني عن نصح الناصحين.

ومما يشهد من الذكر الحكيم لهذا الحديث قوله تعالى: **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ولرسوله﴾**[1] ومعنى النصح لله ولرسوله ﷺ إخلاص القول والفعل، قال القرطبي في تفسيره للآية: «قال العلماء: النصيحة لله إخلاص الإعتقاد في الوحدانية ووصفة بصفات الألوهية، وتنزيهه عن النقائص، والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه»[2].

النصيحة لكتابه:

تكون بالإيمان به على الوجه الذي آمن به سلف الأمة رضوان الله عليهم، قال الطحاوي[3]: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولا. وأنزله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: **﴿سأصليه سقر﴾**[4] فلما أوعده الله بسقره لمن قال: **﴿إن هذا إلا قول البشر﴾**[5] علمنا وأيقنا أنه

(١) التوبة: ٩١.

(٢) تفسير القرطبي ٨/٢٢٧.

(٣) الطحاوي (٢٣٩ - ٣٢١) هـ هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، أبو جعفر من قرية طحا المصرية لذلك نسب إليها تفقه أولا على يد خاله المزني صاحب الشافعي ثم تركه لدراسة الفقه الحنفي حتى صار به إماماً من آثاره العلمية: ١ - أحكام القرآن. ٢ - معاني الآثار. ٣ - شرح مشكل الآثار. ٤ - النوادر الفقهية. ٥ - العقيدة الطحاوية، وهو كتاب ممتاز بين فيه معتقد سلف الأمة، حققه العلامة الألباني، كما اختصره بكتيب جميل أنصح بدراسته.

(٤) المدثر: ٢٦.

(٥) المدثر: ٢٥.

قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر[4].

فمن آمن بمثل ما آمن به سلف الأمة نجا مما وقع به المعتزلة وغيرهم، فالمعتزلة يعتقدون أن القرآن لم بيد منه، وأن اللفظ كلام الله دون المعنى، والكلابية يعتقدون أن المعنى كلام الله دون اللفظ، ومن النصح للكتاب تعظيمه، وإجلاله، والإعتقاد بأنه منهج للحياة شامل كامل صالح لكل زمان ومكان، وبذل ما في الوسع لإقامته حكما مهيمنا في مجتمعات المسلمين التي هجرت أحكامه وتعاليمه.

ومن النصح له إتقان تلاوته قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾[2] وتعليمه للمسلمين قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[3].

النصيحة لرسول الله ﷺ:

تكون النصيحة لرسول الله ﷺ، كما قال القرطبي عند تفسير الآية: ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾[4] قال: النصيحة لرسوله التصديق بنبوته، والتزام طاعته في أمره ونهيه، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، وتوقيره، ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيمه وتعظيم سنته، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها، والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء إليها، والتخلق بأخلاقه الكريمة ﷺ»[5].

النصيحة لأئمة المسلمين:

تكون النصيحة لقادة المسلمين، كما بين الحافظ بن حجر في الفتح:

---

(١) مختصر العقيدة الطحاوية للألباني ٢٤.

(٢) المزمل: ٤.

(٣) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن ٦/ ١٨٠.

(٤) التوبة: ٩١.

(٥) تفسير القرطبي ٨/ ٢٢٧.

«إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن»[1].

النصيحة لعامة المسلمين :

تكون كما بين العلامة النووي: «إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان في السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه[2].

والنصيحة لا تقتصر على المسلمين فقط، بل تجب لغير المسلمين كذلك، لقد قام ﷺ ينصح قومه، وبذل كل ما في وسعه لإنقاذهم من ظلمات الشرك والوثنية، ولاقى من الأذى في سبيل ذلك ما لا يعلمه إلا الله عز وجل .

منزلة الناصحين :

نصح عباد الله إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم هذا هو عمل رسل الله عليهم السلام.

---

(١) الفتح ١/١٤٦.

(٢) شرح مسلم للنووي جزء ١/ ٢٣٩.

قال تعالى مخبرا عن نبيه هود عليه السلام وهو ينصح قومه: ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾[1].

وقال تعالى مخبرا عن نبيه صالح وهو يخاطب قومه بعد أن أهلكم الله سبحانه: ﴿فتول عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾[2].

فكفى بالمرء شرفاً أن يقوم بما قام به أشرف خلقه، وهم أنبيائه ورسله، والنصح من أسباب سمو أنبياء الله عليهم السلام، فمن أراد أن يسمو في موازين رب السموات والأرض، فعليه أن يقوم بهذه المهمة العظيمة الجليلة.

حكم النصيحة:

قال النووي: «والنصيحة فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط عن غيره وهي لازمة على قدر الطاعة».

وأرى أن النصيحة بمعناها الشامل الذي بيناه، منها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها الواجبة، ومنها المستحبة، لأن رسول الله ﷺ بين أن الدين النصيحة والدين منه الواجب ومنه المستحب ومنه فرض العين والكفاية.

فوائد الحديث:

١ ـ قال الحافظ في الفتح: جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب من قوله: «قلنا لمن»[1] وإن النصيحة تسمى ديناً وإسلاما وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول.

---

(١) سورة الأعراف: ٦٨.

(٢) سورة الأعراف: ٧٩.

(٣) الفتح جزء ١ ص ٢٤٠.

٢ ـ قول البخاري في صحيحه باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» وقوله تعالى: ﴿**إذا نصحوا لله ورسوله**﴾[1] في كتاب الإيمان لبيان، أن النصيحة من الإيمان.

---

(١) التوبة: ٩١.

الحديث الثامن

عن ابن عُمَر ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إِلَّا الله وأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزكاةَ فإذا فَعَلوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وَأَموالَهُمْ إِلَّا بِحقِ الإِسلامِ وحِسابُهُم عَلى الله تَعالىٰ»[1].

منزلة الحديث:

هذا الحديث عظيم، لأنه ينص على قواعد الدين وأصوله، من توحيد الله وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والجهاد في سبيله، وإقامة باقي واجبات الإسلام. كما ينص على حرمة دم المسلم وماله.

وجوب القتل:

قوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس» الآمر له هو الله عز وجل، قال تعالى: **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**[2].

---

(١) البخاري كتاب الإيمان ١/١١ واللفظ له وشرح مسلم الإيمان ١/١٧٩.
(٢) البقرة: ٢١٦.

فرض الله عز وجل القتال على المسلمين، لرد كيد الأعداء، ولرفعة راية عقيدة الإسلام، حتى تهيمن على أمم الأرض، وسمح الإسلام لأهل الكتاب أن يبقوا على دينهم فقط، بشرط دفع الجزية، وأما مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل[1] وقال الزهري[2]: الجهاد واجب على كل أحد، غزا أو قعد، فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين وإذا استغيث أن يغيث، وإذا استنفر أن ينفر، وإن لم يحتج إليه قعد[3]

العاصم للدماء والأموال :

بين عليه الصلاة والسلام العاصم للدماء من الهدر وهي :

١ ـ النطق بالشهادتين «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[4] قال ابن رجب: «من المعلوم بالضرورة، أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلما، فقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف، واشتد نكيره عليه، ولم يكن النبي ﷺ ليشترط على من جاءه يريد الإسلام، ثم أنه يلزمه الصلاة والزكاة[5].

٢ ـ إقامة الصلاة وذلك لقوله ﷺ: «ويقيموا الصلاة» أن يداوموا على إقامتها وبشروطها وأركانها، والمقصود بالصلاة المفروضة، قال النووي: في هذا الحديث أن من ترك الصلاة عمدا يقتل[6].

---

(١) قال الخطابي وغيره: المراد بهذا أهل الأوثان ومشركوا العرب ومن لا يؤمن دون أهل الكتاب.

(٢) الزهري (٥٨ ـ ١٢٤) هـ هو محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب من قبيلة بني زهرة من قريش، تابعي حافظ فقيه، سكن المدينة ثم الشام، أول من دون السنة مع فقه الصحابة، أخذ عن بعض الصحابة، وأخذ عنه مالك بن أنس وطبقته.

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٣٦٨.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) جامع العلوم والحكم/ ٧٩.

(٦) الفتح ١/٨٣.

ومن الأدلة التي تشهد أن تارك الصلاة لا يعصم دمه، قوله عز وجل: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾[1].

وهذه الآية الكريمة من حجج من قال: بقتل تارك الصلاة إذا لم يتب.

ومنها قوله عليه السلام: إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد بريء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا يا رسول الله: ألا نقاتلهم، قال: لا ما صلوا»[2].

فقوله ﷺ: «لا ما صلوا» يدل أن الصلاة مانعة من مقاتلة أمراء الجور.

ومنها عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهيبة فقسمه بين أربعة. فقال رجل: يا رسول الله اتق الله، فقال: ويلك أولست أحق من أهل الأرض أن يتقي الله، ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد. يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لا لعله أن يكون يصلي»[3] فقوله عليه السلام: «لا لعله أن يكون يصلي» دليل أن الصلاة موجبة لحقن الدم مع الأمور المذكورة في بقية الأحاديث.

وممن ذهب إلى القول بقتل تارك الصلاة من علمائنا وأئتمنا الأعلام، مالك والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية وابن المبارك وشيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني وغيرهم ولكن ذهب بعضهم إلى القول بقتله ردة وذهب بعضهم إلى أنه يقتل حدا[4].

وهنا كلام قيم للشيخ ناصر الدين الألباني أنقله بالنص: «إن التارك

---

(١) التوبة: ٥.

(٢) شرح مسلم كتاب الإمارة ٤/٥٢٠.

(٣) البخاري كتاب المغازي ٥/١١٠ وشرح مسلم كتاب الزكاة ٣/١١٠.

(٤) وهذا راجع لاختلافهم في حكم تارك الصلاة من حيث الشهادة له بالكفر أو الإسلام وسبق بيان هذه القضية أثناء شرح الحديث الثالث.

للصلاة كسلا إنما يصح الحكم بإسلامه، مادام لا يوجد هناك ما يكشف عن مكنون قلبه، أو يدل عليه، ومات على ذلك، قبل أن يستتاب كما هو الواقع في هذا الزمان، أما لو خير بين القتل والتوبة بالرجوع إلى المحافظة على الصلاة فاختار القتل عليها، فقتل فهو في هذه الحالة يموت كافرا، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا تجري عليه أحكامهم لأنه لا يعقل، لو كان غير جاحد لها في قلبه ـ أن يختار القتل عليها، وهذا أمر مستحيل، معروف بالضرورة من طبيعة الإنسان لا يحتاج اثباته إلى برهان»[1].

٣ ـ إيتاء الزكاة، وذلك لقوله ﷺ: «ويؤتوا الزكاة» فمن أدى الزكاة عصم دمه وماله، ومن أنكر وجوبها فإنه يكفر ويخرج من الملة، ومن امتنع عن أدائها مع اعتقاده بوجوبها فإنه يأثم ولا يخرج من الملة، وعلى إمام المسلمين أن يأخذها منه قهرا، ولو امتنع قوم عن أدائها بغير جحود بفرضيتها، وكانت لهم قوة ومنعة فعلى إمام المسلمين أن يقاتلهم عليها حتى يعطوها، ومما يشهد لذلك من النصوص:

عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى»؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق، ولفظ مسلم، وأبي داود، والترمذي: لو منعوني عقالا بدلا «عناقا»[2].

ومما يشهد كذلك قوله جل وعلا: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا

(١) السلسلة ١/١٣٢.

(٢) رواه الجماعة.

الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾[1].

قال أبو بكر بن العربي[2] معقبا على هـذه الآية: دليـل صحيح عـلى ما كان الصديق ـ رضي الله عنـه ـ تعلق به عـلى أهل الـردة في قولـه لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكـاة فإن الـزكاة حق المـال، لأن الله تعالى علق العصمـة بإقام الصلاة وإيتاءالزكاة فتعلق بهما»[3].

٤ ــ الإلتزام بباقي حقوق الإسلام:

استنبط أبو بكر رضي الله عنه من قوله ﷺ: «إلا بحق الإسلام وجوب قتال مانعي الـزكاة» وقـال: «والله لأقاتلن من فـرق بين الصـلاة والزكـاة فإن الزكاة حق المال».

ومن العلماء من قال بقتال الممتنعين عن الحج والصيـام استدلالا بقـوله «إلا بحق الإسـلام» وقال سعيـد بن جبير: قـال عمـر بن الخـطاب: لـو أن الناس تركوا الحج لقاتلناهم عليـه كما نقـاتلهم على الصـلاة والزكـاة وقال ابن رجب: وهذا الكلام في قتال الطائفـة الممتنعة عن شيء من الـواجبات. وأمـا قتل الواحد الممتنع عنها فأكثر العلماء على أنه يقتل الممتنع عن الصلاة.

وكذلك من حقها ارتكاب المسلم ما يبيح دمه، كقتل النفس التي حـرم الله، والـزنى بعد الإحصـان، والردة. قـال ﷺ: «لا يحـل دم امـرىء مسلم

---

(١) التوبة: ٥.

(٢) ابن العربي (٤٦٨ ـ ٥٤٣) هـ هو محمد بن عبدالله بن محمد أبو بكر، من كبار علماء المالكية، متبحر في علوم الدين مجتهد، رحل إلى المشرق، وأخذ عن الطرطوشي وأبي حامـد الغزالي، ثم رجع إلى مراكش، أخذ عنه القاضي عياض، تـرك آثارا علميـة تدل عـلى غزارة علمـه، ودقة فقهه منها: ١ ـ عـارضة الأحـوذي شرح الترمـذي. ٢ ـ أحكام القـرآن. ٣ ـ المحصول في علم الأصـول. ٤ ـ مشكل الكتـاب والسنة. ٥ ـ العـواصم من القواصم وهـو كتـاب ممتاز أنصح بدراسته لاحتوائه على مادة علمية غزيرة وعزيزة. وفقنا لدراسته مع بعض الأخوة فاستفدنا منه استـفادة عظيمة.

(٣) أحكام القرآن ٢/٩٠٣.

يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»[1].

فمن نطق بالشهادتين وصلى وزكى، وقام بواجبات الدين، ولم يرتكب ما يبيح دمه فقد حرم دمه وماله، قال ﷺ: «فإذا فعلوا ذلك عصموا مني[2] دماءهم وأموالهم».

الأحكام تجري على الظواهر والله يتولى السرائر:

قوله ﷺ: «وحسابهم على الله تعالى» من أظهر لنا الإسلام، وقام بما يجب عليه، عصم دمه وماله، وعومل معاملة المسلمين فإن قصد بإسلامه الله والدار الآخرة فهو مؤمن، له الجزاء الأوفى يوم الدين.

ومن قصد بإسلامه التقية من القتل. فهذا منافق أمر سريرته إلى الله. وكذلك من صلى بغير طهارة، أو أفطر في رمضان في بيته وادعى أنه صائم، فهذا يقبل منه الظاهر، وتوكل سريرته إلى الله عز وجل وكان - ﷺ - يجري أحكام الإسلام على المنافقين، مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن.

فوائد الحديث:

١ ـ قال الحافظ: الاكتفاء في قبول الإيمان بالاعتقاد الجازم خلافا لمن أوجب تعلم الأدلة[3].

٢ ـ قال ابن رجب: قوله «عصموا مني دماءهم وأموالهم» يدل على أنه كان عند هذا القول مأمورا بالقتال، ويقتل من أبي الإسلام وهذا كله بعد هجرته إلى المدينة[4].

---

(١) رواه البخاري/ شرح مسلم كتاب القسامة ٢٤٣/٤ واللفظ لمسلم وسيأتي شرحه إن شاء الله.
(٢) «عصموا» أي منعوا، وأصل العصمة من العصام، وهو الخيط الذي يشد به على فم القربة لمنع سيلان الماء.
(٣) فتح الباري جزء ١ ص ٨٣.
(٤) جامع العلوم والحكم.

٣ ـ في الحديث رد على المرجئة الذين زعموا أن الإيمان لا يحتاج إلى الأعمال، لذلك أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الإيمان للرد عليهم.

٤ ـ في الحديث دليل على قبول الأعمال الظاهرة، والحكم لهم بما يقتضيه هذا الظاهر، وتوكل السرائر إلى الله.

٥ ـ كما يؤخذ منه عدم تكفير أهل البدع المقرين بتوحيد الله عز وجل المقيمين لشرائعه.

الحديث التاسع

عَنْ أَبي هريرةَ عبدِ الرحمن بن صَخْرٍ ـ رضي الله عَنْهُ ـ قالَ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: ما نَهَيْتُكُم عَنْهُ فاجْتَنِبوهُ، وما أَمَرتُكُم بِهِ فأتوا منه ما استطعتم، فإنَّما أَهْلَكَ الذينَ من قَبْلِكم كَثْرَةُ مسائِلِهِم واخْتِلافِهِم على أَنبيائِهِم»[1].

منزلة الحديث:

هذا الحديث من جوامع كلمه، ﷺ فيه وجوب اتباع أمره والتسليم لما جاء به من غير معارضة، وأن الطاعة بقدر الاستطاعة وفيه التحذير من الوقوع بما وقعت به الأمم السابقة، فأدى ذلك إلى هلاكها. قال النووي: هو من قواعد الإسلام[2].

سبب الحديث:

عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله، فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) شرح مسلم ٥/٢٠٥.

(٣) رواه مسلم كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر.

السائل هو الأقرع بن حابس كما أورد ابن ماجة في سننه رواية نصت على ذلك.

اجتناب المنهيات:

قوله عليه الصلاة والسلام «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه» فيجب على المسلم أن يجتنب ما نهى الله عنه ورسوله جملة وتفصيلا، وألا يقع فيها إلا لضرورة ألجأته إلى ذلك، ففي هذه الحالة يباح له الوقوع فيها مراعيا القيود والشروط التي بينها الشرع في ذلك.

والنهي ضربان:

١ ـ نهي التحريم: «وهو مايثاب تاركه امتثالاً، ويعاقب فاعله، وهو ما جاء على سبيل الحتم والإلزام، مثل شرب الخمر والزنى وأكل الربا والتبرج والغش والغيبة والنميمة، وغيرها من المنهيات.

٢ ـ نهي الكراهة أو التنزيه «وهو ما يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله، وهو ما لم يأت على سبيل الحتم والإلزام، مثل الكلام بعد العشاء وأكل الثوم والبصل.

والمكروه يجوز للعبد أن يفعله، سواء دعت الضرورة إلى ذلك أم لا ولكن الأليق والأكمل للمسلم التقي، أن يجتنب المكروهات حتى يرتقي في موازين رب السموات والأراضين.

فعل المأمورات:

قوله ﷺ: «وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» ما طلب الله منا فعله أو قوله ضربان فمنه:

أ ـ أمر إيجاب وإلزام: وهو ما يثاب فاعله امتثالا، ويعاقب تاركه، كإقام

الصلاة وباقي أركان الدين وطاعة الوالدين، والعدل بالحكم وإقامة الحدود، والنفقة على من تجب عليهم النفقة، وغيرها من الواجبات التي امرنا بها.

ب ـ أمر استحباب: وهو ما يثاب فاعله امتثالا، ولا يعاقب تاركه، مثل السنن الرواتب، والسواك والغسل للإحرام، وغيره من المستحبات.

فيجب على المسلم أن يحرص على أداء الواجبات بجد وقوة، ويؤديها على الوجه الأكمل، ويجاهد نفسه على ذلك فإذا استقام عليها وطوع نفسه على ذلك، فعليه أن يقوم بما يستطيع من المستحبات، حتى يسمو عند ربه ويكسب الثواب والأجر، والمطلع على سيرة سلف الأمة، يجد أن لهم في ميدان المستحبات باعا طويلا، وكان هذا ميدان تنافسهم.

الميسور لا يسقط بالمعسور:

قوله ﷺ «فأتوا منه ما استطعتم» استنبط العلماء من قوله، هذه القاعدة الميسور لا يسقط بالمعسور، ومعناها: أن المكلف في بعض الأحيان يشق عليه فعل واجب من الواجبات، ولكن يتيسر له فعل بعضه.

ففي هذه الحالة يجب عليه فعل المتيسر له منه، كمن وجد ماء لا يكفي لرفع الحدث، فعلية في هذه الحالة استعماله في بعض أعضائه ويتيمم للباقي، وكذلك من قدر على تغيير جزء من منكر أو تخفيفه ففي هذه الحالة يجب عليه فعل ما تيسر له، وكذلك من عجز عن بعض أركان وشروط الصلاة فعليه أن يأتي بما يستطيع منها، ولا تسقط عنه الصلاة بسبب عجزه عن بعضها.

ولكن هذه القاعدة ليس على إطلاقها، فلابد من مراعاة ضوابطها، فمثلا من زال عنه مرض منعه عن الصيام في نهار رمضان، لا يجب عليه الإمساك لباقي اليوم، لأن صيام بعض اليوم ليس بقربة في نفسه كما بين العلماء.

ومما يشهد لهذا الحديث من القرآن الكريم قوله جل وعلا ﴿فاتقوا الله ما أستطعتم﴾.

سبب هلاك الأمم:

قوله ﷺ «فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم».

في الحديث بيان سبب هلاك ودمار الأمم، فعلينا أن نحذر من الوقوع بما وقعت به.

كثرة مسائلهم:

والأسئلة التي هي سبب للهلاك كالآتي:

١ ـ السؤال عما سكت عنه الشرع ولم يبينه، لأن الله عز وجل تكفل ببيان ما يسعد الإنسان في دنياه وآخرته، فالعجلة هنا مذمومة، وقد يقع بسبب السؤال تكليف مع التشديد، فبذلك يوقع المسلمين في حرج بسبب مسألته قال رسول الله ﷺ: «أن أعظم المسلمين في المسلمين[١] جرما، من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين، فحرم من أجل مسألته»[٢] قال النووي: «وهذا النهي خاص بزمانه ﷺ أما بعد أن استقرت الشريعة وأمن من الزيادة فيها، زال النهي بزوال سببه.

٢ ـ السؤال فيما لافائدة فيه ولا حاجة له، وقد تكون الإجابة تسوء السائل، كما ثبت في السنة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس «سلوني عما شئتم: فقال رجل[٣]: من أبي يا رسول الله قال: أبوك

---

(١) المقصود بالجرم كما قال الجمهور الإثم والذنب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سبب سؤاله للنبي ﷺ أنه كان إذا لاحى الرجال دعي إلى غير أبيه.

حذافه: فقام آخر فقال «من أبي يا رسول الله قال أبوك سالم موسى شيبه.. فلما رأى عمر ما في وجه رسول الله ﷺ من الغضب قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله»[1].

٣ ـ السؤال على وجه الاستهزاء والسخرية والعبث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم**﴾[2].

٤ ـ كثرة السؤال في المسائل التي لم تقع، قال الحافظ: وفي الحديث إشارة إلى الاشتغال بالأهم المحتاج إليه عاجلا عما لا يحتاج إليه في الحال، فكأنه قال: عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي، فاجعلوا اشتغالكم بها عوضا عن الإشتغال بالسؤال عما لم يقع، فينبغي للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله، ثم يجتهد في تفهم ذلك والوقوف على المراد به، ثم يتشاغل بالعمل به، فإن كان من العلميات يتشاغل بتصديقه واعتقاد حقيقته، وإن كان من العمليات بذل وسعه في القيام به فعلا وتركا، فإن وجد وقتا زائدا على ذلك فلا بأس بأن يصرفه في الاشتغال بتعرف حكم ما سيقع على قصد العمل به أن لو وقع، فأما إن كانت الهمة مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع مع الإعراض عن القيام بمقتضى ما سمع، فإن هذا مما يدخل في النهي فالتفقه في الدين إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال»[3] ومما يشهد لكلام الحافظ عن زيد بن ثابت وأنه كان إذا سئل عن الشيء يقول «كان هذا فإن قيل لا قال دعوه حتى يكون» وكذلك عن عمر: أحرج عليكم أن تسألوا عما لم يكن فإن لنا فيما كان شغلا».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) المائدة: ١٠١.

(٣) الفتح ١٧/٢٣، ٢٤.

٥ ـ السؤال على وجه التشدد والتعنت والتعمق، لأنه قد تكثر الإجابة عليه ويصعب امتثاله، كما وقع بنو إسرائيل بذلك عندما أمروا بذبح بقرة، فلو ذبحوا أي بقرة لأجزأت، ولكنهم شددوا على أنفسهم بكثرة أسئلتهم فسألوا كما أخبر الله عنهم **﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾**، **﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾**، **﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي﴾** فشدد الله عليهم، وذمهم، فخشى صلوات الله وسلامه عليه على أمته أن تقع بما وقعوا به فنهى عن كثرة الأسئلة.

٦ ـ السؤال عما اخفاه الله عز وجل عن خلقه لحكمة يعلمها سبحانه، مثل السؤال عن سر القضاء والقدر، وعن وقت قيام الساعة، وعن حقيقة الروح وعن كيفيات أمور الغيب.

جاء رجل إلى مالك فقال: يا أبا عبدالله «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء «يعني العرق» وأطرق القوم، فسرى[1] عن مالك وقال: الكيف غير معقول، والإستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه، وإني أخاف أن تكون ضالا، وأمر به فأخرج.

أما ما عدا ذلك من الأسئلة فهو مطلوب شرعا، قال تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** ومنه ماهو فرض عين، مثل أحكام الطهارة والصلاة والصيام وغيرها.

ومنه ما هو فرض كفاية، وهو السؤال للتوسع في علوم الدين كعلم الفرائض والقضاء، ومنه ماهو مندوب مثل السؤال عن أعمال البر والقربات التي هي في اطار المستحبات.

---

(١) انكشف عنه الهم.

اختلافهم على أنبيائهم:

يحذرنا ﷺ من مخالفة أمره كما، حذرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في أكثر من موضع عن عاقبة الأمم التي خالفت رسولها فأخبر بأنه أهلك قوم نوح بسبب إعراضهم وعصيانهم لرسولهم قال تعالى: **﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾**[1]. فبين سبحانه ما حل بهم من عقابه **﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾**.

فيجب على المسلمين أن يتبعوا رسولهم فيما شرع لهم عن ربه جل وعلا، في كل شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، وليحذروا من مخالفته قال تعالى **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[2] قال الحافظ ابن كثير: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا «أن تصيبهم فتنة» أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة «أو يصيبهم عذاب أليم» أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك[3].

والنصوص التي تحذر من مخالفته ﷺ معلومة يطول ذكرها.

اجتهاد النبي ﷺ:

قوله ﷺ «لو قلت نعم لوجبت» فيه دليل على أن النبي ﷺ له أن يجتهد في الأحكام، فإن أصاب أقره الله تبارك وتعالى على ذلك، وإن أخطأ قومه سبحانه وتعالى ولم يتركه على خطأه.

قال النووي: ففيه دليل للمذهب الصحيح، أنه ﷺ كان له أن يجتهد

---

(١) نوح: ٢١.
(٢) النور: ٦٣.
(٣) تفسير ابن كثير ٦/٩٧.

في الأحكام ولا يشترط في حكمه أن يكون بوحي[1].

وقال ابن كثير «قوله: لتحكم بين الناس بما أراك الله»[2] احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان عليه السلام له أن يحكم بالإجتهاد بهذه الآية، وبما ثبت في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته، فخرج إليهم فقال «ألا إنما أنا بشر، وإنما أقضي بنحو ما أسمع، ولعل أحدكم أن يكون ألحن، بحجته من بعض، فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها».

فوائد من الحديث:

١ ـ قال النووي قوله ﷺ «ذروني ما تركتم» فيه دليل على أن الأصل عدم الوجوب، وأنه لا حكم قبل ورود الشرع، وهذا هو الصحيح عند محققي الأصوليين لقوله تعالى ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾.

٢ ـ قال الحافظ: وفي الحديث إشارة إلى الاشتغال بالأهم المحتاج إليه. عاجلا عما لا يحتاج إليه في الحال.

٣ ـ وجوب الحج في العمر مرة واحدة وهذا ما عليه الإجماع.

---

(١) شرح مسلم ٣/٤٨٣.

(٢) النساء: ١٠٥.

الحديث العاشر

عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْـهُ ـ قَالَ: قَـالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله تعـالىٰ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبـاً، وإنَّ الله أَمَـرَ المُؤْمنينَ بِمـا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فقالَ تعالىٰ: ﴿يا أَيُّها الرُّسُـلُ كُلُوا مِنَ الطَّيبـاتِ واعْمَلُوا صـالِحاً﴾[1] وقَـالَ تَعالىٰ: ﴿يـا أَيُّها الـذين آمنـوا كُلُوا مِنْ طَيباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾[2]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُـطيلُ السَّفَـرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلىٰ السَّماءِ، يـارَبُ.. يا رَبُّ، وَمَـطْعَمُهُ حَـرامٌ وَمَشْرَبُـهُ حَرامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرامٌ وَغُذِّي بالحَرَام، فَأَنَّى يُسْتَجابُ لَهُ؟»[3].

منزلة الحديث:

الحديث له شأن عظيم، فهو من قواعد الدين، نص على أهميته الـطيبة في عمـوم الأعـمال التي يتقـرب بهـا إلى الله عـز وجـل، وإنها شرط في قبـول الأعمال الصالحة.

كما فيه الحث على الأكل والشرب واللبس من الحـلال الطيب، والبعـد عن الحرام الخبيث لأنه سبب في عدم استجابة الدعاء، الـذي هو من أعـظم العبادات التي يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

---

(١) المؤمنون: ٥١.
(٢) البقرة: ١٧٢.
(٣) رواه مسلم.

تنزيه الله تعالى عن النقائص :

نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن النقائص والعيوب كلها، فنزه نفسه عن الصاحبة والولد، قال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾[1] ونزه نفسه كذلك عن الظلم، قال تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾[2] كما نزه نفسه عن النوم، قال تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[3] إلى غيرها من الآيات التي ينزه الله بها نفسه عما لا يليق بجلاله وعظمته .

فقوله ﷺ: «إن الله تعالى طيب» تنزيه لربه جل وعلا عن النقائص والعيوب كلها، لأن معنى الطيب هو الطاهر المقدس المنزه من العيوب والنقائص كلها .

معنى القبول :

قوله ﷺ: «لا يقبل إلا طيبا» جاءت أحاديث كثيرة غير هذا الحديث فيها نفي القبول لبعض الأعمال والأقوال، وذلك لوقوع صاحبها بمحظور أو لتقصير بشرط، أو ركن من العمل الذي يتقرب به إلى ربه عز وجل، فلابد من فهم معنى نفي القبول كما بينه أهل العلم .

يأتي نفي القبول في بعض الأحاديث، بمعنى نفي الأجر والثواب مع سقوط العمل الواجب من الذمة، مثل قوله ﷺ:

«لا تقبل صلاة لامرأة تطيب لهذا المسجد، حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة»[4].

---

(١) مريم: ٨٨ ـ ٩٢.

(٢) النساء: ٤٠ .

(٣) البقرة: ٢٥٥ .

(٤) صحيح الجامع للألباني ٢٧٦٢ .

ويأتي نفي القبول بمعنى نفي صحة العمل وبطلانه، مثل قوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[1] فالصلاة بغير طهارة لا تسقط من الذمة، ولا يقبلها الله عز وجل.

فالمقصود بنفي القبول في قوله ﷺ: «لا يقبل إلا طيبا» نفي حصول الثواب والأجر والرضا ومدح فاعله والثناء عليه بين الملائكة والمباهاة به، أما من حيث قبول الصدقة بالمال الحرام فغير مقبولة وذلك لقوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»[2][3]، والإمام الشافعي يرى أن المال الحرام يحفظ حتى يعرف صاحبه، ولا يتصدق به.

الأكل الحلال:

قوله ﷺ « وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين : فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا**﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾[5].

في الحديث الأمر بالأكل مما أحل الله، وأن يكون بكسب طيب، والابتعاد عما حرمه الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله**﴾[6] ودائرة الحرام التي حرمها الله ضيقة وقليلة، وأما الحلال فهو واسع وكثير.

فيجب على العبد أن يتحرى الحلال الطيب في مطعمه ومشربه وكسبه، لأن الحرام سبب في منع قبول الدعاء والعبادة.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الغلول : الأخذ من الغنيمة قبل أن توزع .
(٣) رواه مسلم.
(٤) المؤمنون: ٥١.
(٥) البقرة: ١٧٢.
(٦) البقرة: ١٧٣.

شروط قبول الأعمال :

أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح، ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا﴾[1]، ولكن وضع شروطا لقبول هذه الأعمال، منها ما ورد في قوله في هذا الحديث «لا يقبل إلا طيبا» فالطيبة شرط في قبول الأعمال كلها، في الصدقة وفي غيرها، ففي الصدقة ورد قوله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل»[2] .

وفي غير الصدقة يدل عليه عموم قوله : «لا يقبل إلا طيبا» فهذا يشمل جميع الأقوال والأعمال، التي يتقرب بها إلى الملك العلام. ومما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[3] والكلم الطيب هو الذكر والتلاوة والدعاء.

والمقصود بطيبة الأعمال والأقوال خلوها من الرياء، والعجب والمقاصد والأغراض، وأن تؤدى كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى.

أسباب إجابة الدعاء وبعض آدابه :

١ ـ إطالة السفر لإجابة الدعاء، وذلك من قوله ﷺ: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر» ففي ذلك إشارة إلى أن السفر سبب لإجابة الدعاء، ويشهد له حديث آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[4] والسبب في ذلك ـ والله أعلم ـ لأن غالبا ما

---

(١) الكهف: ١١٠.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٣) فاطر ١٠.
(٤) صحيح رواه الترمذي وأبو داود.

يؤدي السفر إلى انكسار النفس بسبب طول الغربة، وتحمل المشاق، وهذا من أعظم أسباب الإجابة.

٢ ــ حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والإغبار[١] وذلك من قوله ﷺ: «أشعث أغبر» ويشهد لذلك قوله ﷺ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[٢].

وقوله: «رب ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره»[٣] كما يشهد له من فعله ﷺ خروجه لصلاة الإستسقاء متبذلا متواضعا متضرعاً.

وكان مطرف بن عبدالله قد حبس له ابن أخ، فلبس خلقا من ثيابه، وأخذ عكازا بيده، فقيل له ما هذا قال: أستكين لربي لعله أن يشفعني في ابن أخي»[٤].

٣ ــ مد اليدين إلى السماء، وذلك من قوله ﷺ: «يمد يديه إلى السماء يا رب» ولقوله «إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين»[٥] كما ثبت عنه رفع اليدين أثناء الاستسقاء، والدعاء يوم بدر، ورفع اليدين لها كيفيات منها:

ــ الإشارة باصبعه السباية فقط، فعل ذلك على منبره ﷺ.
ــ رفع اليدين وجعل ظهورهما تجاه القبلة، رويت عنه هذه الصفة في الإستسقاء.
ــ رفع اليدين وجعل ظهورها إلى السماء، وذلك لما رواه أنس أن النبي ﷺ استقسى، فأشار بظهر كفيه إلى السماء.

---

(١) هذا من قول ابن رجب رحمه الله.
(٢) صحيح الجامع للألباني ٣٤٧٨.
(٣) صحيح الجامع للألباني ٣٤٨١.
(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٩٨.
(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

٤ ـ الإلحاح بالدعاء، والعزم في المسألة، وذلك بتكرير ذكر ربوبيته، وذلك من قوله «يارب يارب» وهذا فيه إشارة على الحرص الشديد على حصول المطلوب، كما يشهد لذلك قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش»[1].

٥ ـ إطابة المطعم والمشرب والملبس سبب لإجابة الدعاء، وذلك من قوله ﷺ: «مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له» ووجه الإستفهام هنا على وجه التعجب والاستبعاد، وعندما سأل سعد رسول الله أن يكون مستجاب الدعوة، قال عليه السلام: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة».

هذه بعض الشروط والآداب التي تتعلق بالدعاء، تعرض لها هذا الحديث، وهناك شروط ومسائل أخرى لم يتعرض لها الحديث، فمن أراد الإستزادة، أنصحه بالرجوع لرسالة الدعاء لمؤلفها الشيخ عبدالله الخضري - جزاه الله خيرا - فإنها رسالة قيمة بذل بها المؤلف جهدا يحمد عليه.

---

(١) رواه مسلم.

الحديث الحادي عشر

عن أبي محمدٍ الحسنِ بنِ عَلَيٍّ بنِ أبي طالبٍ، سِبْطِ[1] رسولِ الله ﷺ وَرَيْحانَتِهِ[2] - رضي الله عنهما - قال: حفظت من رَسولِ الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ»[3].

منزلة الحديث:

أصل هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وهي الأخذ باليقين في الأمور وترك المشتبهات، قال ابن حجر الهيتمي[4]: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وأصل في الورع الذي عليه مدار المتقين، ومنج من ظلم الشكوك والأوهام المانعة من نور اليقين.

البعد عن الشبهات:

قوله - ﷺ - : «دع ما يريبك[5] إلى ما لا يريبك»

---

(١) يعني ابن ابنته فاطمة رضي الله عنها.

(٢) وذلك لسروره به وإقبال نفسه عليه ﷺ.

(٣) قال النووي: رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع / ٣٣٧٢.

(٤) ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٣) هو أحمد بن حجر الهيتمي - وعندالبعض الهيثمي - السعدي الأنصاري شهاب الدين أبو العباس ولد بمصر بمحلة أبي الهيتم تعلم بالأزهر، شافعي المذهب، سكن مكة، وألف بها كتبه وتوفي فيها - آثاره العلمية: ١ - تحفة المحتاج شرح المنهاج. ٢ - الإيعاب شرح العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعية والأصحاب. ٣ - فتح المبين لشرح الأربعين.

(٥) أي ما تشك به قال ابن رجب: والريب: بمعنى القلق والإضطراب.

يأمر[1] ﷺ بالبعد عن الأمور المشكوك فيها، والأخذ بالأمور المتيقن منها، وبهذا يحفظ المسلم عرضه من الذم، ويحفظ نفسه من الوقوع بما حرم الله عز وجل، ويطمئن قلبه من القلق والاضطراب، لأن الشبهات سبب لحصول القلق والاضطرابات في القلب، ويؤدي به إلى خلق الورع[2] وهو عميم النفع في سد أبواب وساوس الشيطان، عظيم الجدوى في الدنيا والآخرة.

ورع السلف وتركهم للشبهات:

كان سلف الأمة يتخلقون بأخلاق الإسلام الواجب منها والمندوب وهذه بعض المواقف أذكرها لبيان، كيف كان لنصوص الكتاب والسنة أثر في حياتهم وسلوكهم:

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج[3] وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو فقال: «كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا إني خدعته، فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه»[4].

---

(١) الأمر للندب وليس للوجوب.

(٢) الورع كما في اللسان «التحرج، تورع عن كذا، أي تحرج والورع في الأصل الكف عن المحارم، ثم استعير للكف عن الشبهات وما يخرج للحرام، قال يونس: الورع الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس في كل طرفة عين. وقال سفيان الثوري ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك فاتركه هذا باختصار وقال أبو بكر الجزائري: «إن الورع هو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، أو هو ترك المباح خشية الوقوع في الممنوع.

(٣) شيء يجعله السيد على عبد، يؤديه كل يوم، وباقي كسبه يكون للعبد كذا في رياض الصالحين ٢٦٣.

(٤) رواه البخاري ٤/٢٣٦.

٢ ـ عن نافع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له: هو من المهاجرين فلم نقصته؟ فقال: «إنما هاجر به أبوه يقول: «ليس هو كمن هاجر بنفسه»[١].

٣ ـ قال ابن المبارك[٢] كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: أن قصب السكر أصابته آفة، فاشتر السكر فيما قبلك، فاشتراه من رجل فلم يأت عليه إلا قليل فيما اشتراه ربح ثلاثين ألفا، قال: فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا إن غلامي كان قد كتب إلي فلم أعلمك، فأقلني فيما اشتريت منك؛ فقال له الآخر «قد أعلمتني الآن وقد طيبته، فقال فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه فقال: يا هذا إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه فأحب أن تسترد هذا البيع قال: «فمازال به حتى رده عليه»[٣].

٤ ـ تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذه، وكان أبوه يلي الأعمال للسلاطين، وكان يزيد يعمل الخوص، ويتقوت منه إلى أن مات[٤].

ترك المختلف فيه ليس من الورع على الإطلاق:

الخروج من المسائل التي اختلف فيها العلماء، ليس تركها من الورع على الإطلاق فمثلا المسائل التي فيها رخصة، ليس لها معارض، فاتباعها أولى من اجتنابها بحجة الورع، كمن تيقن الطهارة وشك في الحدث، وذلك

(١) البخاري باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ٤/٢٦١.

(٢) ابن المبارك (١١٨ ـ ١٨١) هـ هو عبدالله بن المبارك أبو عبد الرحمن الحنظلي بالولاء المروزي، أمه خوارزمية وأبوه تركي، كان إماما في الحديث والفقه، جالس أبا حنيفة وسفيان الثوري وابن عيينة، حدث عنه خلق منهم الإمام أحمد ويحيى بن معين، له باع في اللغة، والشعر والفصاحة صاحب عبادة وورع، كان تاجرا، وينفق على الفقراء الكثير، من آثاره العلمية: ١ ـ تفسير القرآن. ٢ ـ الدقائق في الرقائق. ٣ ـ رقاع الفتاوى.

(٣) و(٤) جامع العلوم والحكم ١٠٢.

لقوله ﷺ «فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا»[1]

أقول هذا لأن البعض يترك الكثير من السنن، وأمور الدين الثابتة والرخص بحجة أن بعض العلماء أفتى بخلافها.

فترك الخلاف يكون من الورع في المسائل المعضلة الكبيرة التي يعجز المرء من الوصول للحق فيها.

الورع لأهل الإستقامة:

يكون الورع لائقا لمن استقامت نفسه بفعل الواجبات وترك المنهيات أما من يقع بالكبائر، ويترك الواجبات، ثم يسعى لترك الشبهات، فهذا ورعه مظلم مشكوك فيه، لذلك أنكر ابن عمر رضي الله عنهما على من سأله عن دم البعوض من أهل العراق قال: يسألونني عن دم البعوض، وقد قتلوا الحسين، وسمعت النبي ﷺ يقول «هما ريحانتاي من أهل الدنيا»[2] وسأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمة تأمره بطلاقها، فقال إن كان بر أمه في كل شيء، ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان برها بطلاق زوجته، ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل»[3].

---

(١) متفق عليه مختصر البخاري/ ٤٦ ومختصر مسلم/ ٤٨ للألباني.

(٢)، (٣) جامع العلوم والحكم ١٠٣ ـ ١٠٤.

الحديث الثاني عشر

«عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهُ قالَ: قـالَ رسولُ الله ﷺ «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مالا يَعْنِيهِ»[1].

منزلة الحديث:

قـال ابن رجب رحمـه الله : هـذا الحـديث أصـل عـظيم من أصـول الأدب[2] وقال محمد بن أبي زيـد إمام المالكية في زمـانه: جماع أدب الخـير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» وقوله للذي اختصر له في الوصية «لا تغضب» وقوله ﷺ «المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

من علامة كمال اسلام العبد:

إن من علامة كمال إسلام العبد واستقامته تركه ماليس له به غرض من الأقوال والأفعـال واقتصـاره على مـا يعنيه منهـا، ومعنى يعنيه أي مـا تتعلق به عنايته، ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية شدة الاهتمام بالشيء يقال عنـاه يعنيه اهتم به وطلبه.

وأكـثر ما يـراد بترك مـالا يعني، حفظ اللسـان من لغـو الكـلام، قـال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[3] فكثير من الناس لا يعد

(١) رواه الترمذي ومالك وأحمد وصححه الألباني انظر المشكاة ٤٨٣٩.
(٢) جامع العلوم والحكم ص ١٠٥
(٣) ق ١٨.

كـلامه من عمله، فيجـازف فيه ولا يتحـرى، وقد خفى هـذا عـلى معـاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حتى سأل النبي ﷺ «قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجـوههم ـ أو قال على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم»[1].

قال النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين: واعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما فيه المصلحة، ومتى استـوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام ومكروه وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعد لها شيء»[2].

ومما هو ملاحظ ومعروف أن المقـولة الـطيبة الخـيرة الموزونـة أو الصمت يعطي هيبة ووقار لشخصية المسلم، وكثرة الكلام والثرثرة والتدخل فيما لا يعني يخدش شخصية المسلم، ويقلل من قدره وهيبته في نفوس الآخرين.

فـالحديث يـدل على أن تـرك مالا يعني المـرء من حسن إسلامـه، ومن حسن إسلامه وفق للخير والرشاد، وتضاعف له حسناته وتكفر سيئاته.

عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال: إذا حسن أحـدكم إسلامـه، فكل حسنـة يعملها تكتب بعشرة أمثـالها إلى سبـع مائـة ضعـف، وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل»[3].

الضابط لترك مالا يعني:

لابـد أن يكون الضـابط لهذه القضيـة الشرع، لا اتباع الهـوى وحظوظ النفس، لـذلـك جعله ﷺ من حسن الإسـلام لأن البعض قـد يخـطيء فهم الحديث فيترك كثـيرا من الأمور الـواجبة، أو المستحبـة ظانـا أن هـذا ممـا لا

(١) حسنه الألباني في الإرواء ٢/١٣٩.
(٢) رياض الصالحين ص ٥٣٢.
(٣) مختصر مسلم ص ٢٣.

يعني، كما يترك البعض النصح للآخرين، وهذا لاشك مخالف لكثير من النصوص، التي تحث على النصح للمسلمين.

وقد يتدخل البعض في كثير من الأمور ظانا أن هذا مما يعنيه.

فوائد الحديث:

١ ـ في الحديث الحث على استثمار الوقت بما يعود على العبد بالنفع في الدنيا والآخرة.

٢ ـ كما فيه الحث على البعد عن سفاسف الأمور والاشتغال بمعالي الأمور.

٣ ـ كما فيه الحث على مجاهدة النفس وتهذيبها، وذلك بإبعادها عما يشينها من النقائص والرذائل.

٤ ـ التدخل فيما لا يعني يؤدي إلى الشقاق بين الناس والخصام.

الحديث الثالث عشر

«عن أبي حمــزةَ أنس بنِ مـالــكٍ رضي الله عَنْهُ ـ خـادمِ رسـول الله ﷺ عن النبيِّ ﷺ قـالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسهِ»[1]

منزلة الحديث:

هـذا الحديث من ضمن الأحـاديث العظيمـة التي عظمهـا العلماء، لأنه ينص على جماع آداب الخير كما أنه ينص على الضابط لمعاملة الآخرين، فـما يحبه الإنسان لنفسه من قول أو فعل أو شيء فعليه أن يحب ذلك للآخرين، وما يكرهه ويبغضه لنفسه من قول أو فعل أو معاملة أو شيء عليه أن يكرهه ويبغضه للآخرين وأن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه .

المراد بنفي الإيمان :

قـال الحافظ رحمـه الله في الفتح: «والمـراد بالنفي كـمال الإيمان، ونفى اسم الشيء عـلى معنى نفي الكمال مستفيض في كـلام العـرب كقـولهم فـلان ليس بإنسان»[2] ويقصد نفي صفة من صفاته.

وقال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: قـال العلماء رحمهم الله معنـاه لا يؤمن الإيمـان التـام، وإلا فـأصـل الإيمـان يحصـل لمن لم يكن بهـذه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان ١/٩. ومسلم كتاب الإيمان جزء ١/٢٢٠.

(٢) الفتح ١ ص ٦٣.

الصفة»[1].

وقال عمرو بن الصلاح[2] رحمه الله: معناه لا يكمل إيمان أحد حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه»[3].

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: أن المراد بنفي الإيمان نفي بلوغ حقيقته ونهايته»[4].

من شعب الإيمان الواجبة:

قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[5] وساق الحديث.

وقال مسلم - رحمه الله - في صحيحه: من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[6] وساق الحديث.

فالحديث يدل على أن حب الخير للمسلم من شعب الإيمان الواجبة.
والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية.
فيجب على المسلم المستقيم أن يحب الاستقامة لأخوانه، ويبذل ما يستطيع من جهد لإنقاذهم، لأن الاستقامة هي سبب خيري الدنيا والآخرة.
وكذلك من خصال الإيمان الواجبة أن يسوؤه ويحزنه ولا يرضيه وقوع الشر بإخوانه المسلمين.

---

(١)، (٣) مسلم ١/٢٢٠ كتاب الإيمان.

(٢) ابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣) هـ هو عثمان بن عبدالرحمن بن موسى تقي الدين، أبو عمرو المعروف بابن الصلاح - كردي الأصل، من علماء الشافعية، شاخ في عصره في الفقه والحديث وعلومه، وإذا اطلق «الشيخ» في علم الحديث فالمراد هو، كما له باع في التفسير وأصوله والنحو، أخذ العلم من والده أولا، ثم رحل له إلى الموصل والشام من آثاره العلمية ١ - مشكل الوسيط ٢ - الفتاوى ٣ - علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.

(٤) جامع العلوم والحكم ١١١

(٥) كتاب الإيمان ١/٩.

(٦) كتاب الإيمان جزء ١ ص ٢٢٠.

قال الكرماني[1]: ومن الإيمان أيضا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه، ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء والله أعلم[2].

قال النووي رحمه الله: الأولى أن يحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه، من دخوله في الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامة، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحبا»[3].

أثر الحديث في حياة سلف الأمة:

١ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»[4] قال ابن رجب: «وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف، وإنما كان يتولى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك، وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته، وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم»[5].

---

(١) الكرماني (٧١٧ ـ ٧٨٦) هـ.
هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني ثم البغدادي له باع في الفقه والحديث والأصول والتفسير، قام بواجبه في نشر العلم ببغداد خير قيام، ثم رحل إلى مكة، وكان رحمه الله زكي النفس، مشتغلا بمذاكرة العلم ونشره، من آثاره العلمية:
(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري.
(٢) ضمائر القرآن.
(٣) النقود والردود في الأصول.
(٤) شرح مختصر ابن الحاجب.
(٢) الفتح ١/٦٤.
(٣) شرح متن الأربعين النووية للنووي.
(٤) مسلم كتاب الإمارة ٤/٤٨٦.
(٥، ٦) جامع العلوم والحكم ١١٢.

٢ ـ وكان محمد بن واسع يبيع حمارا له فقال له رجل: أترضاه لي قال: لو رضيته لم أبعه وفي هذا أشاره أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرتضيه لنفسه[1].

٣ ـ قال ابن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنه: إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم[2].

٤ ـ وقال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إلى منه شيء فقوله وددت دليل على محبته الخير للناس[3].

فحب المسلم لإخوانه ما يحب لنفسه دلالة على سلامة صدره من الغش والغل والحسد.

فوائد من الحديث:

١ ـ الحديث يدل على ذم الأنانية، والحسد والكراهية والحقد، لأن من كانت هذه صفاته، لا يحب لغيره ما يحب لنفسه من الخير.

٢ ـ العمل بمضمون الحديث، يؤدي إلى نشر المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي ويؤدي ذلك إلى تماسكه حتى يكون كالجسد، قال ﷺ: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[4] وأمة هذا تماسكها لا تقهر ولا تغلب ولا تنكس لها راية.

٣ ـ الحديث يدل على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وفعل الخيرات وينقص بالمعصية.

---

(١) جامع العلوم والحكم ١١٢.
(٢) جامع العلوم والحكم ١١٥.
(٣) جامع العلوم والحكم ١١٥.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

الحديث الرابع عشر

عَنْ أَبي مَسْعودٍ ـ رضي الله عَنْهُ ـ قَالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا يَحِلُّ دَمُ امرِىءٍ مُسلمٍ يَشْهدُ أَنَّ لَا إلهَ إلَّا الله وأَنِّي رسُولُ الله إلّا بإحدى ثلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَماعةِ»[1].

منزلة الحديث:

قال ابن حجر الهيثمي في منزلة الحديث: وهو من القواعد الخطيرة لتعلقه بأخطر الأشياء وهو الدماء، وبيان ما يحل منها وما لا يحل، وإن الأصل فيها العصمة، وهو كذلك عقلا، لأنه مجبول على محبة بقاء الصور الإنسانية المخلوقة في أحسن تقويم»[2]

حرمة دم المسلم:

الحديث يدل على أن دم المسلم الذي يقوم بحقوق الإسلام معصوم[3]، ووردت نصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أذكر منها:

١ ـ بشر الله من قتل المسلم دون حق بالعذاب الأليم، وببطلان عمله في

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) فتح المبين لشرح الأربعين/ ١٥٠.

(٣) سبق بيان العاصم للدماء أثناء شرح الحديث الثامن.

الدنيا والآخرة، ولا ناصر له يوم الدين قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين﴾[1].

٢ ـ لعن الله وغضب، وأعد عذابا عظيما، لمن تعمد قتل المسلم دون حق، قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما﴾[2].

٣ ـ بين رسولنا ـ ﷺ ـ أن قتل النفس دون حق من السبع المهلكات، قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات: قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق[3]، وذكر الباقي. وقال ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[4] فالمسلم معصوم الدم، والعصمة ملازمة له، لا ترفع عنه إلا إذا وقع بما يرفع عنه العصمة.

الزنا بعد إحصان:

أجمع علماء المسلمين على أن حد الزاني الثيب[5] الرجم، حتى يموت، وقد رجم النبي ـ ﷺ ـ ماعزا والغامدية.

في القرآن الذي نسخ لفظه: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله، والله عزيز حكيم[6].

---

(١) آل عمران: ٢١.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) رواه البخاري ٣/١٥٩ ومسلم ١/٢٧٧.

(٤) رواه الترمذي ـ كتاب الديات ٥/٨٢ وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم ٤٩٥٣.

(٥) الثيب يطلق على الذكر والأنثى اللذان تزوجا أي ليس بكرين.

(٦) جامع العلوم والحكم ١١٥.

ولقد استنبط ترجمان القرآن ابن عباس الرجم من قوله تبارك وتعالى: **﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير﴾**[(١)] قال ابن عباس: فمن كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ثم تلا هذه الآية وقال: «كان الرجم مما أخفوا»[(٢)].

وكان حكم الله في النساء الزواني أن يحبسن إلى أن يتوفاهن الله، أو يجعل الله لهن سبيلا، ثم جعل الله لهن سبيلا، ثبت عن سيد ولد آدم ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ أنه قال: «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»[(٣)].

أخذ بظاهر هذا الحديث جماعة من السلف، منهم أحمد وإسحاق والحسن وغيرهم فأوجبوا جلد الثيب بمائة، ويشهد إلى ما ذهبوا إليه فعل أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ فإنه جلد شراحة الهمدانية، ثم رجمها ثم قال: جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ.

قتل العمد:[(٤)]

قوله عليه الصلاة والسلام: «والنفس بالنفس».

أجمع علماء المسلمين، أن من قتل مسلما عمدا استحق القتل، دل كتاب ربنا على ذلك: **﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾**[(٥)] وقال

---

(١) المائدة: ١٥.

(٢) رواه الحاكم جزء ٤/ ٣٥٩.

(٣) صحيح الجامع للألباني ٣٢١٠.

(٤) يكون القتل عمدا إذا كان القاتل بالغا، والمقتول آدميا معصوم الدم، وأن تكون الأداة مما يقتل بها غالبا، والآثار المترتبة عليه الإثم، والحرمان من الميراث والوصية إذا كان المقتول مورثاً أو موصي له، والكفارة إذا لم يقتص منه، والقود أو العفو.

(٥) المادة ٤٥.

تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾[1] ويقتل قاتل العمد، سواء كان القاتل أو المقتول ذكرا أم أنثى، تشهد لذلك عموم نصوص الكتاب، وما ورد في السنة عنه ﷺ: «إن الرجل يقتل بامرأة»[2] وصح عنه أنه ﷺ قتل يهوديا قتل جارية[3]. ويسقط القصاص إذا عفا أولياء المقتول ويستثنى من القصاص:

١ ـ الوالد إذا قتل ولده، لا يقتل به هذا ما ذهب إليه الجمهور وحجتهم في ذلك قوله ﷺ: «لا يقتل الوالد بالولد»[4] قال ابن عبد البر[5] «هو حديث مشهور عند أهل العلم بالحجاز والعراق، مستفيض عندهم، وهو عمل أهل المدينة، ومروي عن عمر[6].

٢ ـ المسلم إذا قتل كافرا، فإنه لا يقتل فإن كان الكافر المقتول حربيا، لا يقتل بلا خلاف وإن كان ذمياً أو معاهدا، ففيه خلاف فالجمهور ذهبوا إلى القول بعدم قتله، حجتهم في ذلك قوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر»[7] وهذا هو الراجح والله أعلم.

٣ ـ الحر إذا قتل العبد لا يقتل، وذلك لأن الله عز وجل قال: ﴿الحر بالحر﴾[8] قال السيد سابق: وهذا التعبير يفيد الحصر، فيكون معناه «أنه لا يقتل الحر بغير الحر».

---

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) الحديث مرسل انظر الإرواء ٢٢١٢.

(٣) صحيح انظر إرواء الغليل للألباني/٢٢١٣.

(٤) صحيح الجامع للألباني ٧٦٢٦.

(٥) ابن عبد البر (٣٦٨ ـ ٤٦٣) هـ هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري أبو عمر، ولد بقرطبة حافظ شيخ علماء الأندلس، برز بالحديث والفقه والتاريخ والأدب، له رحلات طويلة، من آثاره العلمية: ١ ـ الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار. ٢ ـ الكافي في الفقه. ٣ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

(٦) فقه السنة ٢/٥٢٦.

(٧) رواه البخاري ٨/٤٧.

(٨) البقرة: ١٧٨.

وإذا كان لا يقتل به فإنه يلزمه قيمته، بالغة ما بلغت، وإن جاوزت دية الحر هذا إذا قتل عبد غيره»[1].

وإذا قتل الحر عبده، فعقوبته كما في الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أن رجلا قتل عبده صبرا متعمدا، فجلده النبي ﷺ مائة جلدة، ونفاه سنة، ومحا سهمه من المسلمين، ولم يقد به وأمره أن يعتق رقبة»[2].

وإلى هذا ذهب الجمهور منهم مالك وأحمد والشافعي.

الـردة:

قوله ﷺ: «والتارك لدينه المفارق للجماعة».

أجمع أهل العلم على أن من ارتد عن الإسلام، وأصر على كفره بعد الإستتابة أنه يقتل، والحجة في ذلك الحديث السابق، وفي رواية البخاري وأصحاب السنن: «من بدل دينه فاقتلوه» وقتال أبي بكر للمرتدين، واختلفوا في قتل المرأة فجمهور أهل العلم يقولون: قتلها لعموم الأدلة».

ومعلوم أن المرأة تشارك الرجل في الحدود كلها دون استثناء، فكذلك يطبق عليها حد الردة، ولا فرق في ذلك. قال النبي ﷺ لمعاذ عندما أرسله لليمن: «أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد، وإلا فاضرب عنقه وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها، فإن عادت، وإلا فاضرب عنقها»[3].

---

(١) فقه السنة ٢/٥٢٦.

(٢) رواه الدارقطني.

(٣) حسنه الحافظ ابن حجر فقه السنة ٢/٤٥٦.

القتل بغير الثلاث المذكورة في الحديث :

قد يقتل المسلم بغير الثلاث المذكورة في الحديث، وقد تندرج هذه الأمور ضمنيا تحت الثلاث وهي :

١ ـ اللواط يقتل بسببه المسلم سواء كان محصنا أو غير محصن، ذهب إلى ذلك أبو بكر وعبدالله بن الزبير وابن عباس وجابر والزهري ومالك وإسحاق بن راهويه وأحمد والشافعي، وحجتهم في ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[1].

٢ ـ قتل من أراد أن يشق عصا المسلمين، وذلك لقوله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، ويفرق جماعتكم فاقتلوه»[2]، ولقوله: «إذا بويع خليفتان، فاقتلوا الآخر منهما»[3].

٣ ـ الإفساد في الأرض، وقطع الطريق، قال تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، وذلك لهم خزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[4].

وللعلماء في شرح هذه الآية كلام يطول ذكره، ولكن إذا قتل قطاع الطرق يتحتم قتلهم جميعا.

٤ ـ تارك الصلاة، وسبق بيان ذلك أثناء شرح الحديث الثامن.

٥ ـ من طلب أخذ مال إنسان أو حريمه بغير حق.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وغيرهم وصححه الألباني في الجامع الصحيح وغيره/ ٦٤٦٥.

(٢) رواه مسلم صحيح الجامع للألباني ٥٨٢٠.

(٣) رواه أحمد ومسلم صحيح الجامع للألباني ٤١٤.

(٤) البقرة: ٩.

٦ ـ الساحر يقتل، قال بذلك أحمد ومالك، وأبو حنيفة، وعمر بن عبد العزيز وهؤلاء يقولون بكفره بسحره، ويكون حكمه حكم المرتد، فيندرج تحت النصوص التي تنص على قتل المرتد، كما روى عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب وقيس بن سعد. والشافعي يرى إذا بلغ سحره الكفر يقتل، كما يشهد لذلك ما رواه مالك في الموطأ.

عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة، أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها، سحرتها. وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت.

قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر. ولم يعمل ذلك له غيره. هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه ـ ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ـ فأرى أن يقتل. إذا عمل ذلك هو نفسه[1].

هل الحديث ناسخ لغيره:

يرى بعض أهل العلم، أن حديث ابن مسعود الذي نحن بصدد شرحه ناسخ لباقي الأحاديث، التي فيها هدر لدماء بعض المسلمين، والرد على هؤلاء من وجهين:

١ ـ لم يقم الدليل القوي القاطع على أن حديث بن مسعود متأخر عنها.

٢ ـ الخاص لا ينسخ بالعام، ولو كان العام متأخرا عنه، وهذا ما عليه جمهور أهل العلم، قال ابن رجب: «لأن دلالة الخاص على معناه بالنص ودلالة العام عليه بالظاهر عند الأكثرين، فلا يبطل الظاهر حكم النص»[2].

---

(١) الموطأ ٢/٨٧١.

(٢) جامع العلوم والحكم ١٢٢.

فوائد من الحديث :

١ ـ الحديث يدل على حفظ الأعراض ونقائها.
٢ ـ كما فيه الحث على التزام جماعة المسلمين، وعدم مفارقتهم.
٣ ـ شرع الله الحدود لردع الجناة، ولحماية المجتمع ووقايته من الجرائم .
٤ ـ كما فيه الترهيب من قتل النفس التي حرم الله.

الحديث الخامس عشر

عنْ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُت وَمنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ جارَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[1].

منزلة الحديث:

قال الحافظ: وهذا من جوامع الكلم، اشتمل الحديث على أمور ثلاثة، تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية.

فالحديث يدعو إلى حسن معاشرة الآخرين، وحسن المعاشرة تؤدي إلى نشر المحبة بين الناس، والمحبة تؤدي إلى التآلف والترابط.

مسك زمام اللسان:

قوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». قال الشافعي[2] رحمه الله تعالى: معنى الحديث أذا أراد أن يتكلم فليفكر،

---

(١) مسلم كتاب الإيمان ١/٢٢٢.

(٢) الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤) هـ. هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، من بني المطلب من قريش، ولد بغزة في فلسطين ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين، إمام بالفقه عالم بالقراءات والأصول واللغة والشعر، قال عنه أحمد بن حنبل: «ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي عليه منه، وقال أحمد شاكر: لو جاز لعالم أن يقلد عالما، كان أولى الناس عندي أن يقلد الشافعي، فإني أعتقد ـ غير غال ولا مسرف ـ أن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء =

فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أن فيه ضررا أو شك فيه أمسك[1].

وقال الحافظ ابن حجر ومعنى الحديث أن المرء أذا أراد أن يتكلم فليفكر قبل كلامه، فإن علم أنه لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى محرم ولا مكروه فليتكلم، وإن كان مباحا فالسلامة في السكوت لئلا يجر المباح إلى المحرم والمكروه[2].

وكذلك للنووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم كلام بهذا المعنى والخلاصة كما قال ابن رجب أن النبي ﷺ أمر بالكلام بالخير والسكوت عما ليس بخير[3].

والصمت عند أهل اللغة: يقال صمت ـ بضم الميم ـ صمتا وصموتاً وصماتا أي سكت، قال الجوهري: ويقال أصمت بمعنى صمت والتصميت السكون والتصميت أيضا التسكيت.

المقصود بنفي الإيمان في الحديث:

قال الطوفي: (ظاهر الحديث انتفاء الإيمان عمن قال ذلك وليس مرادا بل أريد به المبالغة كما يقول القائل إن كنت ابني فأطعني، تهيجا له على الطاعة لأنه بانتفاء طاعته لا ينتفي أنه ابنه)[4].

الإسلام، في فقه الكتاب والسنة، رحل إلى العراق والحجاز واليمن، ثم استقر بمصر حتى توفي فيها من آثاره العلمية الأم والرسالة وهذا الكتاب عظيم أنصح بدراسته وهو في أصول الفقه ٢ ـ أحكام القرآن ٤ ـ اختلاف الحديث.

(١) شرح مسلم ٢٢٢/١.

(٢) فتح الباري ١٤٩/١٣.

(٣) جامع العلوم والحكم ١٢٦.

(٤) الفتح كتاب الأدب ١٤٩/١٣.

قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» فليفعل كذا وكذا، يدل على أن هذه الآداب من شعب الإيمان، وأعمال الإيمان منها ما يتعلق بحقوق الله عز وجل، كفعل الواجبات وترك المحظورات ومنها ما يتعلق بحقوق العباد، ككف الأذى وإكرام الضيف وصلة الرحم ومفهوم التخيير في قوله ﷺ، قال الحافظ رحمه الله: «استشكل التخيير الذي في قوله: «فليقل خيرا أو ليصمت» لأن المباح إذا كان في أحد الشقين لزم أن يكون مأمورا به فيكون واجبا أو منهيا فيكون حراما. والجواب عن ذلك أن صيغة افعل في قوله: «فليقل» وفي قوله: «ليصمت» لمطلق الإذن الذي هو أعم من المباح وغيره. نعم يلزم من ذلك أن يكون المباح حسنا لدخوله في الخير»[1].

إكرام الجار:

قوله ﷺ : ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره فالحديث يدل على إكرام الجار، والنهي عن إيذاءه، وهنا لابد من بيان الأمور الآتية:

١ ـ الوصاية بالجار

قال تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتمى والمساكين والجار ذي القربى[2] والجار الجنب[3] والصاحب بالجنب[4]**﴾.

الله تبارك وتعالى قرن بين حقه على العباد، وبين حقوق العباد على العبد التي منها حق الجار، وهذا فيه بيان أهميته وعظم حق الجار وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت

---

(١) الفتح كتاب الأدب ١٣/ ١٤٩ .

(٢) قال ابن عباس: الذي بينك وبينه قرابة وإلى هذا مال الحافظ ابن حجر.

(٣) قال ابن عباس: الذي ليس بينك وبينه قرابة.

(٤) قال ابن مسعود: هي المرأة وقال ابن عباس: رفيق السفر.

أنه سيورثه[1].

ومعنى سيورثه أي يجعل له مشاركة في المال بفرض سهم يعطاه مع الأقارب.

٢ ـ غلظ حرمة أذى الجار

يحرم على المسلم أن يؤذي أحدا دون حق ولكن أذى الجار أشد حرمة عن المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، خير له من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر له من أن يسرق من بيت جاره»[2].

فالزنا من الفواحش التي حرمها ربنا تبارك وتعالى، ووضع التشريعات الرادعة لمرتكبيها، ولكن الزنى بحليلة الجار أشد حرمة، وفحشا وجرما وكذلك السرقة.

وعن أبي شريح أن ـ النبي ﷺ ـ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»[3] والبوائق جمع بائقه، وهي الداهية والشيء المهلك، والأمر الشديد الذي يوافي بغته.

قال ابن بطال: في الحديث تأكيد حق الجار لقسمه ﷺ على ذلك، وتكريره اليمين ثلاث مرات. وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو الفعل، ومراده الإيمان الكامل، ولاشك أن العاصي غير كامل الإيمان»[4].

---

(١) البخاري كتاب الأدب جزء ٧ باب ٢٨ ص ٧٨.
(٢) صحيح أنظر صحيح الجامع للألباني ٤٩١٩.
(٣) البخاري كتاب الأدب باب ٧٨/٧.
(٤) الفتح كتاب الأدب ٥٣/١٣.

٣ ـ مفهوم الإحسان إلى الجار:

هو أن يقوم بإيصال ضروب الإحسان إلى جاره، بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند اللقاء، وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية، وأولى الناس بالإحسان الأقرب فالأقرب، عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال إلى أقربهما منك باباً»[1] ولذلك بوب البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه قال باب حق الجوار في قرب الأبواب، وهذا من عمق فهمه للنصوص.

٤ ـ مراتب الجيران

التقسيم الآتي يفيد من حيث ترتيب إيصال الإحساب إلى الجيران:

- الجار المسلم ذو الرحم: فهذا له حق الجوار والإسلام والقرابة.
- الجار المسلم: فهذا له حق الجوار والإسلام.
- الجار الغير مسلم: وهذا له حق الجوار وذلك لعموم النصوص كما حمل ابن عمر الجار على عمومه، بحيث يشمل المسلم وغيره، ولذلك لما ذبح شاة أمر أن يهدي منها لجاره اليهودي، وكما هو واضح في قصة رسول الله ﷺ مع جاره اليهودي.

إكرام الضيف:

قوله ﷺ «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» يدل على أن إكرام الضيف من خصال الإيمان، ومن العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل، وهنا لابد من معرفة الأمور الآتية»:

---

(١) البخاري كتاب الأدب ٧/٧٩.

١ ـ حكم إكرام الضيف ومدة الضيافة:

ذهب بعض العلماء إلى القول بوجوب الضيافة، منهم أحمد والليث وابن حزم والشوكاني وغيرهم.

قال ابن حزم[١] في المحلى: «الضيافة فرض على البدوي، والحضري والفقيه والجاهل: يوم وليله مبرة وإتحاف، ثم ثلاثة أيام ضيافة ولا مزيد، فإن زاد فليس قراه لازما، وإن تمادى على قراه فحسن، فإن منع الضيافة الواجبة فله أخذها مغالبة، وكيف أمكنه ويقضى له بذلك[٢] وقال الشوكاني: والحق وجوب الضيافة[٣]، وقوله فما كان وراء ذلك صدقة، فإنه صريح أن ماقبل ذلك غير صدقة بل واجب شرعا. كما أن في الحديث[٤] تحديد مدة الضيافة الواجبة، وهي ثلاثة أيام فقط، ولا يحل للضيف أن يحرج أخاه بعد هذه المدة إلا إذا علم طيب نفس أخيه له.

٢ ـ من آداب الضيافة:

إعداد الطعام له، والتكلف وخاصة في اليوم الأول، ولكن دون إسراف وتبذير، لأنا نهينا عن ذلك، والذي يشهد لما قلنا الآتي:

---

(١) ابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦) هـ
هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد علامة الأندلس أصله من الفرس، كان وزيرا، ثم تركها وانصرف للعلم والتأليف، كان فقيها حافظا، طريقة فهمه للكتاب والسنة، على طريقة أهل الظاهر، لا يجامل ولا يصانع، شبه لسانه بسيف الحجاج، طارده الملوك، ومات مبعدا عن بلده ترك آثارا علمية كثيرة، مزق أعداءه الكثير منها.
١ ـ المحلي في الفقه.
٢ ـ الإحكام في أصول الأحكام ـ في أصول الفقه.
٣ ـ طوق الحمامة في الأدب.

(٢) المحلى باب الضيافة ١٠/١٧١.

(٣) نيل الأوطار.

(٤) الحديث هو: قال ﷺ: الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه» رواه مسلم.

قال البخاري في صحيحه: باب صنع الطعام والتكلف للضيف، وذكر في الباب حديث أبي جحيفة في قصة سلمان وأبي الدرداء، وموضع الإستدلال فيه «فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما»[1]، وكذلك في قصة الأنصاري أبي الهيثم بن التيهان الذي يرويها مسلم في صحيحه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا» فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا، فقال لها رسول الله ﷺ : «أين فلان»؟ قالت ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر، ورطب، فقال: كلوا هذا، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ : «إياك والحلوب»، فذبح لهم فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ : لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا، حتى أصابكم هذا النعيم»[2].

فإقرار رسول الله ﷺ الأنصاري على هذا دليل على مشروعيته.

وكذلك في قصة إبراهيم عليه السلام عندما جاءته الملائكة على صورة شبان قام بضيافتهم على أكمل وجه، فصنع لهم عجلا مشويا على الرضف وهي الحجارة المحماة قال الله تعالى: **﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾**[3].

---

(١) البخاري كتاب الأدب باب ١٠٤/٧.

(٢) مختصر مسلم رقم الحديث ١٣٠٦.

(٣) هود ٦٩.

وقال تعالى: ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير: «وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولا فقال: «نأتيكم بطعام؟» بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتى سمين مشوي، فقربه إليهم، ولم يضعه، وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال «ألا تأكلوا؟» على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل»[2] كما قام الخليل عليه السلام وزوجه بخدمتهم بنفسه، لذلك عندما بوب البخاري في صحيحه قال باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، وقوله تعالى: ﴿ضيف إبراهيم المكرمين﴾ إلى آخره.

فوائد من الحديث:

١ ـ الإسلام يدعو إلى كل ما يشيع المحبة، والألفة بين أفراد المجتمع الإسلامي.
٢ ـ الحديث يدل على خطورة الكلمة، لأن العبد قد يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً يهوي بسببها في النار سبعين خريفا.
٣ ـ في الحديث الحث على التخلق بمكارم الأخلاق، والبعد عن سيئها.
٤ ـ كما فيه الحث على حسن معاشرة الآخرين.

---

(١) الذاريات ٢٦.
(٢) تفسير ابن كثير الذاريات جزء ٧/٣٩٩.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي قالَ: «لا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرارًا قالَ: «لا تَغْضَبْ»[1].

منزلة الحديث:

قال الجرداني: إن هذا الحديث عظيم، وهو من جوامع الكلم لأنه جمع بين خيري الدنيا والآخرة، وذلك أنه أمر بالابتعاد عن أسباب الغضب الذي جماع الشر فيه، وجماع الخير بالتخلص منه.

تعريف الغضب:

طلب هذا الصحابي الجليل، ولعله أبو الدرداء من رسول الله ﷺ أن يوصيه وصية وجيزة جامعة لخصال الخير، ليحفظها عنه فحذره من الغضب ثلاث مرات، وهذا يدل على أن الغضب جماع الشر والتحرز منه جماع الخير، والغضب حالة يراها العبد في غيره، ويشعر بها في ذاته، وهو نقيض الرضا، وعرفه قوم بغليان دم القلب طلبا لدفع المؤذى عنه خشية وقوعه، أو طلبا للانتقام ممن حصل له الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة، كالقتل والضرب وأنواع العدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسب والفحش، والأيمان التي لا يجوز التزامها شرعا، وكالطلاق دون حق.

لذلك أوصى رسول الله ﷺ بالابتعاد عن أسباب الغضب، وعدم العمل بمقتضى الغضب، بل يجب عليه أن يجاهد نفسه بكظمه وعلاجه.

---

(١) رواه البخاري كتاب الأدب باب ٧/٩٩.

غضب الله عز وجل :

هل الله يغضب ؟ إذا تصفحنا كتاب ربنا عز وجل نجد الإجابة بالإيجاب، قال تعالى: ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾[١]. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وكلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾[٣]. كما ثبت في السنة، أن الله عز وجل يغضب على من عصاه وتعدى حدوده، في حديث الشفاعة الطويل عندما يفزع الناس إلى الأنبياء، يطلبون منهم الشفاعة فكل نبي يأتونه يقول لهم: «إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»[٤]. فيجب على المسلم أن يثبت لربه هذه الصفة، وأن لا يؤولها[٥] وأن يعتقد أن صفة الغضب عند الله، لا تشبه صفة خلقه قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[٦] فصفة الغضب عند الله كما تليق بجلاله وعظمته وهذا منهج سلف الأمة الذين أثنى الله عليهم ورسوله في صفات الله، فيجب على المسلم أن يسلك طريقهم في ذلك فإن النجاة فيه .

الغضب المذموم :

هو الدنيوي الذي حذر منه نبينا ﷺ في هذا الحديث وفي غيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٧] فالشديد ليس الذي يصرع الناس

---

(١) الفتح : ٦ .
(٢) الممتحنة: ١٣ .
(٣) طه : ٨١ .
(٤) رواه أحمد في المسند وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية / ٢٥٤ .
(٥) كما أول الأشاعرة الغضب بالعقوبة.
(٦) الشورى: ١١ .
(٧) رواه البخاري كتاب الأدب جزء ٧/ ٩٩.

بقوته البدنية، ولكن من ملك زمام نفسه عند الغضب، فلا يخرج منه قول ولا فعل إلا بما يوافق الحق والصواب.

الغضب المذموم :-

هو الدنيوي الذي حذر منه نبينا ﷺ في هذا الحديث وفي غيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[1] فالشديد ليس الذي يصرع الناس بقوته البدنية، ولكن من ملك زمام نفسه عند الغضب، فلا يخرج منه قول ولا فعل إلا بما يوافق الحق والصواب.

وهو ما كان في غير الحق، ولكن اتباعا لهوى النفوس والذي يتجاوز فيه العبد بقوله، فيشتم ويقذف، ويجرح إخوانه بكلمات مؤذية.

كما يتجاوز فيه بفعله، فيضرب ويتلف أموال الآخرين.

الغضب المحمود :

وهو ما كان لله وللحق، وخاصة عندما تنتهك محارم الله عز وجل، وهذا ما كان عليه أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، فكانوا لا ينتقمون لحظوظ النفس وإليك بعض الأدلة :

١ ـ عن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ: إذا غضب أحمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش». يقول: «صبحكم ومساكم» ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[1] ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى.

٢ ـ قصة موسى عليه السلام مع قومه عندما رجع ورآهم يعبدون العجل من دون الله، فغضب عليهم غضبا شديدا، وألقى الألواح التي كانت بيده على الأرض، وأخذ بلحية أخيه هارون يجرها، قال تعالى: ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان آسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم

---

(١) رواه البخاري ومسلم/ البخاري كتاب الرقاق ١٩٠/٧ ومسلم ٥١٧/٥ رقم الحديث ٤٦/ ورواه غيرهما.

استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني من القوم الظالمين﴾[1].

هكذا ينبغي أن يكون المسلم قوي الإيمان، يغضب لمولاه عندما يتعدى على حقوقه.

٣ ـ وكذلك أخبرنا ربنا تبارك وتعالى عن غضب يونس عليه السلام لربه تبارك وتعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[2].

وكذلك من اعتدى عليه إنسان في نفسه أو ماله، أو ولده أو من يحميه، فإنه يغضب، ويقوم بما في وسعه ليدفع سبب الغضب، وهذا أيضا من الغضب المحمود وقد يكون واجبا وينبغي للمسلم أثناء غضبه أن يتصرف بحدود دينه وبما يوافق الحق والعدالة.

والخلاصة الغضب من شيم نفوس بني آدم فلا يذم ولا يمدح إلا من جهة آثاره ومقاصده.

علاج الغضب المذموم:

١ ـ الدعاء لأن الله عز وجل هو الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم، وبيده خيري الدنيا والآخرة، وهو المعين على زكاة النفوس مما يدنسها من أدران الرذيلة قال تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾[3].

٢ ـ ملازمة ذكر الله عز وجل، من قراءة قرآن وتسبيح وتهليل، واستغفار فإن الله عز وجل بين بأن القلوب تسكن وتطمئن بذكره، قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[4].

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) الأنبياء ٨٧.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) الرعد: ٢٨.

٣ ـ التذاكر بما ورد من النصوص في الترغيب في كظم الغيظ، والبعد عنه، والترهيب منه، ووردت نصوص أذكر منها: عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء»[١]. والذكرى كما قال ربنا جل شأنه: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[٢].

٤ ـ التعوذ من الشيطان، روى الشيخان في صحيحيهما عن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ﷺ، فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه، وتغير فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ وقال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: أترى بي بأس أمجنون أنا أذهب»[٣].

٥ ـ تغيير الوضع الذي يكون عليه الغاضب، بأن يجلس القائم أو يضطجع، عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[٤].

وهذا ما توصل إليه علماء النفس لعلاج الغضب، وقد سبقهم حبيب رب العالمين منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، فهل يعي المفتونون بالحضارة الغربية ذلك ويعودوا إلى دينهم فيجدوا فيه خيري الدنيا والآخرة.

٦ ـ اعطاء البدن حقه من النوم والراحة، وعدم إرهاقه فمما هو ملاحظ أن كثيراً من الناس إذا بحثنا عن سبب غضبهم، نجده الإرهاق والتعب

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم ٦٣٩٨.

(٢) الذاريات: ٥٥.

(٣) البخاري كتاب الأدب ٨٤/٧ ومسلم كتاب البر والصدقة والأدب جزء ٤٦٩/٥ رقم الحديث: ١٠٦.

(٤) انظر المشكاة للألباني رقم ٥١١٤.

وقلة النوم والجوع قال ﷺ: «وإن لجسدك عليك حقا»[1].

٧ ـ البعد عن أسباب الغضب.

معن بن زائدة والغضب:

معن ابن زائدة من الناس الذين من الله عليهم بالتخلص من الغضب المذموم، فأعطى الحلم والتؤدة وسعة الصدر، فحاول بعض الأعراب أن يغضبه وبذل ما في وسعه ولكنه لم يلفح وإليك هذا الموقف[2].

تذاكر جماعة فيما بينهم آثار معن[3] وأخبار كرمه، معجبين بما هو عليه من التؤدة ووفرة[4] الحلم، ولين الجانب، وغالوا في ذلك كثيرا، فقام أعرابي، وأخذ على نفسه أن يغضبه، فأنكروا عليه، ووعدوه مائة بعير، إن هو فعل ذلك.

فعمد[5] الأعرابي إلى بعير فسلخه، وارتدى بإهابه[6] واحتذى[7] ببعضه جاعلا باطنه ظاهرا، ودخل عليه بصورته تلك، وأنشأ يقول:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير

قال معن: أذكره ولا أنساه فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكا ... وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن: إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء، فقال الأعرابي:

فلست مسلما إن عشت دهرا ... على معن بتسليم الأمير

---

(١) البخاري كتاب الأدب ١٠٢/٧.

(٢) منقول هذا الموقف من كتاب رجال ومواقف لمؤلفه فايز موسى أبو شيخه.

(٣) من أشهر أجواد العرب، أدرك العصرين: الأموي والعباسي، ولاه المنصور إمارة سجستان، فأقام بها، ثم قتل بها غيلة سنة ١٥١هـ.

(٤) كثرة.

(٥) عمد إلى الشيء: قصد إليه.

(٦) الإهاب: الجلد ما لم يدبغ.

(٧) احتذى: انتعل.

فقال معن: السلام خير، وليس في تركه ضير[1]، فقال الأعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ... ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن: إن جاورتنا فمرحبا بالإقامة، وإن جاوزتنا فمصحوبا بالسلامة فقال الأعرابي:

فجد لي يا ابن[2] ناقصة بمال ... فإني قد عزمت على المسير

فقال معن: أعطوه ألف دينار، تخفف عنه مشاق الأسفار، فأخذها وقال:

قليل ما أتيت به وإني ... لأطمع منك في المال الكثير

فثن فقد أتاك الملك عفوا ... بلا عقل ولا رأي منير

فقال معن: أعطوه ألفا ثانيا، كي يكون عنا راضيا، فتقدم الأعرابي إليه، وقبل الأرض بين يديه وقال:

سألت الله أن يبقيك دهرا ... فمالك في البرية من نظير

فمنك الجود والإفضال حقا ... وفيض يديك كالبحر الغزير

فقال معن: أعطيناه على هجونا ألفين، فليعط أربعة على مدحنا.

قال الأعرابي: بأبي أيها الأمير ونفسي فأنت نسيج وحدك في الحلم، ونادرة دهرك في الجود (وإنك لعلى خلق عظيم). ولقد كنت في صفاتك بين مصدق ومكذب، فلما بلوتك صغر الخبر[3] والخبر، وأذهب ضعف الشك قوة اليقين، وما بعثني على ما فعلت إلا مائة بعير جعلت لي على اغضابك.

فقال له الأمير: لا تثريب[4] عليك ووصله بمائتي بعير: نصفها للرهان والنصف الآخر له، فانصرف الأعرابي داعيا له، شاكرا لهباته، معجبا بأناته[5].

---

(١) الضير: الضرر.

(٢) يا ابن ناقصة بدلا من قوله: ابن زائدة.

(٣) الخبر: المخبر.

(٤) لا تثريب: لا لوم عليك.

(٥) بحر الآداب ٢٦٣/٣.

قصص العرب ٢٤٣/٣.

فوائد الحديث :

١ ـ حرص المسلم على النصح والبحث عن أبواب الخير والولوج فيها.

٢ ـ تكرار الكلام حتى يعيه السامع ويدرك أهميته.

٣ ـ الغضبان مسؤول عن تصرفاته فإذا أتلف مالا حال غضبه ضمنه وإذا قتل تترتب عليه آثار القتل التي نص عليها الدين، وقد يعذر في بعض التصرفات، وخاصة إذا دل نص على ذلك، أو قياس صحيح، كمن قال بعدم وقوع طلاق الغضبان.

الحديث السابع عشر

«عن أبي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ وإذا ذَبَحْتُم فأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُم شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

منزلة الحديث:

قال النووي رحمه الله: «وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام وذلك لأن هذا الحديث يدل على عموم الإحسان في كل شيء، ولعله أمر بإحسان القتلة وإحسان الذبحة على سبيل المثال، أو لحاجة البيان لذلك. وبهذا يكون النووي رحمه الله مصيباً وموفقاً في اختياره هذا الحديث ضمن أربعينه التي جمعها وذلك لأن الحديث يدعو لقاعدة عامة، تشمل كل قول وفعل وهذا من مقاصد جمعه للأربعين حديثا.

حكم الإحسان:

قوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان» لفظ الكتابة يدل على الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين، كما أن لفظ الكتابة استعمل في القرآن فيما هو واجب، قال تبارك وتعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾[2] وقال تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾[3].

---

(١) رواه مسلم كتاب الصيد والذبائح ٤/٦٢٢.

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣) البقرة: ١٨٣.

أو فيما هو واقع قدرا لا محالة، قال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾[1]. وقوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[2].

مما تقدم نخلص إلى أن هذا الحديث نص على وجوب الإحسان في كل شيء وقد أمر الله سبحانه به: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[3] وقال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾[4].

تعريف الإحسان:

والإحسان هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحسانا ويأتي بمعنى إيصال النفع إلى الآخرين، وهذا منه ما هو واجب، كالإحسان للوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل البر والصلة الواجبة، وكالإحسان إلى الضيف بقدر ما يصل به قراه الواجب.

ومنه ما يكون مندوبا كصدقة التطوع ونحوها.

كما يأتي الإحسان بمعنى الإتقان وإجادة الشيء، وهذا منه ما هو واجب كالإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة على وجه كمال واجباتها فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، ومنه ما هو مندوب، كالإتيان بمستحبات الواجبات مثل القيام بمستحبات الصلاة والحج وغيرها من الفرائض والواجبات فهذا ليس بواجب.

---

(١) المجادلة: ٢١.

(٢) الأنبياء: ١٠٥،

(٣) النحل: ٩٠.

(٤) البقرة: ١٩٥.

الإحسان في القتل :

قوله ﷺ : «فـإذا قتلتم فأحسنـوا القتلة» والقِتْلة والذِّبْحـة بالكسرة : أي الهيئة، والمعنى وأحسنوا هيئة الذبح وهيئة القتل، والحديث يـدل على الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه.

وأسهـل وجوه قتـل الأدمي ضربه بـالسيف على العنق، ومن الإحسـان كـذلك عـدم المثلة بـالمقتـول ابتـداء، عن عبـدالله بن زيـد، عن النبي ﷺ : «أنه نهىٰ عن النهبة والمثلة»[1] ولكن إذا مثـل بالمقتـول هل يمثـل بالقـاتل أثنـاء القصاص؟ الذي يظهر - والله أعلم - يمثل به إن طلب ذلك أولياء المقتول، وهذا قول مالك، والشافعي، والمشهور عن أحمد، قال ابن حزم في كتابه القيم المحلى : «من قتل مؤمنا عمدا في دار الإسلام أو في دار الحرب - وهو يدري أنه مسلم - فولي المقتول مخير إن شاء قتله بمثل ما قتل هو به وليه من ضرب، أو رمي أو صب من حالق، أو تحريق، أو تغريق، أو شدخ، أو إجاعة أو تعطيش، أو خنق، أو سم، أو وطء فرس، أو غير ذلك» أ. هـ[2] ثم ساق الأدلة الصحيحة الصريحة على ما ذهب إليه أذكر منها .

عن أنس قال : خرجت جـارية عليهـا أوضاح بـالمدينـة فرمـاها يهـودي بحجـر، فجيء بها إلى رسـول الله ﷺ وبها رمق، فقـال لها رسـول الله ﷺ : «فلان قتلك؟ فرفعت رأسهـا، فقال لهـا في الثالثـة : «فلان قتلك؟» فخفضت رأسها، فدعا به رسول الله ﷺ فرضح رأسه بين حجرين»[3].

وقـال ابن حزم رادا عـلى من استدل بحـديث «فأحسنـوا القتلة» غـايـة الإحسان في القتلة هو أن يقتله بمثل ما قتل هو - وهذا عين العدل والإنصاف ﴿ والحرمات قصاص ﴾[4] .

---

(١) رواه البخاري كتاب الذبائح والصيد ٢٢٨/٦ .
(٢) المحلى جزء ٣٣/١٢ .
(٣) رواه البخاري كتاب الديات ٣٧/٨ .
(٤) البقرة : ١٩٤ .

وأما من ضرب بالسيف عنق من قتل آخر خنقا أو تغريقا، أو شدخا، فما أحسن القتلة»أ. هـ[1].

الإحسان في الذبح :

قوله ﷺ : «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» كذلك من الإحسان أثناء عملية الذبح، أن يراعي الشروط والواجبات والمستحبات التي وردت في الشرع وهي :

١ ـ أن تكون آلة الذبح حادة تنهر الدم، قال ﷺ : «ما أنهر الدم، وذكر اسم الله فكل ليس العظم والظفر»[2] وكذلك قوله ﷺ : «وليحد أحدكم شفرته»[3].

٢ ـ قطع الحلقوم والمريء والودجين في فور واحد، وتجوز تذكيته في أي مكان في بدنه عند ذبحه، كترديه في بئر أو لشروده، وذلك لقوله ﷺ . وقد ند بعير ـ أي شرد ـ ولم يكن مع القوم خيل، فرماه رجل بسهم فحبسه : «إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا»[4].
فقاس أهل العلم عليه كل ما تعذرت ذكاته من حلقه أو لبته.

٣ ـ التسمية قال تعالى : ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾[5]. وقوله ﷺ : «ما أنهر الدم، وذكر اسم الله فكل»[6]. ولكن إذا لم يعلم هل سمى على الذبيحة أم لا أو تركت التسمية بسبب النسيان سمى عليها أثناء الأكل عن عائشة أن قوما حديثي عهد بجاهلية قالوا للنبي ﷺ :

---

(١) المحلى لابن حزم ٦١/١٢.
(٢) رواه البخاري ٢٢٧/٦ ورواه مسلم ٦٣٩/٤.
(٣) رواه مسلم ٦٢٢/٤ .
(٤) رواه البخاري جزء ٦ ص ٢٢٣.
(٥) الأنعام : ١٢١.
(٦) رواه البخاري جزء ٦ ص٢٢٦ ومسلم جزء ٤ ص ٦٣٩.

«إن قوما يأتوننا باللحمان لا ندري أذكروا اسم الله أم لم يذكروا؟ نأكل منها أم لا؟».

فقال رسول الله ﷺ : «إذكروا اسم الله وكلوا»[1] .

٤ ـ أهلية المذكي، بأن يكون مسلما، عاقلا بالغا أو صبيا مميزا أو كتابيا لقوله جل وعلا: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾[2].

هذا إذا لم يكن ذبحه تقربا للكنيسة والأعياد، أما إذا كان تقربا فالأحوط ترك ذلك، لأنه قد يدخل فيها أهل لغير الله به، وهذا ما قالت به عائشة وقال به ابن عمر وطاوس بن كيسان والحسن والشافعي وغيرهم .

٥ ـ ألا تحد الشفرة أمام الذبيحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أضجع شاة، وهو يحد شفرته فقال النبي ﷺ: «أتريد أن تميتها موتان؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها»[3].

٦ ـ ومن الإحسان كذلك، ألا يقطع منها شيئا حتى تتم الذكاة وتموت الذبيحة وألا يبالغ في الذبح، فيقطع رأس الذبيحة لأن هذه إساءة، وإن فعل ذلك فتوكل مع الإساءة.

فوائد الحديث :

١ ـ في الحديث الحث على الرحمة والشفقة بالحيوان، والإسلام له السبق في هذا الميدان، قبل جماعات الرفق بالحيوان التي أنشئت حديثا في أوروبا وغيرها، والإنسان يئن من الظلم الواقع عليه في مجتمعاتهم.

٢ ـ كما فيه النهي عن المثلة بالإنسان بعد قتله دون وجه حق.

---

(١) رواه البخاري كتاب الصيد والذبائح ٦/٢٢٦.

(٢) المائدة: ٥.

(٣) صححه الألباني في السلسلة/ ٢٤.

الحديث الثامن عشر

عَنْ أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنادَةَ وَأَبي عبدِ الرحمنِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ - رَضِيَ الله عَنْهُما عَنْ رسولِ الله ﷺ قالَ: «اتَّقِ الله حَيْثُما كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تَمْحُهَا، وَخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

منزلة الحديث:

تكمن أهمية هذا الحديث بدعوته إلى:

١ ـ تقوى الله هي غاية الدين، وأصل كل خير وفضيلة، كما هي وصية الله تعالى القديمة للأولين والآخرين.

٢ ـ حسن الخلق غاية من غايات الدين الحنيف، وحسن الخلق سبب لترابط الأمة، وانتشار المحبة، كما هو سبب القرب من الله تعالى ورفع الدرجات يوم الدين.

وصية عظيمة:

الوصية بالتقوى وصية عظيمة، وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿ ولقد وصينا الذي أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾[2].

---

(١) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة باب «ما جاء في معاشرة الناس/ ١٩٨٨ وهو صحيح انظر صحيح الجامع بتحقيق العلامة الألباني/ ٩٦.

(٢) النساء: ١٣١.

وكان رسول الله ﷺ يبدأ أكثر خطبه بتذكير الناس بتقوى الله عز وجل ففي خطبة الحاجة كان يقرأ الآيات الآتية :

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً﴾[3].

تعريف التقوى :

والتقوى في اللغة : اتخاذ وقاية وحاجز يمنعك ويحفظك مما تخاف منه وتحذره[4]. وتقوى الله عز وجل يعرفها ابن رجب : «بأن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه»[5] وللسلف في تفسير التقوى أقوالا كثيرة منها: «أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر».

ويدخل في تقوى الله فعل الواجبات وترك المحرمات، وهذه تقوى واجبة على العبد لابد من تحقيقها، كما تدخل في التقوى فعل المستحبات وترك المكروهات، وهذا يؤدي إلى كمال تحقيق التقوى، قال تعالى: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

---

(١) آل عمران: ١٠٢.
(٢) النساء : ١ .
(٣) الأحزاب: ٧٠.
(٤) الوافي في شرح الأربعين: ١١٣ .
(٥) جامع العلوم والحكم: ١٤٨.

وبالآخرة هم يوقنون﴾[1].

إضافات التقوى ومعناها :

تضاف التقوى إلى الله - عز وجل - كما قال تعالى: **﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾**[2] وقال سبحانه: **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾**[3]. فيكون المعنى على ضوء هذه الإضافة، اتقوا سخط الله وغضبه، وهذا أعظم ما يتقى لأن بسببه ينشأ عقابه وعذابه في الدنيا والآخرة.

والله عز وجل أهل أن يتقى ويخشى ويهاب ويجل ويعظم في قلوب عباده، قال تعالى: **﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾**[4].

كما تضاف التقوى إلى عقاب الله وإلى موضعه وهو النار، وإلى زمانه وهو يوم القيامة قال تعالى: **﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾**[5] وقال: **﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾**[6] **﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾**[7] .

فضائل التقوى :

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة المطهرة تبين فضل التقوى وإليك بعضا منها:

١ ـ الجنة يرثها المتقون قال تعالى: **﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من**

(١) البقرة: ١.
(٢) المائدة: ٩٦.
(٣) الحشر: ١٨.
(٤) المدثر: ٥٦.
(٥) آل عمران: ١٣١.
(٦) البقرة: ٢٤.
(٧) البقرة: ٢٨١.

كان تقيا﴾[1].

٢ ـ التقوى سبب لمحبة الله للعبد. قال تعالى: **﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾**[2].

٣ ـ فتح بركات السموات والأرض للمتقين. قال تعالى: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**[3].

٤ ـ معية الله مع المتقين قال تعالى: **﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**[4].

٥ ـ تيسير الأمور في الدنيا والآخرة قال تعالى: **﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾**[5].

٦ ـ خير زاد العبد في الدنيا والآخرة التقوى قال تعالى: **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾**[6].

٧ ـ العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين قال تعالى: **﴿والعاقبة للمتقين﴾**[7].

تقوى الله في السر والعلن:

قوله ﷺ «اتق الله حيثما كنت» يعني اتق الله في السر حيث لا يراك أحد، وفي العلن حيث يراك الناس، لأن الله مراقب لجميع الأعمال والأقوال والأحوال، قال تعالى: **﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾**[8] قال ابن كثير: وهذا إرشاد، وأمر بمراقبة الرقيب»[9].

---

(١) مريم: ٦٣.

(٢) آل عمران: ٧٦.

(٣) الأعراف: ٩٦.

(٤) النحل: ١٢٨.

(٥) الطلاق: ٤.

(٦) البقرة: ١٩٧.

(٧) الأعراف: ١٢٨.

(٨) النساء: ١.

(٩) تفسير ابن كثير ٢/١٧٩.

إن عدم مراقبة الله في السر علامة على مرض القلب، وهذا هو فعل المنافقين، لذلك أنكر الله عليهم حيث أنهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها وهو مطلع على السرائر، عالم ما في الضمائر قال تعالى: ﴿**يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله**﴾[1].

لذلك قال بعض الصالحين «اتق الله أن يكون أهو الناظرين إليك» وقال أبو سليمان:[2] إن الخاسر من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد. وقال بعضهم: تقوى الله في السر علامة كمال الإيمان.

ما يمحو السيئات:

قوله ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» يدل الحديث أنه قد يحدث من العبد بعض التفريط بالطاعات، أو الوقوع بالمنهيات فعليه في هذه الحالة، أن يقوم بالأعمال الصالحة، فإنها تمحوا هذه السيئة التي وقع فيها، ويشهد من القرآن الكريم لهذا قوله عز وجل: ﴿**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾[3] وسبب نزول هذه الآية كما يروي ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله ثم ذكر الآية السابقة فقال الرجل يا رسول الله: ألي هذا، قال: لجميع أمتي كلهم»[4] كما وصف الله المتقين بأنهم إذا وقع منهم بعض التفريط في أمور تقوى الله لم يصروا على هذا التفريط، ولكن يسارعون بالرجوع إلى الله

---

(١) النساء: ١٠٨.

(٢) أبو سليمان الجوزجاني (ـ ٢٠٠ هـ) هو موسى بن سليمان، أبو سليمان الجوزجاني، ثم البغدادي، حنفي المذهب أفغانستاني الأصل، فقيه أخذ الفقه من محمد بن الحسن، عرض عليه المأمون القضاء فرفض من آثاره العلمية ١ ـ السير الصغيرة ٢ ـ الصلاة ٣ ـ الرهن ٤ ـ نوادر الفتاوى في فروع الحنفية.

(٣) هود: ١١٤.

(٤) رواه البخاري ٢/١٤٨.

بـالتوبـة قال تعالى : ﴿والذين إذا فعلوا فـاحشة أو ظلمـوا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفـر الذنـوب إلا الله ولم يصروا على مـا فعلوا وهم يعلمون﴾[1].

فالحمد لله الذي جعل لنا هذا المخرج للتخلص من الذنوب والآثام.

المقصود بالحسنة التي تمحو السيئة:

للعلماء في الحسنة التي تكون سببا في محو السيئة قولان

١ ـ قال بعضهم: قد يراد بالحسنة التوبة من تلك السيئة، لأن الله عـز وجل بين أن من تاب من ذنبه فإنه يغفر له ذنبه ويتـوب عليه في مـواضع كثيرة منها قوله تعالى :ـ ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليكم﴾[2] ومنها ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾[3].

وظاهر هـذه الأدلة، أن من تـاب توبـة نصوحـا وحقق شروط التوبـة، يقـطع بقبول الله لتـوبته كـما يقطع بقبـول إسـلام الكـافـر إذا أسلم إسـلامـا صحيحا.

هذا ما ذهب إليه الجمهور، وكلام ابن عبدالبر يدل على أنه إجماع.

أمـا النصـوص التي استـدل بهـا البعض بخـلاف رأي الجمهـور منهـا، قوله: «فـأما من تـاب وآمن وعمل صـالحا فعسى أن يكـون من المفلحين»[4] وقـولـه: «وتـوبـوا إلى الله جميعـا أيـه المؤمنـون لعلكم تفلحـون»[5] وقـولـه:

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) النساء: ١٧.

(٣) الفرقان: ٦٩.

(٤) القصص: ٦٧.

(٥) النور: ٣١.

«وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم»[1] قال ابن رجب: والظاهر أن هذا في حق التائب لأن الاعتراف يقتضي الندم».

وقال ابن عباس: ان عسى من الله واجب نقله عنه علي بن طلحه وقال ابن رجب «ورد جزاء الإيمان والعمل الصالح بلفظ عسى أيضا ولم يدل ذلك على أنه غير مقطوع به»[2].

٢ ـ وقال بعضهم: يراد بالحسنة ما هو أعم من التوبة، يشهد لهذا قوله عز وجل: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾[3] فالصلاة والوضوء سبب لمغفرة الذنوب ومحوها، وردت نصوص كثيرة تدل على ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»[4] كذلك من احتسب صيام رمضان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[5] كذلك الحج سبب لمغفرة الذنوب ومحوها عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[6] كما وردت نصوص كثيرة تدل على أن كثيرا من الأعمال الصالحة سبب لمغفرة الذنوب ومحوها.

---

(١) التوبة: ١٠٢.
(٢) جامع العلوم والحكم ص ١٥٦ ـ ١٥٧.
(٣) هود: ١١٤.
(٤) مسلم كتاب الطهارة ٥٣٧/١.
(٥) رواه البخاري ـ انظر مختصر البخاري بتحقيق الألباني ص ١٥.
(٦) رواه البخاري كتاب الحج ٢٤١/٢.

ما يمحوه العمل الصالح :

ذهب عطاء وغيره[1]: أن الأعمال الصالحة تمحو الصغائر فقط، بل اعتبر بعضهم اجتناب الكبائر شرط في تكفير الصغائر، لأنه إذا كانت الأعمال الصالحة تكفر الذنوب صغيرها وكبيرها إذن لم يحتج إلى التوبة ومعلوم أن التوبة واجبة والواجب لابد وأن يؤدى بنية وقصد.

كما لو كفرت الكبائر بأداء الفرائض، لم يبق أحد له ذنب يدخل فيه النار. ومن أقوى ما استدل به من ذهب إلى هذا القول قوله ﷺ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[2] واجتناب الكبائر شرط لتكفير الصغائر هذا قول جمهور أهل السنة. قال قتادة: إنما وعد الله المغفرة لمن اجتنب الكبائر[3] وقوله ﷺ : من أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[4] وهذا فيه دليل على أن إقامة الفرائض لا تكفر الكبائر فلا بد من توبة صادقة من الكبائر حتى يغفرها الله بمحوها.

قال ابن رجب: والأظهر والله أعلم في هذه المسألة: تكفير الكبائر بالأعمال إن أريد أن الكبائر تمحى بمجرد الإتيان بالفرائض وتقع الكبائر مكفرة بذلك كما تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فهذا باطل، وإن أريد أنه قد يوازن يوم القيامة بين الكبائر وبين بعض الأعمال فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع»[5].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٥٩.
(٢) مختصر مسلم بتحقيق الألباني ص ٦٢.
(٣) جامع العلوم والحكم ص ١٦٠.
(٤) معنا لا لفظاً في البخاري كتاب الإيمان ١/ ١٠.
(٥) جامع العلوم والحكم ص ١٦٤.

التوبة من الصغائر:

ينبغي للمسلم أن يتوب من صغائر الذنوب وهذا هو قول الحنابلة وغيرهم واستدلوا بقوله جل وعلا ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ إلى قوله ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1].

وكما استدلوا بقوله ﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ إلى قوله ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾[2].

حسن الخلق من تقوى الله:

قوله ﷺ «وخالق الناس بخلق حسن»

التخلق بالأخلاق الحسنة من خصال التقوى الذي لا تتم إلا به، قال تعالى: ﴿أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[3] فعد الله سبحانه مخالقة الناس بخلق حسن من مقومات التقوى.

ورغب رسول الله ﷺ الأمة بالخلق الإسلامي القويم أذكر منها:

١ ـ حسن الخلق من كمال الإيمان قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[4].

٢ ـ بحسن الخلق يدرك العبد درجات العباد المخبتين لربهم، قال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات الصائم القائم»[5].

٣ ـ حسن الخلق يثقل ميزان العبد يوم القيامة، قال ﷺ: «ما من شيء

---

(١) النور: ٣١.

(٢) الحجرات: ١١.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

(٤) انظر صحيح الجامع للألباني رقم ١٢٤١.

(٥) رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألباني برقم ١٩٢٨.

يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق»[1].

٤ ـ أكثر ما يدخل الناس الجنة حسن الخلق، سئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق»[2].

تفسير السلف لحسن الخلق:

نقل الحافظ ابن رجب أقوالا كثيرة لتفسير السلف لحسن الخلق، أنقل منها قال الحسن: حسن الخلق: الكرم والبذل والاحتمال».

وقال ابن المبارك: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

وقال الإمام أحمد: حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد[3] وقال بعضهم: حسن الخلق كظم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع الفاجر والعفو عن الزالين إلا تأديبا وإقامة الحد، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر وأخذا بمظلمة لمظلوم من غير تعد.

هذه الأقوال تندرج تحت مفهوم حسن الخلق.

كيف يحسن خلق العبد:

يحسن خلق العبد إذا اتبع إمام المرسلين لأنه خير من حقق هذا المقام قال الله عز وجل ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[4] فهو القدوة في هذا الجانب قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[5] فعلى المسلم أن يدرس سيرته في كل جانب من جوانب حياته، كيف تأدب مع ربه؟ كيف تأدب مع الناس؟ كيف كان يعامل أهله، كيف كان يعامل أصحابه، كيف كان يعامل غير المسلمين؟.

---

(١) انظر صحيح الجامع للألباني رقم ٥٦٠٢.

(٢) رياض الصالحين بتحقيق العلامة الألباني ص ٢٧٣.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ١٧٣.

(٤) القلم: ٤.

(٥) الأحزاب: ٢١.

ومما يعين على اكتساب الأخلاق الحميدة مجالسة أهلها الأتقياء الأطهار لأن الإنسان يتأثر بالمجالسة قال ﷺ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1] فيجب على المسلم أن يبتعد عن قرناء السوء الذين لا يتخلقون بالأخلاق الحميدة التي دعا لها الدين الحنيف .

---

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٥٣٩.

الحديث التاسع عشر

«عن أبي العَبَّاس عبدِ الله بنِ عباسٍ - رَضِيَ الله عنهما - قالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - ﷺ - يوماً، فقال: يا غلامُ إني أُعَلِّمُك كَلِماتٍ احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجاهَك، إذا سأَلْتَ فاسأَلِ الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فاستَعِنْ بالله، واعْلَمِ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1] رواهُ الترمِذِيُّ. وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وفي رِوايَةِ غَيرِ التِّرْمِذِيِّ «احْفَظِ الله تَجِدْهُ أمامَكَ، تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدةِ واعْلَمْ أَنَّ ما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وما أَصابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ، وأَعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»[2].

منزلة الحديث:

قال ابن رجب: «هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء، تدبرت هذا الحديث، فأدهشني وكدت أطيش، فوأأسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه»[3].

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٣٤.

(٢) صحيح انظر رياض الصالحين بتحقيق الألباني ٦٣.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ١٧٤ .

احفظ الله يحفظك :

قوله ﷺ: «احفظ الله يحفظك» يعني احفظ أوامره ونواهيه وحدوده وحقوقه، ويكون ذلك بامتثال ما أمر الله به ورسوله من واجبات والابتعاد عن المنهيات، فمن قام بذلك مدحه الله في كتابه قال تعالى: **﴿هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾**[1] عن ابن عباس في تفسير «حفيظ» هو الحافظ لأمر الله.

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه: **﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾**[2] ومدح رب العالمين من حافظ عليها: **﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾**[3] ومما أمر الله جل جلاله بحفظه كذلك: **﴿واحفظوا أيمانكم﴾**[4] وكما أمر بحفظ الفرج من الفواحش ومدح من حفظ فرجه: **﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾**[5].

قوله ﷺ: «يحفظك» من حفظ أوامره وقام بما أوجب الله عليه وانتهى عما نهى عنه حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل قال تعالى: **﴿أوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾**[6] وقال: **﴿أذكروني أذكركم﴾**[7] وقال: **﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾**[8].

ويكون حفظ الله للعبد في الدنيا بحفظ مصالحه الدنيوية وحفظ بدنه وولده وأهله وماله، قال تعالى: **﴿وكان أبوهما صالحا﴾**[9] قال الحفاظ ابن

---

(١) ق: ٣٢.
(٢) البقرة: ٢٣٨.
(٣) المعارج: ٣٤.
(٤) المائدة: ٨٩.
(٥) الأحزاب: ٣٥.
(٦) البقرة: ٤٠.
(٧) البقرة: ١٥٢.
(٨) محمد: ٧.
(٩) الكهف: ٨٢.

كثير: «فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت السنة به قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما»[1] قال سعيد بن المسيب[2] لابنه لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا الآية السابقة.

ويكون الحفظ للعبد بحفظ دينه وإيمانه من الشبهات المضلة، والشهوات المحرمة حتى يلقى الله وهو على دين وخلق كما يحب ربنا ويرضى. لذلك كان ﷺ يدعو ربه بأن يحفظه «إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[3] وحفظ الله دين يوسف عليه، وصرف عنه الفتن المضلة والشهوات المحرمة، قال تعالى: **﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾**[4].

معية الله وتأييده للمتقين:

قوله ﷺ: «احفظ الله تجده تجاهك» من حفظ أوامر الله في نفسه وأهله، واستقام وفق الكتاب والسنة، كان الله معه في كل أحواله، حيث توجه يحوطه بعنايته ونصره وحفظه وتوفيقه، قال الله عز وجل: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**[5] وقال الله مخاطبا موسى وهارون: **﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾**[6] وقال مخبرا عن موسى عليه السلام: **﴿كلا**

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير جزء ٥ ص ١٨٣.

(٢) سعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤) هـ هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب. قرشي مخزومي، تابعي من الفقهاء السبعة بالمدينة، فقيه محدث، واشتهر بالورع والزهد حفظ عن عمر كثيرا. كان لا يأخذ العطاء، ويأكل من كسب يده، توفي بالمدينة.

(٣) رواه البخاري ٨/١٦٩.

(٤) يوسف: ٢٤.

(٥) النحل: ١٢٨.

(٦) طه: ٤٦.

إن معي ربي سيهدين﴾[1] وقال ﷺ للصديق: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[2] وقال له كذلك: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾[3] وهذه المعية الخاصة، التي تقتضي النصر والتأيد والحفظ والإعانة، كما بين أهل العلم وهي بخلاف المعية التي وردت بقوله سبحانه: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم . . ﴾[4] وقوله: ﴿ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾[5] فهذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية التخويف والتهديد.

حكم السؤال:

قوله ﷺ: «وإذا سألت فاسأل الله» المقصود بالسؤال هنا الدعاء، والدعاء هو العبادة، قال تعالى: ﴿واسألوا الله من فضله﴾[6] وعد الله من لا يدعوه من المستكبرين ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[7].

فيجب على المسلم، أن لا يتوجه لغير الله فى الأمور التي لا يقدر على تحقيقها إلا الله، ومن وقع بذلك وقع بالشرك الذي نهى الله عباده عنه، قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾[8] قال ابن رجب: واعلم أن سؤال الله ـ عز وجل ـ دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار للذل من السائل والمسكنة والحاجة والإفتقار، وفيه الإعتراف بقدرة المسئول على رفع الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء

---

(١) الشعراء: ٦٢.
(٢) صحيح رواه البخاري ومسلم انظر فقه السيرة بتحقيق الألباني ١٤٧ .
(٣) التوبة: ٤٠.
(٤) المجادلة: ٧.
(٥) النساء: ٤.
(٦) النساء: ٣٢.
(٧) غافر: ٦٠.
(٨) الأحقاف: ٥.

المضار، ولا يصلح الذل والإفتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة[1].

أما من حيث سؤال الناس في الأمور التي يقدرون على تحقيقها من أمور الدنيا وحطامها، فوردت أحاديث كثيرة تذم المسألة في هذا، وترغب بالتعفف قال ﷺ؛ «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة[2] فحلت له المسألة، حتى يصيبها ثم يمسك، أو رجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة، حتى يصيب قواماً[3] من عيش أو قال: سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة[4] حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا[5] من قومه، لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة، حتى يصيب قوما من عيش أو قال: سداداً من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا»[6].

فالحديث يدل على تحريم المسألة، وأنها لا تجوز إلا لضرورة كما ورد في هذا الحديث وما يقاس عليها من باقي الأمور.

وأثنى الله على عباده المتعففين، الذين لا يسألون الناس، قال تعالى: **﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا﴾**[7] والنصوص في هذا المقام كثيرة، فمنها ما ينهى عن المسألة نهي تحريم كما في الحديث السابق، ومنها ما نهى نهي كراهة. مثل سؤال بعض الناس رفقاءه حاجاتهم الخاصة بهم من سيارة وأواني وقلم دون حاجة إلى ذلك، ومما ورد

---

(١) جامع العلوم والحكم ١٨١.

(٢) قال النووي: «أن يقع قتال ونحوه بين فريقين فيصلح إنسان بينهم على مال فيتحمله ويلتزمه على نفسه» كذا في رياض الصالحين رقم الحديث ٥٤٠.

(٣) القوام ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه/ كذا في رياض الصالحين.

(٤) الفاقة ـ الفقر الشديد.

(٥) ذو الحجا : ذو العقل والنهى والفطنة .

(٦) رواه مسلم/ رياض الصالحين بتحقيق الألباني/ ٥٤٠.

(٧) البقرة: ٢٧٢.

عن النبي ﷺ أنه بايع جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئا منهم أبو بكر وأبو ذر وثوبان، وكان أحدهم يسقط السوط أو خطام ناقته، فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه[1]. قال بعض أهل العلم معلقا على ذلك الحديث: «فيه التمسك بالعموم لأنهم نهوا عن السؤال، فحملوه على العموم وفيه التنزيه عن جميع ما يسمى سؤالا وإن كان حقيرا».

الإستعانة بالله وحده :

قوله ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله»العبد مهما أوتي من جاه وقوة وسلطان، فهو لا يزال فقيرا عاجزا عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، لذلك يجب على العبد أن يستعين بالله وحده

على مصالح دينه ودنياه، فمن أعانه الله فهو المعان الموفق، ومن خذله وتخلى عنه فهو الخاسر المفلس؛ لذلك عظم الأجر على كلمة «لا حول ولا قوة إلا بالله» فهي كنز من كنوز الجنة كما بين رسول الله ﷺ، لأن فيها اعتراف بأنه لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله وحده سبحانه وتعالى.

فيجب على المسلم أن يستعين بالله على طاعته وترك معاصيه، والصبر على المقدورات كلها، وعلى التثبيت يوم يلقاه يوم لا ينفع ما ولا بنون.

قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[2] وقال ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»[3].

---

(١) ورد حديث في مسلم يدل على هذا المعنى. انظر رياض الصالحين بتحقيق الألباني رقم ٥٣٣.
(٢) الفاتحة ٥ .
(٣) رواه مسلم في القدر ٥/٥٢١.

الإيمان بالقضاء والقدر :

قوله ﷺ : «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» في هذا المقطع من الحديث، يدور كلام رسول الله ﷺ حول قضية من قضايا القضاء والقدر، فيجب على العبد الإيمان بذلك، فالله جل جلاله علم علما شاملا كاملا ودقيقا لم يسبقه جهل بما سيكسب العبد من الخير والشر، وبما سيصيبه من خير ونفع وكتب ذلك في الكتاب السابق، قال ﷺ : «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[1] وقال ﷺ : «إن أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»[2]. والعبد لا يصيبه من خير ونفع إلا ما قدر عليه، فمن قدر الله له نفعاً لو اجتمع أهل السماء والأرض على منع النفع عنه لا يستطيعوا إلى ذلك سبيلا . دل كتاب الملك العلام على مثل ذلك ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾[3] وقال سبحانه : ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾[4] .

لذلك قال ﷺ : «رفعت الأقلام وجفت الصحف» قال ابن رجب: هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته ورفعت الأقلام عنه وطال عهده فقد رفعت عنه الأقلام وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفت الصحف التي كتب فيها بالمداد المكتوب فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها»[5].

---

(١) رواه مسلم جزء ٥ ص ٥٠٩.

(٢) رواه أحمد ٣١٧/٥ وحسنه الألباني/ شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٤ الطبعة الأولى.

(٣) التوبة : ٥١.

(٤) آل عمران : ١٥٤.

(٥) جامع العلوم والحكم ١٨٢ .

تعرف إلى الله بالرخاء يعرفك في الشدة :

هذه من الحكم النبوية التي ينبغي أن تحفظ وتنشر، وهي تدعو إلى معرفة الله في الرخاء والأمن والصحة والغنى والقوة، وتكون معرفته بالمحافظة على الواجبات وترك المنهيات وزيادة التقرب إليه بالنوافل، فمن عرف الله في هذا المقام عرفه عندما تحل به الشدة والضيق والفقر والمرض وما أكثر هموم الدنيا ومصائبها ومعرفة الله له في هذا المقام، تكون بإعانته وتثبيته على الحق ونصرته وتأييده.

لقد عرف حبيبنا محمد ﷺ ربه في الرخاء، فعرفه في الغار وعرفه يوم بدر ويوم الأحزاب ونصره وثبته وأعلى رايته، وعرف يونس عليه السلام ربه في الرخاء فعرفه في بطن الحوت ونجاه وثبته ونصره.

النصر مع الصبر :

قوله ﷺ : «واعلم أن النصر مع الصبر» يشهد لهذ من القرآن قوله تبارك وتعالى: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾**[1] وقوله **﴿وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾**[2] الصبر خصلة عظيمة، يحتاجها المسلم حتى يستطيع أن يقوم بأمر الله تبارك وتعالى، فالبلاء الذي يجريه الله على عباده بحاجة إلى صبر، وما يلاقي المسلم في طريق الدعوة من محن وأذى بحاجة للصبر، ترك الشهوات والمحارم بحاجة إلى صبر، لأن الشهوات والمعاصي تشد النفوس إليها والمعصوم من عصمه الله، والمحافظة على طاعة الله بحاجة إلى الصبر، ومجاهدة أعداء الله بحاجة إلى صبر، لأن الجهاد فيه كثير من المشاق والمكاره فالصبر عليها سبب النصر وطريقه، كما بين رسول الله ﷺ والنصر الذي وعد

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) الإنفال: ٦٦.

به رسولنا يشمل الجهادين كما قال ابن رجب «يشمل النصر في الجهادين» جهاد العدو الظاهر وجهاد العدو الباطن»[1] فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوه، ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار أسيرا لعدوه أو قتيلا له»[2] قال عمر لأشياخ من بني عبس بم قاتلتم الناس؟ قالوا: بالصبر، لم نلق قوما إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا.

الفرج مع الكرب :

قوله ﷺ : «إن الفرج مع الكرب» قد تتوالى المصائب والفتن والمحن على المسلم، وتشتد عليه الأمور وتضيق عليه الدنيا، ويتمكن منه الحزن والغم فإذا احتسب وصبر وعلم أن ما أصابه بقضاء الله وقدره، ولم ييأس من روح الله، تداركته عناية الله وعفوه ومغفرته ورحمته، وجاء الفرج وإنك لتجد كثيرا من العبر في الكتاب قال تعالى: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾[3] انصب البلاء على محمد ﷺ وصحبه يوم الأحزاب صبا، خوف وجوع وبرد ومشقة، وصمد الرجال وعلى رأسهم سيد ولد آدم في ميدان البلاء والمحنة كالصخرة الصماء، ومن خلال هذه المحن والكروب جاء نصر الله وتأييده لهم.

إن مع العسر يسرا:

قوله ﷺ : «وإن مع العسر يسرا» مأخوذة من قوله عز جل ﴿**سيجعل الله بعد عسر يسرا**﴾[4] وقوله: ﴿**فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**﴾[5]

---

(١) العدو الباطن الشيطان والنفس والهوى.
(٢) جامع العلوم والحكم ١٨٦.
(٣) البقرة: ٢١٤.
(٤) الطلاق: ٧.
(٥) الشرح ٥، ٦.

العسر والكرب والضيق والشدائد تصقل المسلم وتصفيه من الشوائب، وتعلق قلبه بربه، ويزداد هذا الرباط مع شدة العسر، ويجعل المسلم يتوجه إلى ربه بصدق وإخلاص، وهذا من أعظم أسباب إزالة العسر.

يروى عن الإمام الشافعي رحمه الله [1]

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا   من راقب الله في الأمور نجا

من صدق الله لم ينله أذى   ومن رجاه يكون حيث رجا

ففي الحديث يؤكد رسول الله ﷺ أن العسر لا يدوم لمن احتسب وصبر، وعلم أن ما أصابه بمقدور الله، وأنه لا مفر له من ذلك، واستقام كما أمر ربه.

فوائد من الحديث:-

١ ـ ينبغي للمعلم شد انتباه المتعلم وتهيئته قبل إعطائه المعلومات وهذا من قوله «يا غلام إني أعلمك كلمات».

٢ ـ كما فيه الحث على تربية الأبناء وتعليمهم أمور دينهم.

٣ ـ كما فيه الحرص على الوقت واستغلاله بما يعود بالنفع على المكلف في الدنيا والآخرة، فهاهو رسول الله يستغل وقته حتى أثناء تنقله من مكان إلى آخر لأن هذه الوصية قالها لابن عباس عندما كان رديفه على الدابة.

٤ ـ التخلق بالشجاعة والإقدام مع التعقل وأخذ الأسباب، وذلك من علم أن الضر والنفع بيد الله، وأن الإنسان لا يصيبه من ضر ولا نفع إلا ما قدر عليه، يدفعه ذلك إلى الشجاعة والإقدام.

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٣٦٢.

الحديث العشرون

عَنِ أبي مَسْعـودٍ عُقْبَةَ بِنْ عَمْـروٍ الأَنْصارِيِّ البَـدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مما أَدْرَكَ الناسُ مِن كلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى: إذا لَمْ تَسْتَحِ[1] فاصْنَعْ ما شِئْتَ[2]».

منزلة الحديث:

تكمن أهمية الحديث بدعوته إلى خلق الحياء، الذي هو من الإيمان، والحياء لا يأتي منه إلا الخير، والحياء يدعو صاحبه للتحلي بالفضائل، والبعد عن الرذائل والحياء خلق أنبياء الله وإمامهم محمد ﷺ، حيث كان أشد حياء من العذراء[3] في خدرها[4].

الحياء خلق ملائكة الله، قال ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[5]، خلق الحياء الدعوة إليه قديمة.

من إرث أنبياء الله:

قوله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» يعني أن هذه الحكمة النبوية العظيمة، الداعية إلى الحياء، مما توارثه الناس عن أنبيائهم جيلا

---

(١) الحياء: خلق عظيم، يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.
(٢) رواه البخاري كتاب الأدب ١٠٠/٧.
(٣) البكر.
(٤) الموضع الذي تحبس فيه وتستتر كذا في الفتح.
(٥) المشكاة بتحقيق الألباني ٨٣٥/٣.

بعد جيل، حتى وصلت إلى أول هذه الأمة المحمدية.

فمما دعا إليه أنبياء الله السابقين العباد التخلق بخلق الحياء، وهنا تزداد أهمية هذه الحكمة العظيمة التي أمرنا رسولنا أن نتخلق فيها.

معنى الأمر في الحديث:

قوله ﷺ: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» للعلماء في مفهوم أمره ﷺ أقوال منها:

١ ـ الأمر للتهديد والوعيد، فيكون المعنى إذا لم يكن عندك حياء فاعمل ما شئت فإنك معاقب مجازى على صنيعك، وقد يكون في الدنيا أو الآخرة أو في كلاهما.
وقد ورد في الذكر الحكيم مثل هذا السياق قال تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾[١].

٢ ـ الأمر للإباحة، فيكون المعنى إذا أقدمت على أمر فلم تستحِ من صنيعه من الله ولا رسوله ولا الناس فافعله، فإنه يباح لك ذلك قال النووي: الأمر فيه للإباحة أي إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا فلا»[٢].

٣ ـ الأمر للإخبار، فيكون المعنى أن المانع من فعل ما يشين العبد هو الحياء، فمن فقده انهمك في معاصي الله عز وجل.
ومثل ذلك قوله «فليتبوأ مقعده من النار»[٣] فالأمر هنا أي تبوأ مقعده من نار جهنم وهنا كلام جميل للخطابي ونصه: «الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث إن الذي يكف الإنسان عن موافقة الشر هو

---

(١) فصلت: ٤٠.
(٢) الفتح: ٣/١٣٩.
(٣) مختصر البخاري ص ٣٨ مختصر مسلم كتاب العلم ص ٤٩٢/ وغيرهما.

الحياء، فإذا تركه صار كالمأمور طبعا بارتكاب كل شر»[1].

الحياء ضربان:

١ ـ الحياء الغير مكتسب وهو ماكان فطرة وجبلة يمن الله به على من شاء من عباده، وهو من أعظم النعم التي يجود بها الباري على من شاء من عباده، لأنه لا يأتي إلا بالخير للعبد، قال ﷺ: الحياء لا يأتي إلا بخير»[2] فنرى كثيراً من الناس يكف عن القبائح والمعاصي، وقد لايكون ذلك تديناً، قال بعضهم: رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة، فاستحالت ديانة.

٢ ـ الحياء المكتسب: من معرفة الله وصفاته العظيمة الجليلة، وإنه رقيب على عبادة لا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهذا الحياء المكتسب من معرفة الله هو من خصال الإيمان، قال ﷺ «دعه فإن الحياء من الإيمان»[3] قال القرطبي: الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزي غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب[4] إذا سلب العبد الحياء المكتسب وغير المكتسب، لم يبق له ما يمنعه من الوقوع في القبائح والمعاصي، ويصبح العبد شيطانا رجيما يمشي على الأرض بجثة آدمي نسأل الله السلام.

الحياء المذموم:

قال عياض وغيره: «والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس

---

(١) الفتح ١٣٩/٣.

(٢) البخاري كتاب الأدب، ١٠٠/٧ ومسلم كتاب الإيمان ٢١١/١.

(٣) الحديث متفق عليه وأوله عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله: وذكر الحديث.

(٤) الفتح ١٣٨/١٣.

حيـاء شرعيا بـل هو عجـز ومهانـة، وإنما يـطلق عليه حيـاء لمشابهتـه للحيـاء الشرعي»[1] فالحياء الـذي يؤدي بصاحبـه في التقصير في حقـوق الله، فيعبـد الله على جهل ولا يسأل عـن دينـه، ويقصر في القيام بحقـوقه، وحقـوق من يعول، وحقوق المسلمين فهذا الحياء مذموم لأنه ضعف وخور.

المرأة والحياء.

قـال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مـدين وجد عليـه أمة من النـاس يسقـون ووجد من دونهم امرأتـين تذودان قال ما خـطبكما قـالتا لا نسقي حتى يصـدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾[2] رأى موسى عليه السلام هاتين البنتين وهما على مستوى سامي من الخلق القويم، فهن لا يزاحمن الرجال، ويكفكفن غنمهما أن ترد مع غنم الرعاء لئلا يؤذيا.

كما فيه دلالـة على أن هـاتين الفتـاتين خـرجتا من بيت ربـاهما فـأحسن تربيتهما بيت عظيم يعظم العفة والحياء.

وعندما استفسر موسى عن وضعهما بينتـا له سبب خـروجهما، وهـو كبر سن والديهما وهذا هو سبب الخروج من الخدر.

فقام موسى عليه السلام بالواجب وسقا لهما.

ثم تابع القرآن القصة ﴿فجاءته إحدهما تمشي على استحياء قـالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾[3] بين لنا القرآن ما ينبغي أن تكون عليه المرأة من خلق وحياء، فوصف لنا مشية هذه الحرة الشريفة مشية عنوانها الحياء والنقاء والطهر، قال أمير المؤمنين عمر: كانت متسترة بكم درعها»[4].

---

(١) الفتح ١٣/١٣٨.
(٢) القصص: ٢٣.
(٣) القصص: ٢٥.
(٤) تفسير ابن كثير ٦/٢٣٨.

كما بين لنا كيف تخاطب المرأة الرجال الأجانب، فلا خضوع بالقول ولا رقة ولا وقاحة، لذلك اختار الله لنبيه موسى إحداهما زوجة له، قال تعالى: ﴿الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾[1].

وهكذا يجب على ولي الأمر، أن يربي بناته على الحياء، لأن الحياء حلى المرأة، فإذا خلعته خلعت معه كل فضيله.

لقد كن الصحابيات القدوة في هذا الميدان، فينبغي أن يقتدى بهن، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح[2] وغير فرسه. فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال: إخ إخ ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى[3] والشاهد في هذا قول أسماء «استحييت أن أسير مع الرجال» استحت أن تسير مع هؤلاء الرجال الأطهار وعندما رأى رسول الله ﷺ هذا منها أقرها عليه وشجعها عليه فيجب على بنات المسلمين أن يقتدين بهؤلاء الصحابيات فهن القدوة المنجية من مهاوي الردى.

فوائد من الحديث:

١ ـ يدل الحديث على أن الحياء كله خير، ومن كثر حياؤه كثر خيره وعم نفعه، ومن قل حياؤه قل خيره.

---

(١) النور: ٢٦ .

(٢) الناضح: الجمل الذي يسقى عليه الماء.

(٣) رواه البخاري باب الغيرة ١٥٧/٦ .

٢ ـ الحياء الذي يعوق من التعلم، وطلب الحق حياء مذموم.
٣ ـ واجب على ولي الأمر، أن يسعى لغرس خلق الحياء في أبنائه.
٤ ـ من فوائد الحياء العفة والوفاء.
٥ ـ يقابل الحياء الوقاحة، وهي خصلة مذمومة تدعو صاحبها إلى فعل الشر، والانغماس فيه، والمجاهرة بالمعاصي، قال ﷺ : كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين»[1].
٦ ـ والحياء من شعب الإيمان الواجبة.

(١) البخاري كتاب الأدب ٧/٨٩ ومسلم كتاب الزهد ٥/٨٣٨ .

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرو، وَقِيلَ أَبِي عَمْـرَةَ سُفْيانَ بن عَبْـدِ الله ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ: يـا رَسُولَ الله، قُـلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَـوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحدًا غَيْرَكَ، قالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ»[1].

منزلة الحديث :

هذا الحديث العـظيم من بديـع جوامـع كلمة ﷺ، فقـد جمع للسـائل بهاتين الكلمتين قواعد الدين، فـأمره بـالإيمان والإستقـامة وفق منهج الله عز وجل.

معنى الإستقامة :

قوله ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» والإستقامة الإعتـدال نقول أقـام الشيء واستقـام اعتدل واستـوى[2]، وهناك أقـوال كثيرة للصحـابة والتـابعـين وغيرهم في معنى الإستقامـة، قال ابن عبـاس وقتادة: أي استقـاموا عـلى آداء فرائضه. وقال القاضي عياض[3]: أي وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا، فلم

---

(١) رواه مسلم انظر شرح مسلم كتاب الإيمان ١/٢١٣.

(٢) من لسان العرب جزء ١٢ ص ٤٩٨.

(٣) القـاضي عيـاض (٤٧٦ وعنـد البعض ٤٩٦ ـ ٥٤٤) هـ هـو عيـاض بن مـوسى بن عيـاض اليحصبي السبتي، أبـو الفضل أصله من الأنـدلس، انتقل أجداده إلى فـاس ثم سبتـه، من عـمالقة علماء المالكية في الحفظ والفقـه والحديث، آثـاره العلمية: ١ ـ التنبيهـات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة. ٢ ـ إكمال المعلم في شرح صحيـح مسلم. ٣ ـ كتاب الإعـلام بحدود قواعد الإسلام.

يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك[1].

وقال ابن كثير: أخلصوا العمل لله، وعجلوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم[2] وقال القرطبي: وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا وداموا على ذلك[3].

ومما يشهد للحديث من القرآن قوله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾**[4] وقوله سبحانه **﴿فاستقم كما أمرت﴾**[5].

فضل الإستقامة:

الإستقامة سبب لبسط الرزق والتوسيع في الدنيا، قال تعالى: **﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً[6]﴾**[7]، قال القرطبي: أي لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا، وبسطنا لهم في الرزق[8].

وقال تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلاً من غفور رحيم﴾**[9] فالآية تدل على نزول الملائكة

---

(١) شرح مسلم ٢١٣/١.
(٢) تفسير ابن كثير ١٦٤/٧.
(٣) تفسير القرطبي ٣٥٨/١٥.
(٤) فصلت: ٣٠.
(٥) هود: ١١٢.
(٦) غدقا «واسعا كثيرا».
(٧) الجن: ١٦.
(٨) تفسير القرطبي ١٧/١٩.
(٩) فصلت: ٣٠ - ٣٢.

على المستقيمين عند الموت، وفي القبر وعند البعث تأمنهم من الخوف عند الموت، وتزيل عنهم الحزن على فراق الأولاد، فإن الله خليفتهم في ذلك، وتبشر بمغفرة الذنوب والخطايا، وقبول الأعمال، والبشرى بالجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الإستقامة سلوك الصراط المستقيم :

أمر الله رسوله ﷺ وأتباعه بالإستقامة وفق الشرع الحكيم، لأن هذا هو الدين الذي أمرنا الله بالتعبد به، وما سوى ذلك من أقوال الرجال العارية عن الدليل فليس بدين وليس بحجة، قال تعالى: **﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾**[2].

استقامة القلب :

أعظم عضو ينبغي للعبد أن يجتهد على استقامته هو القلب، لأنه ملك الجوارح وباستقامته تستقيم جميع الجوارح[3].

استقامة اللسان :

وأعظم ما ينبغي الاهتمام به بعد القلب اللسان، لأنه المعبر عن مكنونات القلب وقد تخرج منه كلمة لا يزنها صاحبها تكون سببا في هلاكه في الدنيا والآخرة، وأكثر ما يورد الناس النار هو اللسان، ووردت النصوص الكثيرة التي ترهب من إطلاق عنانه، كما وردت النصوص الكثيرة التي ترغب في حفظ اللسان وإقامته وفق أمر الله بالأجر والثواب الجزيل.

---

(١) هود: ١١٢.

(٢) الشورى: ١٥.

(٣) مر الكلام عن القلب وأهميته أثناء شرح الحديث السادس.

أذكر بعضاً منها :

١ ـ قال تعالى: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[١] في الآية بيان أن كلام الإنسان محسوب عليه، فكل قول منه له من يرقبه ويسجله عليه إن كان خيرا أو شرا.

٢ ـ قال تعالى: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾[٢] الآية تدل على أن الإنسان سوف يسأله الله تبارك وتعالى عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، فإذا استعمل هذه الجوارح فيما يرضي الله فلح، وإن استعملها خلاف ذلك هلك.

٣ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا، يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في جهنم»[٣].

٤ ـ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[٤].

فوائد من الحديث :

١ ـ حرص الأصحاب عليهم رضوان الله على النصح وتعلم الدين.
٢ ـ كما فيه الأمر بالاستقامة على الإيمان ومستلزماته حتى الموت.
٣ ـ كما فيه ما أعطى ﷺ من جوامع الكلِم.

---

(١) ق : ١٨.
(٢) الإسراء: ٣٦.
(٣) رواه البخاري كتاب الرقاق ٧/١٨٤ انظر المشكاة رقم ٤٨١٣.
(٤) رواه البخاري كتاب الرقاق ٧/١٨٤ انظر المشكاة رقم ٤٨١٢ .

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أبي عبدِ الله جابِرِ بنِ عَبْدِ الله الأنْصارِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: «أنَّ رجُلاً سَأَلَ رسولَ الله ﷺ فقالَ: أرَأيْتَ إذا صَلَّيْت الصلواتِ المَكْتُوباتِ وَصُمْتُ رَمضانَ، وَأَحْلَلْتُ الحَلالَ وَحَرَمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أزِدْ على ذلكَ شَيْئاً، أأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قالَ: نَعَمْ»[1].

منزلة الحديث:

قال الجرداني: وهذا حديث عظيم الموقع، وعليه مدار الإسلام لجمعه له، وذلك لأن الأفعال إما قلبية أو بدنية، وكل منهما إما مأذون فيه وهو الحلال، أو ممنوع منه وهو الحرام فإذا أحل الشخص الحلال وحرم الحرام فقد أتى بجميع وظائف الدين، ودخل الجنة آمنا[2].

من السائل؟

السائل هو الصحابي الجليل النعمان بن قوقل الخزاعي، وهو ممن شهد بدرا وقتل يوم أحد، دفعه إيمانه بالجنة وما أعد الله بها من نعيم مقيم إلى أن يسأل رسول الله ﷺ، هل الاقتصار على فعل الواجبات وترك المحرمات يدخل الجنة؟ فأجابه ﷺ بنعم.

---

(١) قال النووي: رواه مسلم. ومعنى حرمت الحرام: اجتنبته ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقدا حله.

انظر الحديث في شرح مسلم كتاب الإيمان باب الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة جزء ١/١٥٠.

(٢) الوافي في شرح الأربعين ١٤٨.

إقامة الصلاة المكتوبة في المساجد :

قوله رضي الله عنه «أرأيت» الهمزة للإستفهام، ورأى مأخوذ من الرأي والمعنى أخبرني وأفتني.

وقوله ـ رضي الله عنه ـ صليت المكتوبة «هي الصلوات الخمس، التي فرضها تبارك وتعالى علينا في اليوم والليلة، ولابد من آدائها على طريقة رسول الله ﷺ «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1] .

ولابد من أدائها في المسجد مع جماعة المسلمين، وذهب إلى القول بوجوبها مع الجماعة جمع كبير من الصحابة، ولم يأت عن صحابي واحد خلاف ذلك، وكذلك قال بوجوبها عطاء ابن أبي رباح والحسن البصري والأوزاعي وابن خزيمة والشافعي والبخاري وابن حبان والظاهرية وإسحاق وعامة أهل الحديث والحنابلة، وذلك للأدلة الكثيرة الصحيحة الصريحة التي تدل على وجوبها، وأذكر منها:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، وقد همت آن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[2] .

وهذا دليل واضح على الوجوب، لأن تارك المستحب لا يحرق، ولا شك أن الصلوات المفروضة إذا أداها العبد كما أمر ربنا تبارك وتعالى، وكما بين رسولنا ﷺ لها أثر عظيم على النفس، فهي تزكي النفس وتطهرها مما يدنسها، وتدفع صاحبها إلى فعل الخيرات وتمنعه من الشر: **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾**[3].

---

(١) البخاري كتاب الأذان ١/١٥٥.
(٢) رواه مسلم انظر شرح مسلم للنووي كتاب المساجد ٢/٢٩٧.
(٣) العنكبوت: ٤٥.

وجوب صوم رمضان :

قوله ـ رضي الله عنه ـ: «وصمت رمضان» وصيام شهر رمضان من أركان الدين المعلومة بالضرورة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس»[2] وذكر منها «الصوم» ولقد أجمعت الأمة على ركنية صيام شهر رمضان، ومن أنكر ذلك كفر وخرج من دين الإسلام.

ولابد من أداء هذه العبادة كما أمر ربنا تبارك وتعالى، وألا تفرغ من غايتها ومضمونها حتى يكون لها الأثر على نفس العابد، فتطهر روحه وتطيبها وتورثه التقوى، التي هي سبب خيري الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾[3].

اعتقاد حرمة ما أحل الله كفر :

قوله رضي الله عنه : «وأحللت الحلال» أي اعتقدت بحله، وهذا يكفي ولو لم يفعله وذلك إن اعتقاد تحريم ما أحل الله عز وجل أو اعتقاد تحليل ما حرم الله يفضي إلى الكفر قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[5]: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) رواه البخاري كتاب الإيمان باب ٧/١ ومسلم.

(٣) البقرة: ١٨٣.

(٤) التوبة ٣٣.

(٥) ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨) هـ هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، تقي الدين الإمام شيخ الإسلام متبحر بعلوم الإسلام، في الفقه والتفسير والأصول والحديث، مجتهد، أوذي في سبيل دعوته الإصلاحية قال ابن دقيق العيد: لما اجتمعت بابن تيمية، رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد،. وقال الزملكاني: قد أعطى ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبين، =

ورهبانهم أربابا من دون الله، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين.

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله، فيتبعوهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله أتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون.[1] وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات من أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾[2] كما نهى رسول الله ﷺ الصحابة الذين أرادوا أن يحرموا على أنفسهم أكل اللحم والزواج وبعض ما أحل الله لهم.

استباحة ما حرم الله كفر:

قوله رضي الله عنه: «وحرمت الحرام» قال عمرو بن الصلاح: الظاهر أنه أراد بقوله حرمت الحرام أمرين أحدهما أن يعتقد كونه حراما والثاني ألا يفعله بخلاف تحليل الحلال فإنه يكفي فيه مجرد اعتقاده حلالا[3].

فمما أوجب الله عز وجل على المسلمين أن يعتقدوا حرمة كل ما حرم، وأن يمتنعوا عن فعله فإن من اعتقد حل ما حرم ربنا تبارك وتعالى يكفر وإن لم يفعله، ومن اعتقد حرمة ما حرم الله ولم يمتنع عنه اتباعا لهواه وشهوته فإنه لا يكفر بل يفسق، ويعد من المسلمين روى البخاري في صحيحه عن عمر بن

= وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد.

من تلاميذه: ١ - ابن القيم. ٢ - الذهبي. ٣ - ابن كثير. ٤ - المقدسي. من آثاره العلمية: ١ - السياسة الشرعية. ٢ - منهاج السنة. ٣ - فتاواه طبعت في الرياض ٣٥ مجلدا - أنصح بقراءة لمحات من حياة ابن تيمية لشيخنا الفاضل عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله - وكتاب ابن تيمية لمحمد أبو زهرة فهو كتاب يحوي مادة علمية غزيرة.

(١) تيسير العزيز الحميد ٥٥٢.

(٢) المائدة: ٨٧.

(٣) شرح مسلم ١٤٩/١.

الخطاب رضي الله عنه: «أن رجلا كان على عهد النبي ﷺ وكان اسمه عبدالله، وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله»(١).

وهناك أدلة كثيرة تشهد لما قلت.

والحرام كما يعرفه الأصوليون: هو ما يثاب تاركه امتثالا ويعاقب فاعله، وهو ما جاء على وجه الحتم والإلزام.

ويعبر عنه كذلك بأسماء مختلفة كالحظر والحرج والحجر، والمعصية والذنب. ويعرف الحرام من النصوص بالآتي:

١ ـ النهي نحو ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾(٢) ولا يوجد صارف له عن ذلك.

٢ ـ الوعيد على الفعل: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم﴾(٣).

٣ ـ لفظ التحريم نحو ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم﴾(٤) والحرام يتفاوت فأعظم ما حرم ربنا الشرك وترك الصلاة وعقوق الوالدين.

والتحليل والتحريم حق من حقوق الله عز وجل، فهو خالق البشر ويعلم ما يصلحهم في دنياهم وأخراهم.

---

(١) البخاري كتاب الحدود ١٤/٨.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) آل عمران: ٧٧.

(٤) النساء: ٢٣.

ولا يحل لعبد أن يتعدى على حق مولاه تبارك وتعالى، ومن فعل ذلك فقد نصب نفسه إلهاً للناس، وشارك ربه في ألوهيته.

جواز ترك المستحبات :

قوله رضي الله عنه «ولم أزد على ذلك شيئا أأدخل الجنة»؟ والمعنى لم أزد على آداء الواجبات شيئا من النوافل ـ لأنه مما هو معروف رغب رسول الله ﷺ بكثير من النوافل في الصلاة والصيام وغيرهما ـ فأجابه ﷺ بنعم وهذا دليل على الإقتصار على أداء الفروض واعتقاد حل ما أحل، وحرمة ما حرم والامتناع عنه يدخل العبد الجنة.

ولكن من ترك النوافل فوت على نفسه ربحا عظيما، وثوابا واسعا، كما أن النوافل سبب محبة الله ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾[1] كما أنها تجبر ما في الفرض من نقص وترفع درجات العبد عند ربه وتطيب النفوس وكان سلف الأمة من أشد الناس حرصا على آداء النوافل.

وإنما ترك النبي ﷺ تنبيهه لذلك تسهيلا وتيسيرا عليه وذلك لقرب عهده بالإسلام.

فوائد الحديث :

١ ـ على المسلم أن يسأل أهل العلم عن أمور دينه التي يجهلها .

٢ ـ كما ينبغي على المعلم أن ينظر في حال المتعلم قبل توصيل العلم إليه حتى يعطيه ما يطيق.

٣ ـ كما فيه التبشير والتيسر والترغيب أثناء نشر العلم.

٤ ـ كما فيه أن الإقتصاد على القيام بالواجبات وترك المنهيات يدخل الجنة .

---

(١) البخاري كتاب الرقاق ٧/١٩٠ وسيأتي شرحه لأنه من ضمن الأربعين.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي مالكٍ - الحارثِ بنِ عاصمٍ - أشْعَرِي رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الطُّهور شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بَيْنَ السَّمواتِ والأَرْضِ، والصلاةُ نورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أوْ عَلَيْكَ كلُّ النَّاسِ يُغْدو. فَبائعٌ نَفْسَه فَمُعْتِقُها أو مُوبقُها»(١).

منزلة الحديث.

الحديث ذو أهمية عظيمة، اشتمل على أبواب عظيمة، فأمر بالطهارة، ورغب بالذكر الذي تطمئن إليه القلوب، والصدقة التي نفعها يتعدى للآخرين، والصلاة التي هي من أعظم العبادت بعد التوحيد، وأمر بالصبر، وحث على الإهتمام بكتاب الله، والعمل بما فيه، كما فيه الحث على السعي لإنقاذ النفس، وذلك بسلوك منهج الله.

الطهور شطر الإيمان:

قوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»

الطهور: إذا ضم أولها يراد بها الفعل، الذي هو المصدر، وإذا فتح أولها يراد بها الماء الذي يتطهر به، وهو مشتق من الطهارة، وهي التنزه

---

(١) شرح مسلم كتاب الطهارة جزء ١/٥٠١.

والنظافة من الأدناس الحسية والمعنوية، ومعنى الطهور شرعا فعل ما يترتب عليه رفع الحدث الأصغر والأكبر.

شطر: الشطر نصف الشي، وشطرته جعلته نصفين، وشاطره ماله: ناصفه. واختلف العلماء في معنى قوله: «الطهور شطر الإيمان» إلى أقوال أذكر منها:

١ ـ أن الأجر في الطهور، ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان، وهذا خروج عن ظاهر النص لا شاهد له.

٢ ـ المراد بالطهور هنا هو التطهر بترك الذنوب، والمعاصي والموبقات، لأنه يأتي التطهر بهذا المعنى، كما قال تعالى: ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾[1] والمقصود يتطهرون من اللواط وغيرها من الموبقات، وبما أن الإيمان شطران، فعل المأثورات، وترك المحظورات، فيكون ترك المحظورات تطهر، وبذلك يكون شطر الإيمان، ولكن هذا يرد برواية: «الوضوء شطر الإيمان»[2] ويرد كذلك من حيث المعنى، قال ابن رجب: «فإن كثيرا من الأعمال تطهر النفس من الذنوب السابقة كالصلاة، فكيف تدخل في اسم الطهور، ومتى دخلت الأعمال أو بعضها في اسم الطهور، لم يتحقق كون ترك الذنوب شطر الإيمان»[3].

٣ ـ المراد بالطهور إزالة الحدثين الأكبر والأصغر بالماء أو التيمم، والمراد بالإيمان الصلاة، لأن الإيمان يأتي بمعنى الصلاة، قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[4].

والمراد بالآية ما كان الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس، والصلاة لا

---

(١) النحل: ٥٦.
(٢) انظر الجامع للألباني ٧٠٢٩.
(٣) جامع العلوم والحكم ٢٠١.
(٤) البقرة: ١٤٣.

تصح إلا بالطهارة فصار الطهور نصفها بهذا المعنى، قال النووي: «وهذا القول أقرب الأقوال»[1] وهذا فيه تخصيص وتقيد لمعنى الإيمان لا دليل عليه قوي، لأن فيه من المفسرين من فسر الإيمان بالآية بالثبات على الإيمان عند تحويل القبلة، ولكن رجح العلماء تفسير الإيمان بالصلاة لوجود السنة الصحيحة التي تدل على ذلك فهذا القول محتمل.

٤ ـ المراد بالطهور الوضوء، حيث أنه يكفر الصغائر، والإيمان يكفر الكبائر فصار نصف الإيمان بهذا، وهذا فيه بعد عن ظاهر الحديث لا مبرر له.

٥ ـ خصال الإيمان من الإعمال والأقوال تطهر القلب وتزكيه، والطهارة بالماء تطهر البدن وتنظفه، فبهذا صار خصال الإيمان على قسمين: أحدهما يطهر الظاهر، والآخر يطهر الباطن، فهما نصفان بهذا الاعتبار، وهذا قول محتمل والله أعلم.

الترغيب بذكر الله عز وجل:

قوله ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله، تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض»

تضمن هذا الحديث عظم أجر هذه الكلمات الطيبات، فكلمة الحمد لله تثقل ميزان العبد يوم القيامة، وذلك لما تتضمن من الثناء الحسن على الله، لما أنعم علينا من نعم ظاهرة وباطنة، وكذلك كلمة سبحان الله لها ثواب عظيم، كما قال بعض العلماء: لو قدر ثوابها جسما، لملأ ما بين السماء والأرض.

والتسبيح: يتضمن تنزيه الله عز وجل عن النقائص.

وردت أحاديث كثيرة، ترغب بهذه الكلمات الطيبات، منها عن أبي

---

(١) شرح مسلم كتاب الطهارة جزء ١ ص ٥٠١.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[1] متفق عليه.

الإيمان بالميزان واجب :

قوله ﷺ «تملأ الميزان».

عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان، قال أبو جعفر الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان»[2] وذلك لثبوته بالكتاب قال تعالى: ﴿ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً، وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بِها، وكفى بنا حاسبين﴾[3].

وقال تعالى : ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينُهُ فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾[4] .

وقال تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحقُ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾[5].

ولثبوته في السنة، قال ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا»؟

---

(١) البخاري كتاب الإيمان والنذور باب ١٩ جزء ٧ ص ٢٢٩/ وشرح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار جزء ٥ ص ٥٤٨.
(٢) الطحاوية ٤٥٦.
(٣) الأنبياء: ٤٧.
(٤) المؤمنون: ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٥) الأعراف: ٨.

أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقوم، لا يارب، . فيقول أولك عذر؟ فيقول: لا يارب فيقول بل إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفه، والبطاقة في كفه، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[1] .

قال العلامة الألباني معقبا على هذا الحديث: وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضا فإنها توزن، والله على كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة، والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة[2].

وخلاصة ما تقدم من النصوص تدل على الآتي :

١ ــ وجوب الإيمان بالميزان الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة .

٢ ــ وهو ميزان حقيقي له كفتان حسيتان مشاهدتان.

٣ ــ تعدد الموازين لكل شخص، دل على ذلك ظاهر القرآن قال تعالى: ﴿**ونضع الموازين**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**فأما من ثقلت موازينه**﴾[4] قال الشنقيطي: والقاعدة المقررة في الأصول، أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه[5].

٤ ــ كما دلت النصوص أن العامل يوزن، قال البخاري في صحيحه في تفسير هذه الآية: «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضه، وقال: اقرؤا: ««فلا نقيم لهم يوم القيامة

---

(١) انظر السلسة الصحيحة للألباني ١٣٥.

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني جزء ٥٣/١.

(٣) الأعراف: ٨.

(٤) القارعة.

(٥) أضواء البيان ٥٨٥/٤.

وزنا»[1] قال الشنقيطي فيه دلالة على وزن الأشخاص[2] عن ابن مسعود: «إنه كان يجتنى سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: «مم يضحكون» قالوا: من دقة ساقيه، فقال والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد»[3].

٥ ـ لا يجوز تأويل النصوص الواردة في إثبات الإيمان بالميزان بحجة لا تقبلها العقول كما قال بعضهم الذي يحتاج للميزان البقال والفوال، كما أولها بعضهم بمعنى العدل والقضاء، قال الشوكاني رادا على هؤلاء: «أما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل المظلم وقال كل ما شاء، وتركوا الشرع خلف ظهورهم وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها، ويتحد قبولهم لها، بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما ذهب إليه هو، أو من هو تابع له فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف ومن أنكر فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب والتمذهب فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه»[4].

٦ ـ يكون الميزان بعد الحساب قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها[5].

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير باب ٦ جزء ٥ ص ٢٣٦.

(٢) أضواء البيان جزء ٤ ص ١٩٥.

(٣) الحديث حسن انظر الطحاوية ٤٧٤.

(٤) فتح القدير جزء ٢ ص ١٩٠.

(٥) الطحاوية ٤٧٢.

الصلاة نور :

قول ﷺ: «والصلاة نور» النور نستضيء به في الظلام، كي نميز به بين ما ينفع ويضر، وكي نهتدي به إلى ما نريد، وكذلك الصلاة إذا أداها العبد كما أمره الله تبارك وتعالى تورث قلبه نور الهداية، وتجعل له فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾[1].

وكما أن للصلاة نوراً على وجه صاحبها في الدنيا قال تعالى: ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾[2].

كذلك سوف تكون لصاحبها نوراً يوم القيامة قال تعالى: ﴿**يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**﴾[3] أي بسبب كتبهم التي أعطوها بأيمانهم.

لذلك وصفها صلوات الله وسلامه عليه بأنها نور لصاحبها، وفي هذا ترغيب عظيم بالصلاة المفروضة، والنافلة، فعلى العبد أن يؤديها كما أمر، حتى تطهر نفسه وتزكيها من أدرانها ويكون ذلك مهيئاً لدخول دار السلام مع الأبرار .

الصدقة برهان :

قوله ﷺ: «والصدقة برهان».

البرهان: الحجة الفاصلة البينة.

النفوس تعشق المال قال تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**وتحبون المال حبا جما**﴾[5] وقد يبخل به العبد ويشح على

---

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) الحديد: ١٢.

(٤) آل عمران: ١٤.

(٥) الفجر: ٢٠.

إخوانه، فإذا جاهد نفسه وقهر هواه وأخرج زكاة ماله الواجبة أو الصدقة المستحبة امتثالا لأمر مولاه، واحتسابا لما أعد الله للمتصدقين من ثواب يوم المعاد، كان هذا الفعل دليلاً وحجة على إيمانه، واستقامته وصلاحه وطيب معدنه.

الصبر ضياء :

قوله ﷺ: «والصبر ضياء» الصبر: هو حبس النفس عن الجزع وهو نقيض الجزع.

والضياء: قال ابن رجب: والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر فإنه نور محض فيه إشراق بغير إحراق»(١) قال تعالى: ﴿**هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا**﴾(٢).

ثم قال رحمه الله: ولما كان الصبر شاقا على النفوس، يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه كان ضياء.

والمراد بالصبر ضياء، كما قال النووي: إن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمرا على الصواب(٣).

وهنا لابد من بيان الأمور التالية :

١ ـ أمر الله عز وجل بالصبر :

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾(٤) قال الحسن البصري: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٠٧.
(٢) يونس: ٥.
(٣) شرح مسلم كتاب الطهارة ١/٥٠٢.
(٤) آل عمران: ٢٠٠.

ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشده ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم[1].

وكذلك أمر الله نبيه أن يصبر على أذى الكفار، والمنافقين قال تعالى: **﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾**[2] « بالصبر ينال العبد ما يأمل » لذلك أنشد أحدهم :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنىٰ   ما انقادت الآمال إلا لصابر

٢ ـ فضل الصبر :

الصبر جزاؤه الجنة التي فيها من النعيم المقيم الذي لا يعلمه إلا باريها، قال تعالى: **﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما﴾**[3] وقال تعالى: **﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾**[4] وقال تعالى: **﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾**[5].

جزاء الصابرين لا يوزن لهم ولا يكال إنما يغرف لهم غرفا، قال تعالى: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**[6] والآيات والأحاديث في هذا كثير معلومة.

٣ ـ أنواع الصبر :

أ ـ الصبر على طاعة الله عز وجل، فينبغي للعبد أن يحبس نفسه على إقامة

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ٢ ص ١٧٠.
(٢) ق: ٣٩.
(٣) الفرقان: ٧٦.
(٤) فصلت: ٣٥.
(٥) الإنسان: ١٢.
(٦) الزمر: ١٠.

الواجبات والمستحبات، ويجاهد نفسه على ذلك، لأن العوائق التي تحول دون الطاعة كثيرة، منها الشيطان والنفس والهوى وشهوات الدنيا وملذاتها، قال تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾[1] وقال تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله﴾[2] وقال: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[3] وقال: ﴿رب السموات والأرض فاعبده واصطبر لعبادته﴾[4].

ب ـ الصبر على ترك المعاصي:
المعاصي يزينها الشيطان ويحسنها للناس، ويدعو لها بأساليبه الإبليسية: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾[5].

وقد تضعف النفوس أمامها، وقد يجمح الهوى لها، فإذا لم يحبس العبد نفسه عنها هلك وضاع..

جـ ـ الصبر على تحمل البلاء:
البلاء من سنن الله في عباده، قال تبارك وتعالى: ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[6].

فقد يبتلى العبد ببدنه، أو بماله أو بولده أو بأهله، فعليه أن يصبر على هذا البلاء الذي شاءه الله لحكمة.

---

(١) طه: ١٣٢.
(٢) يونس: ١٠٩.
(٣) الكهف: ٢٨.
(٤) مريم: ٦٥.
(٥) فاطر: ٦.
(٦) العنكبوت: ١ ـ ٢.

أخبرنا رسول الله ﷺ، بأنه كل ما ازداد العبد متانة بدينه زاد بلاؤه قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

من صبر في ميدان البلاء. نال ثناء الله عليه، ورحمه وبشره بالثواب الجزيل يوم الدين قال تعالى: **﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾**[2].

٤ ـ مواقف من صبر أنبياء الله:

ذاق محمد ﷺ ألوانا مختلفة من البلاء، ضربوه وشتموه وضيق عليه وعلى أصحابه، فكان صبره في القمة في ميدان البلاء. عن عروة رضي الله عنه قال: سألت ابن العاص رضي الله عنه، فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينما النبي يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة ابن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»[3] .

عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدميت أُصْبعه فقال: هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت[4]. كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن بلاء أيوب عليه

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١٤٣.

(٢) البقرة : ١٥٧ .

(٣) حياة الصحابة جزء ١ ص ٣٩١.

(٤) شرح مسلم كتاب الجهاد جزء ٤ ص ٤٣٩.

السلام، فقال: إن نبي الله أيوب ﷺ لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كان يغدوان إليه[1].

لذلك نال ثناء الله عليه، قال تعالى: ﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾[2] والمتأمل لقصص الأنبياء، يجد الكثير من المواقف التي صبر بها أنبياء الله عليهم السلام في ميدان المحنة والبلاء.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ﷺ، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[3].

٥ ـ مواقف من صبر الصحابة:

كان الصحابة رضي الله عنهم في البلاء كالصخرة الصماء في الثبات، وعدم الجزع والرضى بما كتب عليهم من البلاء.

عن ابن مسعود بن خراش رضي الله عنه قال: بينما نحن نطوف بين الصفا والمروة إذا أناس كثير يتبعون فتى شابا موثقا بيده في عنقه. قلت: ما شأنه. قالوا: هذا طلحة بن عبيد الله صبأ، وامرأه تدمدم وتسبه. قلت من هذه، قالوا الصعبة بنت الحضرمي أمه»[4].

وكذلك كن الصحابيات يصبرن في البلاء ويحتسبن الأجر الأخروي فليت نساء المسلمين اليوم يقتدين بهن في جميع أحوالهن فهن القدوة الطيبة الصالحة.

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١٧.

(٢) ص: ٤٤.

(٣) البخاري كتاب الأنبياء باب ٥٤ جزء ٦ ص ١٤٨ وشرح مسلم كتاب الجهاد جزء ٤ ص ٤٣٤.

(٤) الإصابة ٣/٤١٠ والبخاري في التاريخ.

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها»[1].

القرآن حجة الله على عباده :

قوله ﷺ «والقرآن حجة لك أو عليك» فمن تعلم شيئا من كتاب الله، وعمل بما فيه من واجبات، وانتهى عما به من محظورات، ووقف عند حدوده كان القرآن له حجة يوم القيامة وشفيعا .

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فأنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة[2] .

ومن ترك العمل به، ولم يأتمر فيه، وإنما يقرأه للبركة، وعلى الأموات، ويستفتح به المحافل كان القرآن حجة عليه تلجمه يوم القيامة أمام الديان سبحانه، قال ابن مسعود: ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار[3] وعنه قال: يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه، فيكون قائدا إلى الجنة، أو يشهد عليه فيكون سائقا إلى النار[4].

---

(١) البخاري جزء ٧ ص ٤ وشرح مسلم كتاب البر جزء ٥ ص ٤٣٩ .
(٢) انظر مختصر مسلم رقم ٢٠٩٥ ص ٥٥٨ .
(٣) جامع العلوم والحكم ص ٢٠٨ .
(٤) المصدر السابق.

إن سعيكم لشتى :

قوله ﷺ: «كل الناس يغدو[1] فبائع نفسه فمعتقها[2] أو موبقها[3] فكل الناس يصبحون ويمسون، ويسعون في دنياهم، ولكنهم ليسوا سواء، فمنهم من يعتق نفسه ويخلصها من عذاب مولاه الدنيوي والأخروي، وذلك بطاعته وطاعة رسوله، ومنهم من يهلكها ويعرضها لعذاب الله الدنيوي، والأخروي، وذلك بمعصية الله ومعصية رسوله ومخالفة أمره، قال تعالى: ﴿إن سعيكم لشتى﴾[4].

قال ابن رجب: «دل الحديث على أن كل إنسان، إما ساع في هلاك نفسه، أو في فكاكها فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله وأعتقها من عذابه، ومن سعى في معصية الله تعالى باع نفسه بالهوان وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه»[5].

فوائد من الحديث :

١ ـ الإيمان قول وعمل، ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.
٢ ـ الحث على كثرة الذكر.
٣ ـ كما فيه الحث على النظافة.

---

(١) الغدو: السعي في الصباح الباكر وهو ما بين طلوع الفجر وشروق الشمس.
(٢) معتقها: مخلصها.
(٣) موبقها: مهلكها.
(٤) الليل: ٤.
(٥) جامع العلوم والحكم ٢٠٨.

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أبي ذَرّ الغِفـارِيّ رَضِيَ الله عَنْـهُ، عَنِ النَبِيِّ ﷺ فيما يَرْوِيه عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجلَّ أَنَّهُ قـالَ: «يا عِبـادِي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظالَموا. يا عِبادِي، كُلُّكُمْ ضالٌّ إلاّ مَنْ هَدَيْتُهُ فاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يـا عبادِي، كُلُّكُمْ جـائِعٌ إلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمكُمْ. يا عبادِي، كُلُّكُمْ عـارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فـاسْتَكْسونِي أَكْسُكُمْ. يـا عبادِي، إنَّكُمْ تُخْـطِئُونَ بـالليلِ والنَّهـارِ وَأَنا أَغْفِـرُ الذُّنـوبَ جَميعاً، فـاستَغْفِرُونِي أَغْفِـرْ لَكُم. يـا عِبـادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُـوا ضُـرِّي فَتَضُـرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُـوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يا عبادِي، لوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ مِنْكُمْ ما زادَ ذلك في مُلكِي شَيْئًـا. يا عبـادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وآخِـرَكُم وإنْسَكُم وَجِنَّكُم كَانُـوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْكم ما نَقَصَ ذَلِك مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يا عبـادِي، لَـوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وآخِـرَكُم وإنْسَكُم وجِنَّكُم قـامُـوا في صَعيـدٍ واحِـدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنسانٍ مَسْـأَلَتَهُ مـا نَقَصَ ذَلِك مِمّـا عِنْدِي إلاّ كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذاأُدْخِلَ البَحْرَ. يا عبـادِي، إنَّما هِيَ أَعْمـالكُم أُحْصِيهـا لَكُم ثُمَّ أُوَفِّيكُم إياهَـا فَمَنْ وَجَدَ خَيْـرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فلا يَلومَنَّ إلا نَفْسَهُ»[1].

---

(١) شرح مسلم كتاب البر ٥/٤٣٩.

منزلة الحديث :

هذا الحديث عظيم الشأن، لأنه اشتمل على بعض قواعد الدين، وفروعه:

- فنص على تحريم الظلم، وإقامة العدل، وهذا من أعظم مقاصد الشريعة، التي أرسل بها محمد ﷺ .
- كما نص على الدعاء بالهداية وطلب الحوائج، والدعاء من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل.
- كما نص على إثبات بعض صفات الله، فالله غني عن خلقه لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة، وتعظيم الله وتنزيهه من أصول التوحيد.
- كما نص على بعض الآداب.

تعريف الحديث القدسي :

عَن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال،

هذا الحديث قدسي، يسمى كذلك بالحديث الإلهي، وبالحديث الرباني، وهو ما نقل لنا رسول الله - ﷺ - مع إسناده إياه إلى الله عز وجل ولروايته صيغتين:

١ ـ أن يقول راوي الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ فما يرويه عن ربه عز وجل.

٢ ـ أن يقول الراوي: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى، والعبارة الأولى هي عبارة السلف، لذلك آثرها النووي رحمه الله.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي :

١ ـ القرآن الكريم من الله لفظا ومعنا، أما الحديث القدسي فمعناه من الله وكساه رسول الله ﷺ بألفاظه الكريمة.

٢ ـ القرآن كله قطعي الثبوت، لأنه نقل بالتواتر وتكفل الله بحفظه من التغير والتبديل **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**(١) والحديث القدسي لم ينقل بالتواتر كما منه الصحيح والضعيف والموضوع.

٣ ـ القرآن يتعبد بتلاوته، ويقرأ بالصلاة، ومجرد قراءته عبادة، وللقارىء على كل حرف عشر حسنات، وهذا لا يكون للحديث القدسي.

٤ ـ تسمى الجملة من القرآن آية، ومجموع الآيات المستقلة سورة، وهذا لا يكون في الحديث القدسي.

٥ ـ لفظ القرآن فيه إعجاز، تحدى الله به فصحاء العرب وبلغاءهم، وهذا لا يكون في الحديث القدسي.

الحديث القدسي والنبوي :

ما قال ﷺ من أحاديث وحيا غير متلو، قال تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**(٢).

والوحي معتبر في جملة أحاديثه، لأن رسول الله ﷺ مكلف ببيان القرآن، ووضع قواعد الشريعة، وأصولها في ظل القرآن.

والوحي يقره على الصواب، وإذا لم يوفق في اجتهاده، فالوحي يقومه في الحال، وليس معنى هذا أن كل حديث بعينه موحى به، بل إن هذه الأحاديث لا

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) النجم: ٣

تخرج بجملتها عنه. أما الحديث القدسي فمعناه من عند الله، يلقيه الله على رسوله بطريقة من طرق الوحي ثم أن رسول الله يصيغ معانيه بألفاظه.

ونسبة الحديث القدسي إلى الله من باب نسبة مضمونه لا ألفاظه، وهذا الأسلوب مستخدم ففي القرآن كثير من المواقف التي يحكي الله فيها بلسان عربي مضمون خطاب كل رسول إلى قومه مع أنهم لم يتكلموا بالعربية.

تعريف الظلم:

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد. ويأتي الظلم كذلك بمعنى الميل عن القصد، فالعرب تقول ألزم هذا الصواب ولا تظلم عنه، أي لا تجر عنه[1].

والظلم نوعان:

١ ـ ظلم العبد لنفسه، وأعظمه الشرك بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾[2] ويليه ارتكاب المعاصي الكبيرة منها والصغيرة، فمن وقع في معاصي الله فقد ظلم نفسه، قال تعالى: ﴿**ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾[4] والآيات في هذا كثيرة.

٢ ـ ظلم العبد غيره وفي هذا المقام وردت نصوص كثيرة تحذر من ظلم العباد.

---

(١) لسان العرب ١٢/٣٧٣.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) البقرة: ٢٣١.

(٤) الطلاق: ١.

تحريم الظلم :

قوله ﷺ: «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» الحديث يدل على تحريم الظلم بكل صوره وأشكاله، ووردت نصوص كثيرة ترهب من الوقوع فيه أسوق منها:

١ ـ قال تعالى: ﴿ومن يظلم منكم نذقة عذابا كبيرا﴾[1] يتوعد ملك الملوك من وقع بالظلم بالعذاب العظيم وهذا فيه ترهيب ووعيد للمكلفين من الظلم.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾[2] وهذا معناه تهديد للمجتمعات التي تقر الظلم وتستبيحه.

٣ ـ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[3] ومعنى اتقوا الظلم أي اجتنبوه وابتعدوا عنه.

٤ ـ وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام[4] ظلوم غشوم، وكل غال مارق»[5].

٥ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[6] فالله عز وجل يمهل ويؤخر عقاب الظالم لحكمة يعلمها سبحانه وتخفى علينا، ولكنه لن يفلت من عذاب الله وعقابه، فهل

---

(١) الفرقان: ١٩.

(٢) هود: ١٠٢.

(٣) شرح مسلم كتاب البر والصدقة والآداب ٤٤١/٥.

(٤) الإمام الحاكم والسلطان الذي يظلم الناس ومن أعظم الظلم الذي يقع به السلاطين عدم تحكيمهم لكتاب الله قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.

(٥) رواه الطبراني وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع برقم ٣٦٩٢.

(٦) رواه البخاري كتاب التفسير سورة هود ٢١٤/٥ شرح مسلم كتاب البر والصدقة والآداب ٤٤٤/٥ واللفظ للبخاري.

يعي الظلمة المتسلطون على الناس هذا الوعيد، فيعودون إلى صراط الله قبل فوات الأوان وهنا تحضرني أبيات للإمام الشافعي رحمه الله :

إذا ما ظالم استحسن الظلم مذهبا ... ولج عتوا[1] في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الليالي[2] فإنها ... ستدعى له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا ... يرى النجم تيها[3] تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته ... أناخت[4] صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى ... ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزي بالأمر الذي كان فاعلا ... وصب عليه الله سوط عذابه[5]

فيجب على المسلم أن يجتنب الظلم، لأنه سبب لسخط الله وعقوبته، وسبب لنشر البغضاء والشحناء بين الناس، وسبب الحروب والثورات، وسبب انحطاط الأمم ودمار حضارتها.

الله عز وجل منزه عن الظلم :

قوله ﷺ: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي» الله عز وجل منع نفسه الكريمة من الظلم، وهناك نصوص كثيرة في كتابه تشهد لهذا، قال تعالى: **﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾**[6]. وقال تعالى: **﴿وما الله يريد ظلما للعالمين﴾**[7] وقال تعالى: **﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾**[8] وقال: **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**[9].

---

(١) العتو: الإستكبار والتجبر.
(٢) صرف الليالي: مصائبها وحوادثها.
(٣) تيها: تاه وضاع: ذلك تكبرا وتجبرا .
(٤) أناخت: حلت به وأصابته.
(٥) ديوان الإمام الشافعي ٢٣ - ٢٤ .
(٦) ق: ٢٩ .
(٧) سورة آل عمران: ١٠٨ .
(٨) غافر: ٣١.
(٩) فصلت: ٤٦ .

وقـال تعـالى : ﴿إن الله لا يـظلم النـاس شيئـا﴾[1] وقـال تعـالى : ﴿إن الله لا يـظلم مثقـال ذرة﴾[2] فسبحـانـه من رب عـظيم أهـل للعبـادة والتعظيم والإجلال، لأنه لو شاء أن يظلم لا يستطيع أحـدٌ أن يمنعه، ولكنـه نـزه نفسه عن هـذه المنقصة العـظيمة، فيجب عـلى المسلم أن ينـزه ربـه عن الظلم، وأن يعتقد بأنه هو الحكم العدل فيما قال وأمر ونهى.

قـال النووي: والـظلم مستحيل في حق الله، كيف يجاوز حـدا وليس فـوقـه من يـطيعـه، وكيف يتصرف في غـير ملك والعـالم كله في ملكـه وسلطانه»[3].

العباد مفتقرون إلى الغني سبحانه وتعالى :

قوله: «يـا عبادي كلكم ضـال إلا من هديتـه فاستهـدوني أهدكم، يـا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فـاستطعمـوني أطعمكم، يا عبـادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي أنكم تخطئون بالليل والنهار وأنـا أغفر الـذنوب جميعـا، فاستغفـروني أغفر لكم» هـذا يدل عـلى أن جميـع الخلق فقراء إلى الله جل جلاله في جلب النفع ودفع الضر في الدنيا والآخرة، وفي القـرآن الكثير من الآيـات التي يذكـرنا فيهـا عز وجـل بفقرنـا، وعجزنـا وضعفنا واحتياجنا إليه في كل شؤون حياتنا وأخرانا.

ـ ففي احتياجنا إلى هدايته قال تعالى: ﴿من يهده الله فهو المهتـد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾[4].

---

(1) يونس: ٤٤.
(2) النساء: ٢٠.
(3) شرح مسلم ٥/٤٣٩.
(4) الكهف: ١٧.

- وفي احتياجنا لرزقه قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[1].

- وفي احتياجنا إلى رحمته قال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[2].

- وفي احتياجنا لمغفرته قال تعالى: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[3].

لذلك استدل إبراهيم عليه السلام على قومه بدعوتهم لعبادة الله، بأنه هو المنفرد بالإطعام والهداية والشفاء والسقاية والإماتة والإحياء.

قال تعالى: حاكيا عن إبراهيم ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين﴾[4].

ومن كانت هذه صفاته، فهو الإله الحق الذي يجب أن يفر إليه العباد، وأن لا يلتفتوا لغيره.

الإنسان مفطور على قبول الإسلام:

قوله «كلكم ضال إلا من هديته» لا يعارض قوله: «خلقت عبادي حنفاء»[5].

---

(١) هود: ٦.
(٢) فاطر: ٢.
(٣) الأعراف: ٢٣.
(٤) الشعراء: ٨٢.
(٥) شرح مسلم كتاب الجنة ٧١٦/٥.

وفي رواية «فاجتالتهم الشياطين»[1] فالعبد مفطور على قبول الإسلام، ولكن يجب على الإنسان تعلم الإسلام بالفعل، لأنه قبل تعلمه جاهل لا يعلم، كما قال الله عز وجل مخاطبا نبيه: ﴿ **ووجدك ضالا فهدى** ﴾[2] والمقصود بالآية وجدك غير عالم بما أعطاك من الكتاب والحكمة، كما قال تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾[3].

فالإنسان يولد مفطورا على قبول الحق، فإن هداه الله عز وجل يسر له من يعلمه الهدى فيصير مهديا بالفعل بعد أن كان مهديا بالقوة، وإن أراد أن يخذله سلط عليه من يغير فطرته فيضله عن الصراط السوي، قال ﷺ: وكل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[4].

طلب الهداية من الله عز وجل:

الهداية المجملة إلى الإسلام والإيمان هذه حاصلة لكل مؤمن، والهداية المفصلة وهي معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانة الله العبد على فعل ذلك، هذه الهداية يحتاجها المؤمن ليلا ونهارا، لذلك أوجب الله علينا سؤالها في كل ركعة من الصلوات المفروضة، قال تعالى: ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم**﴾[5] والأدلة التي تدل على مشروعية طلب هداية التوفيق، والإعانة كثيرة في السنة.

ويجب على المسلم مع الدعاء بطلب الهداية، أن يجاهد نفسه على أخذ الأسباب الموصلة لها.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الضحى: ٧.
(٣) الشورى: ٥٢.
(٤) انظر صحيح الجامع رقم ٤٤٣٥.
(٥) الفاتحة: ٦.

طلب المغفرة[1] من الله عز وجل :

قوله: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم» في الحديث الحث على طلب المغفرة من الذنوب والخطايا من الله عز وجل لذلك كان رسول الله ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة، قال ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة»[2] .

غنى الله عن خلقه :

قوله: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» العباد لا يستطيعون أن يوصلوا إلى الله نفعا ولا ضرا، فهو في نفسه غني عن الطاعات،

والذي ينتفع بالطاعة العباد وكذلك الذي يتضرر من المعصية العباد، والآيات في هذا كثير منها قوله تعالى: ﴿لا يحزنك الذين يساعرون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا﴾[4] وقال تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾[5] ولكن الله عز وجل يحب من عباده أن يطيعوه ويتقوه، ويكره منهم المعصية ولا يرضى لهم الكفر.

خزائن الله لا تنفذ :

قوله: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد

---

(١) سيأتي تفصيل لأمور التوبة أثناء شرح الحديث الثاني والأربعون.

(٢) رواه البخاري كتاب الدعوات ١٤٥/٧.

(٣) آل عمران: ١٧٦.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) الحج: ٣٧.

واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألة ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» خزائن الله لا تنفذ ولا ينقصها العطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس كل ما سألوه.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: «أَنفق أُنْفِقْ عليك»، وقال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار»[1] وقال: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض[2] ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع»[3].

الأعمال محصاة:

قوله: «ياعبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها» الحديث يدل على أن الله تعالى يحصي أعمال العباد، ثم يجزيهم عليها، فمن آمن وعمل صالحاً له جزاء الحسنى ومن كفر وعصى له سوء العاقبة، وهذا الحديث مثل قوله عز وجل: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾[4] وقوله: ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا**﴾[5] وقوله: ﴿**يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه**﴾[6].

الظاهر مراد توفية الأعمال يوم الدين قال تعالى: ﴿**وإنما توفون أجوركم يوم القيامة**﴾[7] ويحتمل أن تكون توفية الأعمال في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**من يعمل سوءا يجز به**﴾[8] فالمؤمن قد يجازى بإساءته في الدنيا، وتدخر له

(١) أي تصب الليل والنهار على خلقه صبا دائما، لا ينقطع فهي كثيرة العطاء.

(٢) لم يغض: أي لم ينقص.

(٣) البخاري كتاب التفسير سورة هود ٢١٣/٧ شرح مسلم كتاب الزكاة ٣٣/٣.

(٤) الزلزلة: ٨.

(٥) الكهف: ٤٩.

(٦) المجادلة: ٦.

(٧) آل عمران: ١٨٥.

(٨) النساء: ١٢٣.

حسناته يوم القيامة، فيوفى أجره وتضاعف له الحسنات.

أما الكافر فقد يعجل الله له في الدنيا ثواب حسناته، وتدخر سيئاته يوم الدين فيعاقب عليها بمثلها دون مضاعفة قال تعالى: ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا﴾[1].

حمد الله على آلائه:

قوله: «فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» قد يكون المعنى من وجد خيرا بسبب أعماله الصالحة في الدنيا فيجب عليه أن يحمد الله على ذلك، قال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[2].

ومن وجد عاقبة أعماله السيئة في الدنيا فعليه أن يلوم نفسه على ذلك، ويستغفر الله ويتوب إليه: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾[3] وقد يكون المعنى غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه حيث لا ينفع الندم، ويكون معنى الأمر «فليحمد الله» و«فلا يلومن إلا نفسه» الإخبار.

وأخبرنا الله عز وجل أن أهل الجنة يحمدون الله على ما أنعم عليهم قال تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾[4] وأخبرنا الله عز وجل أن أهل النار يلومون أنفسهم قال تعالى: ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾[5].

---

(١) النجم: ٣١.
(٢) النحل: ٩٧.
(٣) السجدة: ٢١.
(٤) الأعراف: ٤٣.
(٥) إبراهيم: ٢٢.

فوائد من الحديث :

١ ـ في الحديث دليل على وجوب مسألة الله تبارك وتعالى في كل ما يحتاج إليه الإنسان من مصالح دينه ودنياه لأن الخير كله بين يديه.

٢ ـ في الحديث دليل على أهمية القلب لأن الأصل في التقوى والفجور القلوب فإذا استقام القلب استقامت الأعضاء وإذا فجر فسدت الجوارح.

٣ ـ في الحديث إشارة أن الخير والفضل كله من الله، يتفضل به على عباده من غير استحقاق، والشر من عند أنفسهم كما قال تعالى: **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾**[1].

٤ ـ كما في الحديث إشارة إلى محاسبة النفس والندم على الذنوب في قوله. «فلا يلومن إلا نفسه».

---

(١) النساء: ٧٩.

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: «أنَّ ناساً مِنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ قالوا للنبيِّ - ﷺ - يا رسولَ الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأجورِ يُصَلُّونَ كما نُصلي، ويصومونَ كما نَصومُ، ويتصدقونَ بفُضُولِ أموالِهم قال: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ الله لكمْ ما تَصَّدَّقونَ: إن بِكُلِّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَكْبيرَةٍ صدقةً، وكلِّ تَحْميدةٍ صدقةً، وكلِّ تَهْليلَةٍ صَدَقَةً، وأمْرٍ بالمعَرُوفِ صدقةً، وَنَهْيٍ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةً وفي بُضْعِ أحدِكُم صَدَقَةً قالوا: يا رسولَ الله، أيَأْتي أَحَدُنا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرٌ ؟» قال: «أرَأَيْتُمْ لو وَضَعها في حرامٍ أكانَ عليهِ وِزْرٌ؟ فكذلك إذا وَضَعها في الحلالِ كانَ لَهُ أَجْرٌ»[1] .

منزلة الحديث :

للحديث أهمية، وذلك لاشتماله على أمور مهمة، منها :

١ ـ جواز القياس.
٢ ـ المباحات تكون قربات بالنية الصالحة.
٣ ـ الميدان الذي يكون فيه التنافس.
٤ ـ كثرة طرق الخير، بحيث لو عجز العبد عن بعضها لا يعجز عن الأخرى.

---

(١) شرح مسلم كتاب الزكاة جزء ٣ ص ٤٣.

ميدان تنافس السلف :-

يستفاد من هذا الحديث، ما كان عليه سلف الأمة من تنافس، وحرص على ما يقربهم ويرفع درجاتهم عند الله، لذلك أتى فقراء الصحابة رسول الله - ﷺ -، وبينوا له بأن إخوانهم التجار قد سبقوهم بالأجور والدرجات العلى، وذلك أنهم عندهم فضل من مال، فيحجون ويعتمرون ويتصدقون ويجاهدون، وهم لا يستطيعون ذلك فما السبيل للحاق بهم، فبين لهم ﷺ ما ورد في هذا الحديث.

هذا هو ميدان تنافس سلف الأمة، رضي الله عنهم قال تعالى: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**[2] وقال ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبيدالله بن كعب بن مالك قال: كان مما صنع الله لرسوله أن الأوس والخزرج كانا يتصاولان تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا، وكذلك الأوس: فلما أصابت الأوس كعب بن الأشوف، تذاكرت الخزرج من رجل له عداوة لرسول الله ﷺ كما كان لكعب، فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر[3].

وهذا سبب ثناء الله ورسوله عليهم، وسبب فوزهم وعزهم في الدنيا والآخرة، يكون أحدهم معذورا من العمل ومرخصا له، ويأتي رسول الله يبكي لأنه لا يستطيع القيام به، كما أخبرنا الله عنهم أثناء خروج رسول الله إلى الجهاد، قال تعالى: **﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾**[4].

أما التنافس في أمور الدنيا فهو مذموم، وإذا تجاوز به العبد الحدود يكون

---

(١) المطففين: ٢٦.
(٢) الصافات: ٦١.
(٣) الفتح جزء ٨ ص ٣٤٣.
(٤) التوبة : ٩٢.

سببا في هلاكه وضعفه، قال ﷺ: «فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»[1].

الغبطة :

أن يتمنىٰ العبد مثل حال المغبوط من غير أن يتمنى زوالها عنه، وهذا مشروع وخاصة في أمور الآخرة، قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»[2] ومراده بالحسد الغبطة.

فما يستفاد من الحديث، أن الصحابة ترجموا ما تعلموه من رسولهم إلى عمل، ففقراؤهم يغبطون أهل الدثور[3]، ويتمنون أن يكونوا مثلهم في التصدق والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله، لذلك قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم[4].

الصدقة تطلق على كل معروف :

عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «كل معروف صدقة»[5] فالصدقة تطلق على جميع أنواع المعروف والإحسان، حتى أن فضل الله الواصل منه إلى عباده صدقة منه عليهم.

وقال مسلم في صحيحه: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع

---

(١) البخاري كتاب الجزية باب ١ جزء ٤ ص ٦٢ وشرح مسلم كتاب الزهد جزء ٥ ص ٨١٦.
(٢) البخاري كتاب العلم باب ١٥ جزء ١ ص ٢٦ وشرح مسلم كتاب المسافرين جزء ٢ ص ٤٦٤.
(٣) الدثور جمع دثر، وهو المال الكثير.
(٤) هو الزائد عن الحاجة والكفاية.
(٥) شرح مسلم كتاب الزكاة جزء ٣ ص ٤٢.

من المعروف ومعنى ذلك كما قال النووي في شرح مسلم قوله ﷺ: «كل معروف صدقة» أي له حكمها في الثواب.

وقال القاضي: يحتمل تسميتها صدقة أن لها أجرا كما للصدقة أجر، وأن هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور، وسماها صدقة على طريق المقابلة وتجنيس الكلام، وقيل: «معناه أنها صدقة على نفسه»[1].

خفي هذا المعنى الواسع للصدقة على فقراء الصحابة، فجاءوا حبيبهم صلوات الله وسلامه عليه، يسألونه عن سبيل اللحاق بأهل الدثور، الذين سبقوهم بالأجور والدرجات العلى، فقال لهم ﷺ: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون» ثم ذكر لهم منها:

١ ـ الباقيات الصالحات من الصدقات:

قال تعالى: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾[2] أكثر المفسرين على أن الباقيات الصالحات سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والتسبيح هو التنزيه، وسبحان الله معناه التنزيه لله، وهو نصب على المصدرية كأنه قال: أبرىء الله من السوء براءة[3] وفي لسان العرب: سبحان الله معناه، تنزيها لله من الصاحبة والولد، وقيل تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به[4] والحمد لله، الثنا عليه، ويكون شكرا لنعمه، التي شملت الكل، والحمد أعم من الشكر، فهو يكون عن يد، وعن غير يد، والحمد عكس الذم.

لذلك قال ﷺ: «إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميده صدقة وكل تهليلة صدقة».

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الكهف: ٤٦.
(٣) مختار الصحاح ص ٢٨٢.
(٤) لسان العرب جزء ٢ ص ٤٧١.

ومعنى التهليلة قول: لا إله إلا الله، وهذه من الصدقات ما نفعه قاصر على فاعله.

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصدقات :

قال ﷺ: «وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة» وهذا النوع من الصدقات التي دل عليها رسول الله ﷺ فقراء الصحابة، فيها تعدية الإحسان إلى الخلق فتكون صدقة عليهم بذلك، وربما تكون أفضل من الصدقة بالمال، وكيف لا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل من الصدقة بالمال، وقد قال الله عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1] وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضوابط وأصول، سأبينها إن شاء الله عند شرح الحديث الرابع والثلاثون.

٣ ـ في بضع أحدكم صدقة :

قوله ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».

والبضع : يطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه، وظاهر الحديث يدل على أنه يؤجر في إتيانه أهله من غير نية، ذهبت طائفة من أهل العلم للقول بذلك، ولكن الصحيح أن الحديث مقيد بإخلاص النية لله عز وجل، وذلك لقوله ﷺ «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك»[2] فينبغي للعبد، أن يقصد بجماعه إعفاف نفسه وزوجته عن الزنا ومقدماته، أو قضاء حق الزوجة بالمعاشرة بالمعروف، أو طلب ولد صالح يعبد الله عز وجل، حتى يكون له بجماع أهله صدقة .

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) البخاري كتاب الإيمان باب ٤١ جزء ١ ص ٢٠.

وبهـذا الحـديث، استـدل من ذهب إلى القـول: بـأن المبـاحـات تصـير بالنيات طاعات.

قال النووي في شرح مسلم عنـد شرح هذا الحـديث: «وفي هذا دليـل على أن المباحات تصير طاعات بـالنيات الصـادقات، فـالجماع يكـون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجـة ومعاشرتهـا بالمعـروف الذي أمـر الله به، أو طلب ولد صالـح، أو إعفاف نفسـه إو إعفاف الـزوجة ومنعهما جميعا من النـظر إلى الحرام، أو الفكر فيه، أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة»[1].

رابعا: جواز القياس:

قوله: «قالوا يا رسول الله، أيأتي أحدنـا شهوتـه ويكون لـه فيها أجـر؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كـان له أجـر» قال النـووي: فيه جـواز القياس وهـو مذهب العلماء كـافة ولم يخالف فيه إلا أهل الظاهر[2].

تعـريف القياس بـاللغة معنـاه: التقديـر للشيء بما يمـاثله يقـال: قـاس الثوب بالمـتر أي قدر أجـزاءه به. ويـطلق القياس عـلى التسويـة، لأن تقديـر الشيء بما يماثله تسوية بينهما، ومنه فلان لا يقاس بفلان أي لا يسوى به.

تعريف القياس في اصطلاح الأصوليين: «هو إلحاق واقعة لا نص عـلى حكمها بواقعـة ورد نص بحكمها، في الحكم الـذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم»[3].

والقياس يأتي في المرتبة الرابعة من الحجـج الشرعيـة بعد الكتـاب والسنة والإجماع، وهذا النوع من القياس الذي ورد بهذا النص يسمى عند الأصوليـين

---

(١) شرح مسلم كتاب الزكاة جزء ٣ ص ٤٤.

(٢) شرح مسلم كتاب الزكاة جزء ٣ ص ٤٤.

(٣) كتاب علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٥٢.

قياس العكس، وهو إثبات عكس حكم الشيء لتعاكسهما في العلة، ثبت في صحيح مسلم عن وكيع قال: قال رسول الله ﷺ وقال ابن نمير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار، وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»[1].

قال النووي: «واختلف الأصوليون في العمل به وهذا الحديث دليل لمن عمل به وهو الأصح والله أعلم»[2].

فوائد من الحديث:

١ ــ تدعيم القول بالدليل أثناء نشر العلم، لأن هذا يعين على قبول الحق، وأثبت له في قلوب المكلفين، فيجب على العلماء أن لا تضيق صدورهم عندما يسألون عن الدليل، والسؤال عن الدليل ليس من باب اهتزاز الثقة بهم.

٢ ــ حسن عشرة الزوجة، وإن الإحسان إليها من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل.

٣ ــ استعمال الحكمة في مثل هذه المواقف لمعالجة الأمور.

٤ ــ في الحديث فضل مجتمع الصحابة الذي يحرص على ما يقرب إلى الله عز وجل، .

٥ ــ فيه فضل الغنى الشاكر والفقير الصابر.

(١) شرح مسلم كتاب الإيمان جزء ١ ص ٢٨٥.
(٢) شرح مسلم كتاب الزكاة جزء ٣ ص ٤٤.

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ سُلامَي مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كل يوم تَطْلُعُ فيهِ الشَّمْسُ قالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، . وَتُعين الرَّجُلَ في دَابَّتِه فَتَحْمِلُهُ عليها، أو تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْها مَتاعَهُ صدقةٌ قالَ: والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُل خُطْوَةٍ تَمْشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُميطُ الأذى عَنِ الطَّريقِ صَدَقَةٌ»(١).

منزلة الحديث:

مما دعا له الدين جمع الكلمة والقلوب وائتلافها على الحق والمحبة، فهذا الحديث تكمن منزلته وأهميته بدعوته إلى أسباب الإئتلاف والمحبة.

من عدل وإصلاح بين المتخاصمين، وتعاون على أمور الدين والدنيا، وحفظ اللسان إلا من طيب الكلام، وإزالة الأذى عن طريق المسلمين.

«وفي أنفسكم أفلا تبصرون»

قوله «كل سلامي» مفرد سلاميات والمراد بها هنا جميع عظام ابن آدم الذي يتركب منها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وفي كتاب الجهاد باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر ورواه مسلم في كتاب الزكاة باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف واللفظ له.

وتركيب جسم الإنسان من هذه السلاميات من أعظم نعم الله عليه، كما أنها تدل على قدرة الله وعظمته، الذي خلق الإنسان على هذا النحو من التناسق وجمال المنظر ومرونة الحركة، ولا يعرفه قيمة هذه النعمة وفضلها إلا من فقدها.

شكر الله على نعمه :

خلق الإنسان وتركيب عظامه على هذا النحو من أعظم نعم الله على ابن آدم، فيحتاج كل عظم منها إلى شكر[1].

ولقد ذكرنا الله عز وجل بهذه النعمة في أكثر من موضع في كتابه، قال تعالى: **﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾**[2] وقال: **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾**[3] وقال: **﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين﴾**[4].

الشكر ضربان :

أمرنا الله ـ عز وجل ـ بشكر نعمه، قال تعالى: **﴿واشكروا نعمة الله﴾**[5] وقال: **﴿واشكروا له﴾**[6] وقال: **﴿واشكروا لله﴾**[7] وشكر الله ضربان :

---

(١) قال النووي: «قال العلماء: المراد صدقة ندب وترغيب لا إيجاب وإلزام شرح مسلم كتاب الزكاء جزء ٣ ص ٤٦.

(٢) الانفطار: ٧.

(٣) النحل: ٧٨.

(٤) البلد: ٩.

(٥) النحل: ١١٤.

(٦) العنكبوت: ١٧.

(٧) البقرة: ١٧٢.

١ ـ شكر واجب من لم يقم به يأثم، وهو أن يقوم بجميع الواجبات القولية والفعلية والمالية، وأن يترك جميع ما حرم الله عز وجل، فمن قام بذلك فقد شكر الله عز وجل على نعمة الصحة والخلق والمفاصل والأعضاء، وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة قال ﷺ: «فليمسك عن الشر فإنه له صدقة» فمن ترك الشر (من فعل الحرام وترك الفرائض) فقد شكر فقال بعض السلف: الشكر ترك المعاصي.

٢ ـ شكر مستحب، وهو أن يقوم العبد بأكثر مما أوجب الله عليه، فيتصدق صدقة نافلة، ويحرص على سنن الصلاة الرواتب، ويتابع بين الحج والعمرة، ويقوم بما يستطيع من النوافل الكثيرة التي نص عليها الشرع. وكان رسول الله ﷺ القدوة في هذا الميدان وكذلك أصحابه، فكان أحدهم يجمع من النوافل في اليوم ما يعجز عنه الكثير، فيصوم ويتصدق ويتبع الجنازة ويعود المرضى كل هذا في يوم كما ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه.

الإصلاح بين الناس :

قوله عليه السلام : «تعدل بين اثنين صدقة» هذه من الصدقات التي لها فضل عظيم، لأن خيرها ونفعها متعد للآخرين، وبها تلتئم جراحات لمجتمع حتى يكون المجتمع كالجسد الواحد السليم.

وفي الحث على مثل هذا العمل وردت نصوص كثيرة لابد من ذكرها، لأن البعض يقصر في جانب الإصلاح بين المسلمين عند الخصام والشجار.

ـ قال تعالى: **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾**[1].

---

(١) النساء: ١١٤.

دلت الآية أنه لا خير في كثير مما يتناجى به الناس إلا نجوى من أمر بالصدقة أو أمر بالمعروف، أو قام بالإصلاح بين الناس في الأمور التي يقع فيها الخلاف والتداعي ومن قام بذلك قاصدا وجه الله، وعده الله بالأجر العظيم.

فالقيام بالإصلاح بين العباد، قربة يتقرب بها المتقون، فأين الحريصون على كسب الثواب والأجر.

ـ قال تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾[1].

دلت الآية على أن الصلح بين الزوجين خير من الفراق، لأن الفراق يترتب عليه مضار كثيرة، لذلك فيجوز للزوجة أن تسقط حقها أو بعضا منه من نفقة وغيرها من الحقوق، إذا خافت نفور زوجها منها وإعراضه عنها، وله أن يقبل ذلك.

ـ قال تعالى: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾[2].

دلت الآية على الأمر بالإصلاح، ونهت عن التظالم والتخاصم والشجار.

ـ وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ إلى أن قال ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾[3].

الآية تنص على الأمر بالإصلاح بين المسلمين عند النزاع والإقتتال.

ـ وعن أبي بكرة أن رسول الله خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد،

---

(١) النساء: ١٢٨.
(٢) الأنفال: ١.
(٣) الحجرات: ١٠.

ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1] وحدث ما قال ﷺ، فأصلح الله به بين أهل العراق والشام بعد حروب طويلة.

وفي هذا إشارة عظيمة للحث على الإصلاح بين المسلمين، وإن تنازل الإنسان عن بعض حقوقه، لذلك أثنى رسول الله ﷺ على الحسن رضي الله عنه.

- عن عائشة رضي الله عنها: سمع رسول الله - ﷺ - صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم، وإذا أحدهما يستوضع[2] الآخر ويسترفقه[3] في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله - ﷺ - فقال: أين المتألي[4] على الله لا يفعل المعروف، فقال: أنا يا رسول الله، وله أي ذلك أحب[5].

فالشاهد في هذا الحديث خروج رسول الله ﷺ للإصلاح بينهما وفعله يدل على الإستحباب.

- قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه باب قول الإمام لأصحابه: إذهبوا بنا نصلح ثم ساق الرواية الآتية: عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم.

- عن أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي[6] خيرا أو يقول خيراً»[7].

---

(١) البخاري كتاب أصحاب النبي ٢١٦/٤.
(٢) يستوضعه: يسأله أن يضع عنه بعض دينه.
(٣) يسترفقه: يسأله الرفق.
(٤) المتألي: الحالف.
(٥) البخاري كتاب الصلح ١٧٠/٣ وشرح مسلم ٦٥/٤ واللفظ للبخاري.
(٦) أي يبلغ الحديث على وجه الإصلاح.
(٧) البخاري كتاب الصلح ١٦٦/٣ وشرح مسلم كتاب البر ٤٦٤/٥.

وفي رواية مسلم زيادة قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث تعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

دل الحديث على مشروعية الإصلاح بين الناس، كما دل على جواز الكذب بقصد الإصلاح.

قال القرطبي: ذهب طائفة إلى جواز الكذب لقصد الإصلاح وقالوا الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرة أو ما ليس فيه مصلحة[1].

وقال البخاري في صحيحه باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس.

التعاون:

قوله عليه السلام: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له متاعه صدقة» هذه من الصدقات التي شرعت لشكر نعمة السلامى، فإعانة المسلم على ركوب دابته، وإعانته على حمل متاعه عليها من الصدقات، وهكذا يؤجر المسلم على كل ما يقوم به في ميدان إعانة إخوانه المسلمين، لأن الله ـ عز وجل ـ أمرنا بالتعاون قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾[2] ومعلوم أن التعاون يقضي على المشاق والصعاب، والإنسان لا يستطيع أن يقوم بكل شؤونه دون إعانة من اخوانه، والتعاون يؤدي إلى انتشار المحبة بين المسلمين، والمحبة مما أمرنا الله بها.

طيب الكلام:

قوله ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة» يدخل فيها رد السلام وذكر الله، وقول كلمة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشفاعة لأصحاب

---

(١) الفتح ٦/٢٢٨.

(٢) المائدة: ٢.

الحاجات عند الحكام، والنصح والإرشاد وكل ما يفرح الناس، ويؤلف القلوب على الخير والرشاد.

- ففي رد السائل بكلمة طيبة، قال تعالى: **﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾**[1].

- وفي ذكر الله عز وجل قال تعالى: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**[2].

- وفي قضاء حاجات الناس قال تعالى: **﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾**[3].

- وفي دعوة الناس إلى الله قال تعالى: **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾**[4].

إلى غيرها من النصوص الكثيرة التي تدعو إلى طيب الكلام واستقامة اللسان وفق الحق والعدل والصواب.

فضل المشي إلى الصلاة:

قوله ﷺ: «وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة».

في الحديث الحث والترغيب على حضور بيوت الله للجمع والجماعات ودروس العلم والوعظ والاعتكاف، ومن الأحاديث التي ترغب كذلك قوله ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح»[5] والغدو الذهاب أول النهار، والرواح الذهاب آخر النهار، والنزل

---

(١) البقرة: ٢٦٣.
(٢) فاطر: ١٠.
(٣) النساء: ٨٥.
(٤) فصلت: ٣٣.
(٥) رواه البخاري كتاب الأذان ١/١٦١ وشرح مسلم كتاب المساجد ٢/٣١٤.

ما يعد للضيف.

وكذلك عن جابر رضي الله عنه قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فقد أردنا ذلك.

فقال: يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم[1] فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا»[2] وكلما زادت المشقة زاد الأجر والثواب.

إماطة الأذى عن الطريق:

قوله ﷺ: «وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

إزالة كل ما يؤذي من شوك ونجاسة وغيرها عن طريق المسلمين صدقة، وبرهان على شكر نعم الله، وهذه من شعب الإيمان.

قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[3].

فوائد من الحديث:

١ ـ في الحديث الحث على نظافة المرافق العامة، ولو تقيد المسلمون بهذا الهدى النبوي، لأصبحت بلادهم من أنظف بلاد العالم، ولكن للأسف نرى تقيد الكفار وخاصة الأوربيون والأمريكان بهذا، ويهمل المسلمون هذا الجانب من دينهم.

---

(١) شرح مسلم كتاب المساجد ٢/٣١٢.
(٢) هذه الزيادة من رواية أخرى ـ المصدر السابق.
(٣) شرح مسلم كتاب الإيمان ١/٢٠٩ ـ ٢١٠.

٢ ــ في الحديث الحث على العدل لأن به قامت السموات والأرض .

٣ ــ اسم الصدقة يطلق على كل نوع من المعروف.

٤ ــ في الحديث الحث والترغيب على فعل النوافل لأنها سبب محبة الله والقرب منه.

الحديث السابع والعشرون

عن النَّوَّاس بنِ سَمْعَانَ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ والإِثْمُ ما حاكَ في نَفْسِك وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[1] وعن وابِصَةَ بنِ مَعْبِدٍ رَضِيَ الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسولَ الله ﷺ فقالَ: جِئْتَ تَسْأَلُ عنِ البِرِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إليهِ النَّفْسُ واطْمَأَنَّ إليهِ القلبُ، والإِثْمُ ما حاكَ في النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ وإنْ أَفْتاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ»[2].

منزلة الحديث:

قال ابن حجر الهيتمي: «هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، بل من أوجزها إذ البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح كبيرها وصغيرها، ولهذا السبب قابل النبي ﷺ بينهما وجعلهما ضدين»[3].

تعريف البر:

البر «الطاعة والصدق»[4] قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى

---

(١) رواه مسلم في البر والصدقة/ باب تفسير البر والإثم ٤١٩/٥.

(٢) قال النووي: حديث حسن رويناه في مسند الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن والحديث حسن انظر المشكاة رقم ٢٧٧٤.

(٣) الوافي شرح الأربعين ١٩٢.

(٤) لسان العرب ٥١/٤.

اللطف والمبرة، وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق[1] وقال ابن حجر الهيتمي: البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف وهذا تعريف شامل، ففي حديث النواس بن سمعان عرفه ﷺ بحسن الخلق وفي حديث وابصة بن معبد عرفه - ﷺ - بما اطمأنت إليه النفس.[2]

فالبر يطلق ويراد به معاملة العباد بالإحسان إليهم مثل الإحسان للوالدين وغيرهم. ويطلق البر كذلك ويراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة قال تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[3].

وإذا قرن البر بالتقوى كما قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[4] يكون معنى البر «معاملة العباد بالحسنى» ويكون معنى التقوى «طاعة الله فيما أمر والإبتعاد عما نهى عنه» وقد يكون معنى البر «فعل الواجبات»، ومعنى التقوى «الإبتعاد عن المنهيات».

الإثم:

الإثم: الذنب، وقيل هو أن يعمل ما لا يحل له[5].

وقال القرطبي «الإثم الفعل الذي يستحق عليه صاحبه الذم»[6].

---

(١) شرح مسلم ٤١٩/٥.
(٢) فتح المبين لشرح الأربعين ص ٢١٥.
(٣) البقرة: ١٧٧.
(٤) المائدة: ٢.
(٥) لسان العرب: ٥/١٢.
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/٢.

وقال ابن حجر الهيتمي: «والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح كبيرها وصغيرها.

وفي هذا الحديث بين - ﷺ - بعض علامات الإثم.

الأولى: داخلية وهي شعور المرء بقلق واضطراب في نفسه ونفور وبغض له. قال ﷺ: «الإثم ما حاك في نفسك»[1] ومعنى ذلك: تردد في النفس اضطرابا وقلقا ونفورا، فلم ينشرح له الصدر، ولم يطمئن إليه القلب[2].

وفي رواية وابصة بن معبد قال ﷺ: «ما حاك في النفس وتردد في الصدر» ومعنى ذلك «أي اضطرب منه القلب ولم يسكن إليه».

الثانية: خارجية قال ﷺ: «وكرهت أن يطلع عليه الناس».
كراهية نظر أهل الفضل من الناس علامة الإثم، بشرط أن يكون دافع كراهيته ديني لا كراهية عادية.

وإذا اجتمع عند الفعل كراهية نظر الناس مع القلق والإضطراب النفسي وعدم اطمئنان القلب كان هذا من أوضح مراتب معرفة الإثم وخاصة عند الإشتباه.

قوله ﷺ: «وإن أفتاك المفتون» معنى هذا أن ما لم تطمئن له القلوب من الفتوى فهو أثم، وإن أفتاه المفتون بأنه ليس بإثم لأنهم يصدرون فتاواهم على ظاهر الأمور لا بواطنها والإنسان أعلم بباطنه من غيره.

وهذا يكون لمن نور الله قلبه بنور الإيمان ومن عليه بطهارة النفس.

وتكون فتوى المفتي له بمجرد الظن أو ميل هوى من غير دليل شرعي.

---

(١) في شرح مسلم: «أي تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنبا» ٤١٩/٥.
(٢) الوافي في شرح الأربعين النووية ١٩٣.

مثل ما قال النووي: الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام وترددت النفس في حلها، وأفتاك المفتي بحل الأكل، فإن الفتوى لا تزيل الشبهة.

وكذلك إذا اخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانه، فإن المفتي إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال النصاب، لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة، بل ينبغي الورع وإن أفتاه الناس[1].

أما إذا كانت فتوى المفتي تستند إلى دليل شرعي، فيجب على المرء أن يتقيد بها وإن لم يطمئن قلبه، مثال ذلك الرخصة بالفطر في السفر والمرض، وقصر الصلاة ونحو ذلك مما قد لا ينشرح له الصدر، ثبت أن النبي ﷺ أمر أصحابه بفسخ الحج إلى عمرة، و لم تنشرح صدورهم إلى ذلك وكره بعضهم ذلك، وكذلك أمرهم بنحر الهدي والتحلل من عمرة الحديبية وبعضهم كره ذلك.

والخلاصة ما ورد به نص شرعي يجب الإنقياد له سواء كرهته النفس، واضطرب القلب به أم لا.

قال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾**[2].

منزلة الأخلاق:

قوله ﷺ: «البر حسن الخلق» بمعنى حسن الخلق أعظم خصال البر كما قال ﷺ: «الحج عرفه»[3] بمعنى ركنه العظيم الذي لا يتم إلا به.

والمقصود بالأخلاق جميع ما دعا له القرآن من فضائل، لأن السيدة

---

(١) الوافي في شرح الأربعين النووية ١٩٥ .

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) انظر صحيح الجامع برقم ٣١٦٧ والإرواء رقم ١٠٦٤ .

عـائشة رضي الله عنهـا قالت: «كـان خلقـه ﷺ القـرآن»[1] بمعنى أن يتـأدب بـآدابه فيمتثـل أوامره ويبتعـد عن نواهيـه، لذلـك أثنى الله ـ عز وجـل ـ على رسوله قال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2] فمن أراد أن يسمـو خلقه، فعليـه أن يتبع رسول الله ﷺ بتأدبه مع ربه عز وجل وبمعاملته للنـاس، قال تعـالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[3].

فوائد الحديث :

١ ـ في الحديث إشارة إلى منزلة القلب واستفتاءه .

٢ ـ الدافع لتشريعات السماء الدافع الداخلي، وهذا بخلاف القوانين الوضعية فإن الوازع فيها خارجي.

٣ ـ في الحـديث إشارة عـظيمـة إلى منـزلـة القلب، وإنـه إذا صلح واستقـام ووعى أصول الدين وقواعده يكون حكمه في مقـام المشتبه صحيـح، فما اطمأن له بر وخير وما كرهه إثم وشر.

٤ ـ في الحديث دليل على أن الإنسان في بعض الأمور مثل الشبهات وغيرها، يرجع إلى قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شيء.

---

(١) انظر صحيح الجامع برقم ٤٦٨٧.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الممتحنة: ٦.

الحديث الثامن والعشرين

عن أبي نجيحٍ العِرْباضِ بنِ ساريةَ رضي الله عنه قال: « وَعَظَنا رسولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَت مِنْها القلوبُ ، وذَرِفَت منها العيونُ فقلنا: يارسول الله، كأنَّها موعظةُ مودعٍ فأَوْصِنا، قال: أُوصيكُمْ بتقوى الله عزَّ وَجَلَّ، والسمعِ والطاعةِ، وإنْ تَأَمَّرَ عليْكُمْ عبدٌ، حَبَشِيٌّ، فإنَّهُ مَنْ يَعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا. فَعَلَيْكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ المَهْدِيينَ الراشِدينَ تمسكوا بها، وعَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذَ، وإياكُم وَمُحْدَثاتِ الأُمورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعةٍ وَكَلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ »[1].

منزلة الحديث:

اشتمل الحديث على وصية عظيمة جامعة شاملة، فأوصى بتقوى الله ، وطاعة ولاة الأمر، والاعتصام بالسنة، والحذر من الابتداع، فهذه أمور غاية في الأهمية، إذا تمسكت بها الأمة سعدت في دنياها وأخراها .

الوعظ من مهام الداعية :

مهام الداعي إلى الله كثيرة، منها الوعظ، وإليك بعض الأمور التي تتعلق بهذه المهمة، حتى يؤتى الوعظ ثماره المرجوه:-

(١) قال النووي: رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح. والحديث صحيح أنظر صحيح الجامع للألباني ٢٥٤٦.

١ ـ تعريف الوعظ:

الوعظ هو النصح، والتذكير بالعواقب، وقال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما تلين قلبه من ثواب وعقاب.

٢ ـ مشروعيته:

في الحديث دلالة على مشروعية الوعظ، من فعله عليه الصلاة والسلام، وقال تعالي: ﴿ **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا** ﴾[1]، يأمر الله عز وجل رسوله ﷺ بموعظة المنافقين لعلهم يفيقون مما هم فيه من ضلال، وقال تعالى ﴿ **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾[2] كذلك هذه الآية فيها أمر بدعوة الخلق بالحكمة، والموعظة الحسنة، كما شرع الله عز وجل الموعظة أثناء نشوز الزوجة، وتمردها على أوامر زوجها وإعراضها عنه قال تعالى: ﴿ **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن** ﴾[3] مما تقدم نخلص إلى أن الموعظة مشروعة، وذلك لما فيها من خير عظيم قد يحققه الله عز وجل على يد الواعظ.

٣ ـ صفة الموعظة الناجحة:

أ ـ انتقاء الموضوع المناسب، الذي يحتاج إليه الناس، فمثلا إذا رأى إيثار الناس الدنيا على الآخرة وانغماسهم فيها على حساب الطاعة، رغبهم بالآخرة، وزهدهم بالدنيا.

أما أن يدعو ـ مثلا ـ للإقتصاد بالطاعةِ، وهم لا يقومون بأداء الفروض والواجبات كما هو مطلوب، فهذا من عدم الحكمة في انتقاء الموضوع.

---

(١) النساء ٦٣.

(٢) النحل ١٢٥.

(٣) النساء ٣٤

ب ـ البلاغة في الموعظة:

الفصاحة في المواعظ مطلوبة، قال تعالى: ﴿ وقل لهم قولا بليغا ﴾[1]

كما وصف الصحابة مواعظ رسول الله ﷺ: « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة »[2].

فعلى الواعظ أن يوصل ما لديه من معاني إلى السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفضلها، وأجملها لدى الأسماع، وأوقعها في القلوب.

جـ ـ اختيار الوقت والفرصة المناسبة، بحيث يكون المستمع متفرغاً، صافي الذهن، غير مشغول بحاجاته، والموعظة في هذا الحديث التي يتحدث عنها العرباض، كانت بعد صلاة الفجر، وفي هذا الوقت يكون العبد في قمة نشاطه صافي الذهن روى الشيخان عن أبي وائل قال: كان عبدالله يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أَتَخَوَّلُكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخلونا بها، مخافة السّآمةِ علينا[3].

د ـ قصر الموعظة:

عن أبي وائل قال: خطبنا عمار رضي الله عنه فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا يا أبا القبضان، لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: « إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطابة، فإن من البيان سحراً »[4] فمن هدى حبيب رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه عدم التطويل، لأنه يؤدي إلى الملل، والضجر، وضياع الفائدة المرجوة، وخير

---

(١) النساء ٦٣.

(٢) رواه الترمذي وأحمد وأبو داود.

(٣) البخاري كتاب العلم باب ١٢ جزء ١ ص ٢٥، مختصر مسلم.

(٤) شرح مسلم كتاب الجمعة جزء ٢ ص ٥٢٠ .

الأمور الوسط، فلا تطويل ممل، ولا قصر مخل.

٤ ـ صفات الواعظ المؤثر:

حتى تكون الموعظة نافذة إلى القلوب، فتحييها من مواتها، كما يحي المطر الأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾[1]. لابد أن تصدر من واعظ يتصف بالآتي:

١ ـ مؤمن بكلامه، متأثر به حريص على إيصاله لمستمعيه سأل قوم عبدالله بن المبارك عن سبب تأثرهم به، وعدم تأثرهم من غيره أثناء الوعظ، قال: « النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة »[2] وهذا يؤدي إلى ظهور ذلك على ملامح وجه، ونبرات صوته وحركاته.
كان ﷺ إذا وعظ، علا صوته واحمرت عيناه، وانتفخت أوداجه، ويشير بيديه، حتى خشي عليه الصحابة أن يسقط من منبره، لذلك كانت مواعظه تنفذ إلى قلوب أصحابه، كما قال العرباض: « وجلت منها القلوب » أي خافت « ذرفت منها العيون »، أي سالت دموعها.

٢ ـ سلامة قلبه من الأمراض، التي يبتلى بها القلب، فسليم القلب ينفذ كلامه إلى القلوب، أما مريض القلب فلا يتجاوز الأذنين، لذلك يجب على الواعظ أن يجتهد على إصلاح نفسه، وقلبه.

٣ ـ أن يكون قدوة صالحة لسامعيه بقوله وفعله، وذلك أن سامعيه سوف يرقبون قوله وفعله، فإذا وجدوه مخالفاً لما وعظهم به احتقروه، وأعرضوا عنه وعما وعظهم به.
لذلك قال شعيب عليه السلام لقومه: « وما أريد أن أخالفكم إلى ما

---

(١) فصلت ٣٩.
(٢)

أنهاكم عنه»[1] وأنكر ربنا تبارك وتعالى على أهل الكتاب، الذي يعظون غيرهم ولا يتعظون، قال تعالى: ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾[2].

كما بين سبحانه وتعالى، بأنه يبغض من خالف فعله قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون** ﴾[3].

موعظة مودع:

قوله رضي الله عنه: « فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع » قال ابن رجب: يدل على أنه كان ﷺ قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها، فلذلك فهموا أنها موعظة مودع، فإن المودع يستقصي مالم يستقصي غيره في القول والفعل، ولذلك أمر النبي ﷺ أن يصلي صلاة مودع، لأنه من استشعر أنه مودع بصلاته أتقنها على أكمل وجوهها وربما كان قد وقع منه ﷺ تعريض في تلك الخطبة بالتوديع، كما عرض بذلك في خطبة حجة الوداع، قال ﷺ «لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»[4].

ثانياً: فضل سلف الأمة :-

قول العرباض: «وجلت منه القلوب، وذرفت منها العيون» فيه دلالة على طيب معدن الصحابة، وطهارة نفوسهم، وسلامة قلوبهم، واتعاظهم بكلام رسولهم، وخوفهم ووجلهم من كلام ربهم، وهذه علامة الإيمان والاستقامة والصلاح، قال تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾[5] وقال

---

(١) هود ٨٨.
(٢) البقرة ٤٤.
(٣) الصف ٣.
(٤) جامع العلوم والحكم ٢٤٦.
(٥) الأنفال ٢.

تعالى: ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾[1].

فتجب محبتهم، وإجلالهم والترضي عنهم، والاقتداء بهم، فهم سلف الأمة الذين نقلوا لنا كتاب الله وسنة نبينا، فالطعن بهم زندقة وانحراف، كما قال أبو زرعة[2] إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فأعلم أنه زنديق، لأن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[3].

وأبو زرعة الذي افتى بزندقة هؤلاء، قال عنه أحمد بن حنبل: ما جاز الجسر أحفظ من أبي زرعة.

الوصية بتقوى الله:

قوله عليه السلام، أوصيكم بتقوى الله عز وجل، فتقوى العبد ربه جل وعلا، أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل الطاعة واجتناب المعصية، والتقوى هي وصية الله عز وجل للأولين والآخرين، وهي سبب خيري الدنيا والآخرة، وسبق بيان ذلك أثناء شرح الحديث الثامن عشر، فلا حاجة للتكرار.

---

(١) مريم ٥٨.

(٢) ابن العراقي (٧٦٢ ـ ٨٢٦) هـ هو أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين، أبو زرعة ولي الدين، المعروف بابن العراقي، كردي الأصل، ولد بالقاهرة وتوفى فيها، من أئمة الشافعية، برع في الحديث، والفقه وأصول العربية، اشتغل بالقضاء، وفي الإفتاء والتدريس، والتصنيف، من آثاره:

١ ـ البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح.

٢ ـ أخبار المدلسين.

(٣) العواصم من القواصم ٣٤.

الوصية بطاعة ولاة الأمر:

قوله ﷺ: «والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد...» يدل الحديث على أن طاعة ولاة الأمور واجبة، كما يشهد له قوله جل وعلا: ﴿اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1] ومما يشهد له كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»[2] والمقصود بولاة الأمر الشرعيين، الذين وصلوا إليها ضمن قواعد الشرع أما المتسلطين على الأمة بالنار والحديد، فهؤلاء ينظر لطاعاتهم من باب المصلحة والمفسدة.

١ ـ طاعة ولاة الأمر مقيدة بالمعروف.

قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف»[3] وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[4].

عن عمران والحكم بن عمرو الغفاري وقال: «لا طاعة لمن لم يطع الله»[5].

تدل هذه الروايات على أنه يحرم على المسلم أن ينقاد لولاة الأمر بمعصية الله، وإنما تكون طاعتهم بالمعروف، سواء كانوا حكاما أو علماء أو والدين.

ومن هنا يعلم فساد بعض المتصوفة، الذين ينقادون لشيوخهم، ولو أمروهم بمعصية الله بحجة أنها في الحقيقة ليس بمعصية، وإن المشايخ يرون ما

---

(١) النساء ٥٩.
(٢) البخاري كتاب الأحكام باب١ جزء ٨ ص ١٠٤ وشرح مسلم كتاب الإمارة جزء ٤ ص٥٠١.
(٣) البخاري كتاب أخبار الأحاد باب ١ جزء ١٣٢/٨ وشرح مسلم كتاب الإمارة جزء ٥٠٥/٤.
(٤) رواه أحمد وانظر صحيح الجامع رقم ٧٣٩٦.
(٥) المصدر السابق رقم ٧٣٩٧.

لا يرى المريد.

وفساد بعض المقلدة المتعصبين، الذين يؤثرون اتباع كلام مذهبهم على كلام النبي ﷺ.

وفساد بعض الشعوب، الذين يطيعون حكامهم ويقرونهم على تحكيم التشريعات التي وضعها البشر من يهود ونصاري، ويمكثون على هذا الحال حتى يأتيهم اليقين من ربهم دون إنكار، فهؤلاء على خطر عظيم.

٢ ـ الأئمة من قريش:

قال رسول الله ﷺ: « الناس تبع لقريش في الخير والشر »[١].

وقال ﷺ: « إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين »[٢] فهذه الروايات وغيرها، تدل على أن من شروط الإمامة أن يكون الإمام عربيا قريشياً، قال الحافظ في الفتح: « وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم، أن شرط الإمام أن يكون قرشيا»[٣] وقال عياض: « اشتراط كون الإمام قرشيا مذهب العلماء كافة، وقد عدوها في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار.

قال: ولا اعتداد بقول الخوارج، ومن وافقهم من المعتزلة، لما فيه من مخالفة المسلمين[٤] وقال القرطبي: معقباً على حديث « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى اثنان »

أخرجه البخاري « هذا الحديث خبر عن المشروعية أي لا تنعقد الإمامة الكبرى إلا لقرشي مهما وجد منهم أحدا »[٥].

---

(١) رواه مسلم انظر شرح مسلم كتاب الإمارة جزء ٤ ص٤٨١.
(٢) البخاري كتاب المناقب باب ٢ جزء ٤ ص ١٥٥.
(٣) الفتح جزء ١٦ ص ٢٣٦.
(٤) الفتح ٢٣٦/١٦.
(٥) الفتح ٢٣٥/١٦.

أما غير الإمامة الكبرى، فيجوز تولية غير القرشي، كما أمر عبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة وأسامه وغيرهم.

أما قوله ﷺ: « وإن تأمر عليكم عبد »

فهو لا ينافي ما تقدم، ولا يجيز إمامة العبيد، وإنما ذكره ﷺ على وجه ضرب المثل، وإن لم يصح وقوعه، كما قال ﷺ: ومن بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة »[1] فان مفحص القطاة لا يكون مسجداً، ولا يسع فرداً.

أو يكون كلامه ﷺ من باب الإخبار بالغيب، لما سيقع به المسلمون من بعد عن تعاليم دينهم الحنيف، فتوضع الإمامة العظمى بغير موضعها، وبهذه الحالة يكون أمره ﷺ بطاعتهم من باب عدم إثارة الفتن، وذلك أن الخروج على الحكام المسلمين عادة يترتب عليه من الفتن، التي لا يعلم عواقبها إلا الله عز وجل.

الوصية بلزوم السنة :ـ

١ ـ وقوع الخلاف والفرقة:

قوله ﷺ: « فإنه من يعيش منكم فسيرى إختلافاً كثيراً » فيه إخبار منه لما ستقع به الأمة من خلاف في أصول الدين وفروعه، ويشهد له كذلك عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: ألا أن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال: « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة »[2] « وقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه من خلاف في الأصول، والفروع وظهرت كثير من الفرق

---

(١) صحيح الجامع رقم ٦٠٠٤.

(٢) صحيح الجامع رقم ٢٦٣٨.

الضالة، كغلاة المتصوفة أصحاب وحدة الموجود، الذي يقول أحدهم سبحاني سبحاني ما في الجبة إلا الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

والرافضة الذين يتقربون إلى الله بِزعمهم بسبتهم وتكفيرهم لأصحاب رسول الله، ففي كتاب مفتاح الجنان، وهذا عندهم من الكتب المعتمدة هذا الدعاء الباطل، ونصه: «اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش، وجبتيها، وطاغوتيهما وابنتيهما.. الخ»[1] ويقصدون بصنمي قريش الصديق والفاروق، رضي الله عنهما ولعن الله من لعنهما في الدنيا والآخرة اللهم آمين.

وببنتيهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

والقدرية، والجبرية، والخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه واستحلوا دماء المسلمين، والمعتزلة، وغيرهم.

٢ ـ العاصم من الخلاف والفرقة:

التمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وفهمهما كما فهمها سلف الأمة، الذين زكاهم الخبير العليم بما توسوس به النفوس قال جل وعلا: ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم** ﴾[2] كما زكاهم حبيب رب العالمين ﷺ، قال: «خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم. والله أعلم أذكر الثالث أم لا ـ قال: ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا»[3].

وصدق عبدالله بن عمر رضي الله عنهما حين قال: «من كان مستنا

---

(١) كتاب مفتاح الجنان ص ١١٤.

(٢) التوبة / ١٠٠.

(٣) شرح مسلم كتاب الصحابة جزء ٥ ص ٣٩٤.

فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خيرة هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة.

لذلك أوصانا رسولنا بهذا الحديث المبارك، أن نتمسك بسنته، وسنة الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم الذين عرفوا الحق واتبعوه، لذلك وصفهم ﷺ بالراشدين، وأن نعض عليها بالنواجذ، والنواجذ هي آخر الأضراس، الذي يدل ظهوره على العقل، والأمر بالعض على السنة، كناية عن شدة التمسك بها، وعدم الحيدة عنها.

قال ﷺ « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ »[1].

٣ ـ التحذير من البدع:

قوله ﷺ: « وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل بدعة ضلالة » الأمور المحدثة في الدين، هي التي ليس لها أصل لا من كتاب ولا سنة، لذلك حذرنا منها رسول الله ﷺ، لأنها سبب هلك الأمم ودمارها، قال ﷺ: إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم[2] وسبق أن مر شرح البدعة، وخطرها، والنهي عن المحدثات، في الحديث الخامس فلا حاجة للإعادة.

فوائد من الحديث:

١ ـ فيه الحث على الوصية عند الوداع، بما فيه مصلحة الدنيا والآخرة.
٢ ـ فيه التحذير من الابتداع.
٣ ـ كما فيه منقبة عظيمة للخلفاء الراشدين.
٤ ـ ما وقعت به الأمة في زماننا دليل وشاهد على صدق ما أخبر به ﷺ.

---

(١) صحيح الجامع ٢٥٤٦.
(٢) البخاري كتاب الاعتصام جزء ٨ باب ٢ ص١٣٩ / وشرح مسلم كتاب الفضائل جزء ٥ ص ٢٠٥.

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قال: قُلْتُ يا رسولَ الله، أَخْبِرني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجنَّةَ وَيُباعِدُني عنِ النارِ، قال: لَقَدْ سأَلْتَ عن عَظيمٍ، وإِنَّهُ لَيسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ الله تعالى عليه: تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بِهِ شيئاً، وَتُقيمُ الصَّلاةَ وَتُؤْتي الزكاةَ، وَتَصومُ رمضانَ، وَتَحُجُّ البيتَ، ثُمَّ قال: ألا أَدُلُّكَ على أَبْوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطيئَةَ كما يُطْفِىءُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجُل في جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تلا (تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ.. حتى بَلَغَ: يَعْمَلُون) ثم قال: ألا أُخْبِرُكَ بِرأْسِ الأَمْرِ وَعَمودِهِ وَذِرْوَةِ سَنامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يا رسولَ الله، قال: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سنامِهِ الجِهادُ. ثم قال: ألا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يا رسولَ الله، فَأَخَذَ بِلِسانِهِ وقال: كُفَّ عَلَيْكَ هذا. قُلْتُ: يا نَبِيَّ الله، وإِنَّا لَمُؤاخَذُونَ بِما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِم - أو قالَ على مَناخِرِهِمْ - إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِم»[1].

---

(١) قال النووي: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح
قال الألباني في الإرواء ٢/١٣٩: إسناده حسن.
وفي صحيح الجامع ٥/٢٩ - ٣٠: صحيح
وفي كتاب الإيمان لابن أبي شيبة صحيح بالطرق التي بعده.

منزلة الحديث :

نص هذا الحديث على أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار، وهذا أمر عظيم من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، ومن أجله تحمل أنبياء الله الشدائد والصعاب.

الأعمال سبب لدخول الجنة :

في هذا الحديث دليل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة، ويشهد لهذا من القرآن: ﴿**تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾[1] قال ابن كثير: أي أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحداً عمله الجنة، ولكن بفضل من الله ورحمته[2].

وقوله ﷺ: «لن ينجى أحدا منكم عمله»[3].

فمعناه كما قال ابن رجب : « أن العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة، لولا أن الله عز وجل جعله بفضله ورحمته سببا لذلك، والعمل بنفسه من فضل الله ورحمته على عبده، فالجنة وأسبابها كل من فضل الله ورحمته»[4].

أمر عظيم :

قوله ﷺ: «لقد سألت عن عظيم» دخول الجنة أمر عظيم، لأن هذا هو الفوز الحقيقي قال تعالى: ﴿**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**﴾[5] وقال رسول الله ﷺ لرجل: «ما تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد ثم

---

(١) الزخرف: ٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٢٦/٧.

(٣) البخاري كتاب الرقاق ١٨١/٧ وشرح مسلم كتاب الجنة ٦٨١/٥.

(٤) جامع العلوم والحكم ٢٥٦.

(٥) آل عمران: ١٨٥.

أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال: «حولها دندن»[1].

والنجاة من نار جهنم أمر عظيم، لأن أخف الناس فيها عذابا رجل يوضع في أخمص قدمه جمرتان، يغلي منهما دماغه.

من أجل هذا الأمر أرسل الله الرسل إلى العباد، كي يكونوا سببا في نجاة الناس من النار، والفوز بالجنة، وتحمل أنبياء الله من أجل ذلك ما لا تتحمله الجبال الرواسي.

التوفيق بيد الله:

قوله ﷺ: «وإنه ليسير على من يسره الله عليه» وفي هذا إشارة إلى أن التوفيق كله بيد الله عز وجل، فمن يسر له الهداية اهتدى، ومن لم ييسر له ذلك هلك وخسر، فيجب على المسلم أن يتوجه إلى الله عز وجل بقلب صادق بأن يمن عليه بالهداية، وأن يتخذ أسبابها، والله عز وجل وعد من جاهد نفسه في سبيل حصول الهداية بالهداية والتوفيق قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾[2].

أركان الدين:

قوله ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت».

أجاب - ﷺ - بأن القيام بواجبات الدين سبب لدخول الجنة، وقد مر الكلام على أركان الإسلام في الأحاديث السابقة.

---

(١) انظر صحيح الجامع ٣١٥٨.
(٢) العنكبوت: ٦٩.

طرق الخير :

قوله : «ألا أدلك على أبواب الخير» لما أجابه - ﷺ - بأن واجبات الدين سبب لدخول الجنان، والوقاية من النيران، دله بعد ذلك على طرق الخير من النوافل والمستحبات، فإن خير أولياء الله الذين يتقربون إلى مولاهم بالنوافل بعد القيام بواجبات الدين، فذكر له منها :

١ - قوله «الصيام جنة» قال ابن رجب: فالجنة هي ما يستجن به العبد كالمجن الذي يقيه عند القتال من الضرب، فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا،

فإذا كان له جنة من المعاصي، كان له في الآخرة جنة من النار، ومن لم يكن له جنة في الدنيا من المعاصي، لم يكن له جنة في الآخرة من النار[1].

ويشرع للمسلم في صيام النافلة أن يصوم الأيام الآتية :

- صوم يوم عاشوراء.
- صوم يوم عرفة لغير الحاج.
- صوم يوم الإثنين والخميس.
- صوم ثلاثة أيام من كل شهر.
- صوم يوم وإفطار يوم.
- صوم ستة أيام من شوال.
- صيام شهر الله المحرم.
- صوم شعبان[2].

٢ - قوله «والصدقة تطفىء الخطيئة» والمقصود بالصدقة هنا التطوع والخطيئة التي تمحوها الصغائر، ولأن الكبائر تحتاج إلى توبة، ولابد من تحقيق

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٥٧.

(٢) أنصح بقراءة رسالة صيام التطوع للأخ الداعية شريدة المعوشرجي حيث جمع الأحاديث التي تدل على مشروعية هذه الأيام والترغيب بها.

شروط التوبة التي بينها العلماء، ووردت أحاديث كثيرة ترغب في صدقة التطوع وأذكر منها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل»[1].

- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل امرىء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس».
قال يزيد: فكان أبو مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء، ولو كعكة أو بصلة[2] والأحاديث في هذا كثيرة معلومة[3].

٣ ـ قوله: «وصلاة الرجل في جوف الليل». ثم تلا تتجافى[4] جنوبهم عن المضاجع»[5].. حتى بلغ «يعملون»[6] فصلاة الليل كذلك تطفىء الخطايا والذنوب مثل الصدقة، والمقصود بها قيام الليل، هذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين منهم مجاهد والأوزاعي وغيرهم.

وورد في فضل قيام الليل أحاديث كثيرة منها:

- قال ﷺ: «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[7].
- قال ﷺ: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[8].

---

(١) البخاري ١٢/٢ وشرح مسلم ٥٠/٣ واللفظ للبخاري انظر صحيح الترغيب ٨٤٩.
(٢) رواه أحمد وغيره انظر صحيح الترغيب للألباني رقم ٨٦٦.
(٣) راجع صحيح الترغيب للألباني ٣٥٩/٢.
(٤) قال القرطبي في تفسيره: أي ترتفع وتنبو عن مواضع الاضطجاع جزء ١٤ ص٩٩.
(٥) قال القرطبي في تفسيره: جمع مضجع وهو مواضع النوم جزء ١٤ ص٩٩.
(٦) السجدة: ١٦.
(٧) رواه مسلم كتاب الصوم ٢٣٠/٣ «وأول الحديث أفضل الصيام»
(٨) صحيح رواه الترمذي انظر صحيح الترغيب للألباني رقم ٦١٢.

ـ قال ﷺ: «إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل، والناس نيام»[1].

ـ وقال ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومَكْفَرَةٌ للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[2].
والأحاديث في فضل قيام الليل كثيرة[3].

رأس الأمر وعموده وذروة سنامه:

بيّن ﷺ لمعاذ عن طريق السؤال «ألا أخبرك» وهذه طريقة جيدة أثناء التعليم، لأنها تشد ذهن المتعلم للمادة، وتجعله متلهفا إلى الإجابة:

١ ـ أن رأس الأمر الإسلام، والمقصود بالأمر الدين الذي أرسل الله به محمدا ﷺ وهو الإسلام، والمقصود هنا الشهادتين، ومنزلة الشهادتين من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا اجتث الرأس لا بقاء للإنسان بعده، وكذلك من لم يقر بالشهادتين فلا دين له ولا إسلام.

٢ ـ وأن عموده الصلاة، لأن لها في الدين منزلة عظيمة، بمنزلة عامود الفسطاط الذي لا يقوم الفسطاط إلا به، فكذلك لا يقوم للعبد دين بدون صلاة.

٣ ـ وأن ذروة سنام الدين الجهاد، فهو أعلى وأرفع ما في الدين لأن بالجهاد تعلو كلمة الله عز وجل، ويظهر الدين على سائر الأديان، ويقمع أهل الباطل من المنافقين والمتمسلمين الخونة خنازير اليهود والنصارى.

---

(١) صحيح رواه ابن حبان انظر صحيح الترغيب رقم ٦١٤.
(٢) حسن رواه الترمذي وغيره انظر المصدر السابق رقم ٦٢٠.
(٣) راجع صحيح الترغيب للألباني صفحة ٢٥٢ ـ ٢٦٣.

لـذلك ذهب الإمـام أحمد رحمـه الله إلى القول، أن الجهـاد من أفضـل الأعمال بعد الفرائض ووردت نصوص كثيرة ترغب فيه منها:

- عن أبي ذر رضـي الله عنـه قال: «قلت يـا رسـول الله أي العمـل أفضـل قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله»[1].

- قـال ﷺ: «غدوة[2] في سبيـل الله أو روحـه خـير مما طلعت عليه الشمس وغربت»[3].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قيـل: يا رسـول الله ما يعـدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعونـه» فأعـادوا عليه مـرتين أو ثـلاثا كـل ذلك يقول «لا تستطيعونه» ثم قال: «مثل المجاهد في سبيـل الله كمثل الصـائم القـائم القانت بـآيـات الله لا يفـتر من صيـام، ولا صـلاة، حتى يـرجـع المجاهد في سبيل الله تعالى»[4] والنصوص في هذا كثيرة كذلك.

حفظ اللسان:

قوله: «ألا أخبرك بملاك[5] ذلك كله؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا قلـت يا نبي الله وإنـا لمؤاخذون بمـا تتكلم به؟ فقال: ثكلتك[6] أمك، وهل يكب الناس في النار عـلى وجوههم أو قـال على منـاخرهم إلا حصـائـد ألسـنتهم» وهـذا يـدل عـلى أن أصـل الخـير من ضبط اللسان، وتقويمه وفق ما يـرضى الله عز وجـل، وأن من أعـانه الله عـلى ضبط لسانه فقد ملك زمام أمره ووفق إلى خير الدنيا والآخرة.

---

(١) البخاري كتاب التوحيد ٢١٦/٨ وشرح كتاب الإيمان ٢٦٩/١.

(٢) الغدوة: السير أول النهار. والروحة: السير آخر النهار.

(٣) جزء من حديث في البخاري كتاب الجهاد ٢٠٢/٣ وشرح مسلم كتاب الإمارة ٥٤٦/٤.

(٤) البخاري كتاب الجهاد ٢٠١/٣ وشرح مسلم كتاب الإمارة ٥٤٤/٤ واللفظ له.

(٥) الملاك: ما به إحكام الشيء وتقويته، من ملك العجين إذا أحسن عجنه وبالغ فيه.

(٦) ثكلتك أمك: فقدتك وهو دعاء بالموت على ظاهره، ولا يراد وقوعه، بل هو تـأديب وتنبيه من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر.

قال ابن رجب: والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيرا من قول أو عمل حصد الكرامة ، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد غدا الندامة، وظاهر حديث معاذ يدل على آن آكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم، فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهي أعظم الذنوب عند الله عز وجل، ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك، ويدخل فيها شهادة الزور التي عدلت الإشراك بالله عز وجل، ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها»[1].

لذلك حذر سلف الأمة من إطلاق عنان اللسان لأنه يورد إلى مهاوي الردى قال ابن عباس رضي الله عنه وقد أخذ بلسانه ويحك قل خيرا تغنم أو اسكت عن سوء تسلم وإلا فاعلم أنك ستندم»[2].

فوائد الحديث :

١ ـ فيه دليل على شدة اهتمام معاذ بن جبل رضي الله عنه بالأعمال الصالحة.

٢ ـ فيه طريقة من طرق التعليم، وهي طريقة تربوية ممتازة وهي طريقة السؤال وذلك في قوله «ألا أخبرك؟».

٣ ـ التدرج في تعليم الناس، فالبدء يكون بأصول الدين وقواعده، ثم التدرج.

٤ ـ فضل التقرب بالنوافل.

٥ ـ كما فيه منزلة الجهاد في سبيل الله.

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٦٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢٦٠.

الحديث الثلاثون

عن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ - جُرْثوم بنِ ناشِر - رَضِيَ الله عنه - عَنْ رسولِ الله ﷺ قالَ: «إنَّ الله تعالى فَرَضَ فرائِضَ فلا تُضَيِّعُوهَا وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوها، وَحَرَّمَ أَشْياءَ فلا تَنْتَهِكُوها، وَسَكَتَ عَنْ أَشْياءَ رَحْمَةً لكُمْ غَيْرَ نِسْيانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْها» حديثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الدَّارَقُطِنيُّ وَغَيْرُهُ.

هذا الحديث ضعيف لا يصح، وإليك كلام العلامة المحدث ناصر الدين الألباني عليه بالنص، كما أورده في كتابه «إرواء الغليل»:

ضعيف. أخرجه الدارقطني في «سننه» (ص٥٠٢) وكذا البيهقي (١٠/١٢ - ١٣) وأبو بكر الذكواني في «اثنا عشر مجلسا» (ق١٢/١) وابن السماك في «حديثه» (٢/١٢/٢) والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (ق١٦٠/٢) ومحمد بن محمد أبو الفتوح الطائي في «الأربعين» (ق٣١/٢ حديث ١٦) وابن بطة في «الإبانة» (٢/١٢٦/١) من طرق عن داود بن أبي هند عن محكول عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات رجال مسلم، لكن له علتان كما قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النووية» (ص٢٠٠).

أحداهما: أن مكحولاً لم يصح له السماع عن أبي ثعلبة. كذلك قال أبو مسهر الدمشقي وأبو نعيم الحافظ وغيرهما.

قلت: لو صح سماعه منه في الجملة، فلا يصح أنه سمع هذا الحديث منه، لأنه مدلس وقد عنعنه عنه.

والثانية: أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة، ورواه بعضهم عن مكحول عنه قوله، لكن قال الدارقطني: الأشبه بالصواب المرفوع. قال: وهو أشهر. قال ابن رجب:

«وقد حسن الشيخ (النووي) رحمه الله هذا الحديث، وكذلك حسنه قبله الحافظ أبو بكر السمعاني[1] في (أماليه).

قلت: وتبعه أبو الفتوح الطائي[2] فقال عقبه

«حديث كبير حسن، تفرد به داود عن مكحول»

قلت: فإن أرادوا أنه حسن لغة فهو كذلك، وإن أرادوا أنه حسن اصطلاحا ـ كما هو الظاهر فليس كذلك للعلة الأولى فإنها علة قادحة، وأما العلة الأخرى فليست قادحة، لأنه قد رفعه جماعة من الثقات عن داود بن أبي هند، منهم حفص بن غياث، وقد أخرجه البيهقي عنه، موقوفا، لكن المرفوع أولى لموافقته للرواة الآخرين الذين رفعوه، وكأنه لذلك رجحه الدارقطني كما سبق. والله أعلم.

وله شاهدان، ولكنهما واهيان جدا، فلا يصلحان للشهادة.

الأول: من حديث أصرم بن حوشب بسنده عن أبي الدرداء مرفوعا نحوه

وأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ص٢٣٠).

والآخر: من طريق نهشل الخراساني بسنده عن أبي الدرداء أيضا.

أخرجه الدارقطني (ص٥٥٠).

وكل من أصرم ونهشل كذاب[3].

---

(١) هو محمد بن منصور بن محمد السمعاني «والد أبي سعد السمعاني صاحب «الأنساب» توفي سنة (٥١٠)».

(٢) محدث معروف توفي سنة (٥٥٥).

(٣) غاية المرام للألباني/١٧، ١٨، ١٩.

الحديث الحادي والثلاثون

عن أبي العباسِ ـ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: (جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي الناسُ، فقالَ: ازْهَدْ في الدُّنْيا يُحِبَّكَ الله، وازْهَدْ فِيما عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ الناسُ[1].

منزلة الحديث:

تكمن منزلة الحديث ببيانه سبب محبة الله، وهي من أعظم ما يوفق إليه الإنسان فمن أحبه الله أكرمه ووضع له القبول في الأرض، ومن أبغضه وضع له البغضاء في الأرض.

كما بين الحديث سبب محبة الناس للعبد، ومعلوم أن الإنسان يشعر بسعادة عظيمة إذا كان يحيى في مجتمع يحبه، ومن أحبه الناس ألفوه، وما أحوج الداعي إلى هذا لأن الناس إذا أحبوا إنسان أخذوا عنه.

تعريف الزهد:

الزهد «ضد الرغبة والحرص على الدنيا»[2]

وقال ابن القيم[3] إن الزهد في الشيء في لغة العرب ـ التي هي لغة

---

(١) صحيح رواه ابن ماجة وغيره انظر صحيح الجامع للألباني رقم ٩٣٥ والسلسلة رقم ٩٤٢.

(٢) لسان العرب ١٩٦/٣.

(٣) ابن القيم (٦٩١ ـ ٧٥١) هـ هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي شمس الدين =

الإسلام الإنصراف عنه احتقارا له وتصغيرا لشأنه للإستغناء عنه بخير منه[1].

وقد كثرت مقالات السلف في تعريفهم للزهد، قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. والورع: ترك ما تخاف من ضرره في الآخرة. قال ابن القيم: وهذه العبارة من أحسن ما قيل في «الزهد والورع» وأجمعها.[2].

وقال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء[3] وقال الزهري: هو أن لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره.

قال صاحب اللسان معقبا على كلام الزهري: أراد أن لا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ولا صبره على ترك الحرام[4].

وقال الحسن أو غيره: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة ـ إذا أصبت بها ـ أرغب منك فيها لو لم تصبك.[5] فهذا من أجمع الكلام في الزهد وأحسنه ـ هذا بإيجاز تعريف السلف للزهد.

وحقيقة الزهد في القلب، بأن يخرج حب الدنيا والحرص عليها والرغبة إليها من قلب العبد، فتصبح الدنيا في اليد وحب الله والآخرة في القلب، وليس معنى الزهد رفض الدنيا بالكلية والإبتعاد عنها، كان ﷺ إمام الزاهدين

= من أهل دمشق. تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية لا يكاد يخرج عن أقواله. علامة متبحر في علوم الدين سجن مع شيخه. من آثاره العلمية: ١ ـ زاد المعاد. ٢ ـ الطرق الحكمية. ٣ ـ مفتاح دار السعادة. ٤ ـ الفروسية. ٥ ـ مدارج السالكين. ٦ ـ إعلام الموقعين. أنصح بالتتلمذ على كتبه ودراستها بدقة لأنه عالم رباني ـ رحمه الله.

(١) كتاب مدارج السالكين/ ٢٨٤.

(٢) مدارج السالكين ٢٨٣.

(٣) المرجع السابق ٢٨٤.

(٤) لسان العرب ١٩٦/٣.

(٥) مدارج السالكين ٢٨٥.

وله تسع نسوة، وكان داود وسليمان عليهما السلام من الزهاد ولهما من الملك ما ذكر الله، والصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا من الزهاد ولهم من المال والنساء والبنين ما هو معروف.

وقسم الإمام أحمد الزهد إلى[1]:

١ ـ ترك الحرام وهذا عنده زهد العوام ويرى ابن القيم أن هذا فرض عين.

٢ ـ ترك الفضول من الحلال وهذا عنده زهد الخواص.

٣ ـ ترك ما يشغل عن الله وهذا عنده زهد العارفين.

التقليل من شأن الدنيا:

قوله «إزهد في الدنيا» وردت نصوص كثيرة في كتاب الله وفي سنة رسول الله تُزّهد في الدنيا، وتبين حقارتها وقلتها وسرعة انقضائها، وترغب في نعيم الآخرة الدائم الذي لا ينقطع.

قال تعالى: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾[2]

وقال تعالى: ﴿**اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد. كمثل غيث أعجب الكفار نباته. ثم يهيج فتراه مصفرا. ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾[3] فالدنيا منقضية زائلة فلا ينبغي للعبد أن يشتغل بالفاني الزائل عن الباقي.

فالآية دلت على أن الحياة الدنيا غرور وباطل ولعب، وحقيقة اللعب ما لا ينتفع به واللهو: ما يلتهى به، كما دلت على أنها زينة: والزينة ما يتزين به، والمفتون بها يتزين ولا يعمل لآخرته، كما دلت على أنها تفاخر، والناس يفخر بعضهم على بعض بنعيمها الزائل من مال وولد وجاه وغيرها، ثم شبه ربنا انقضاء الدنيا وسرعة زوالها بالغيث الذي ينزل على الأرض فتهتز به وتخضر

---

(١) مدارج السالكين ٢٨٤.

(٢) النحل: ٩٦.

(٣) الحديد: ٢٠.

ثم ما تلبث أن تعود إلى ما كانت عليه من جفاف وموات. وهذا حال نعيم الدنيا زائل منقضي.

دوافع الزهد:

الذي يدفع العبد في الزهد بالدنيا أمور منها:

- قوة إيمان العبد واستحضار وقوفه بين يدي الله عز وجل، واستحضار أهوال يوم القيامة، هذا يجعل حب الدنيا ونعيمها يتضائل في قلب العبد فينصرف عن لذائذها وشهواتها ويقنع بالقليل منها.

- شعور العبد بأن الدنيا تشغل القلوب عن التعلق بالله، وتؤخر الإنسان من الرقي بدرجات الآخرة، وان الإنسان سوف يسأل عن نعيمها، قال تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾[1]، هذا الشعور يدفع العبد للعزوف عنها.

- الدنيا لا تحصل للعبد حتى يتعب وينصب في جمعها، ويبذل من الجهد البدني والذهني الكثير، وقد يضطر لمخالطة الأرذال ومزاحمتهم، وهذا يكون على حساب طلب علم الدين، والدعوة والجهاد والعبادة، فشعور العبد النير القلب بهذا يجعله يعزف عنها، ويقبل على ما هو خير وأبقى.

- تحقير القرآن لشأن الدنيا ونعيمها وإنها غرور وباطل ولعب ولهو، وذم الله عز وجل من آثارها على الآخرة، كل هذه النصوص الواردة في الكتاب الكريم والسنة، تجعل المؤمن يعزف عنها، ويتعلق فيما هو باق.

عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله - ﷺ - مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس عن كنفيته[2] فمر بجدي[3] أسك[4] ميت فتناوله فأخذ بأذنه

---

(١) التكاثر: ٨.

(٢) أي عن جانبيه.

(٣) ولد المعز كذا في مختار الصحاح.

(٤) صغير الأذنين.

ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم.[1].

وروى أيضا عن المستورد الفهري، عن النبي ﷺ قال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما يرجع»[2]

الزهد المبتدع:

الزهد المخالف للسنة لا خير فيه، يظلم القلوب ويعميها، ويشوه جمال الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وينفر العباد من دين الله عز وجل، ويهدم الحضارة ويمكن أعداء الله من أمة الإسلام، ويهدر كرامة الإنسان، ويجعل العبد مستعبداً لغير الله، وينشر الجهل وإليك بعض مقالات دعاة الزهد المبتدع المخالف لهدي السماء:

١ ـ قال الجنيد: أحب للمبتدىء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغيرت حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج، وأحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه»[3].

٢ ـ وقال أبو سليمان الداراني: «إذا طلب الرجل الحديث، أو سافر في طلب المعاش، أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا»[4]

ومعلوم أن كل الحضارات لا تقوم إلا على العلم والكسب والزواج وحضارة الإسلام ما قامت إلا على هذا، أمرت بالكسب قال ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه

---

(١) شرح مسلم كتاب الزهد ٨١٤/٥.
(٢) انظر صحيح الجامع رقم ٥٤٢٣.
(٣) قوت القلوب ١٣٥/٣.
(٤) الفتوحات المكية ٣٧/١.

السلام كان يأكل من عمل يده»[1].

وأمر بالزواج، قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[2].

وأمر بالعلم الديني والدنيوي، قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3] هذا من حيث العلم الديني، أما العلم الدنيوي فلا يختلف اثنان سليمي الفطرة في ضرورة علوم الدنيا من طب وهندسة وصناعة أسلحة وآلات، التي لا غنى للعباد عنها في هذا الزمن.

وما تدهور واقع المسلمين في هذا الأيام، إلا بسبب تقصيرهم بطلب علم الدين والدنيا واكتفوا بأخذ القشور من علوم الدنيا من أعدائهم، بينما أخذوا عنهم كثيرا من أمور هذه الحضارة الزائفة الزائلة التي تودي بأهلها إلى الهلاك وضياع الدين والخلق والفضيلة.

طريقة محبة الله :-

قوله «ازهد في الدنيا يحبك الله» الزهد بالدنيا هو من طرق محبة الله جل وعلا، وأعني بالزهد الذي كان عليه سلف الأمة لا الزهد المبتدع الذي جعل المسلمين في مؤخرة الأمم، ومحبة الله للعبد شيء عظيم، من أحبه الله وفقه لما يحب وأغدق عليه نعمه الظاهرة والباطنة.

ومحبة الله لها طرق أخرى أخبر الله بها في كتابه منها:

- الإحسان قال تعالى: ﴿والله يحب المحسنين﴾[4]
- التوكل قال تعالى: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾[5]

---

(١) البخاري كتاب البيوع باب ٨/٣.
(٢) البخاري كتاب النكاح ١١٧/٦.
(٣) صحيح انظر الجامع الصحيح برقم ٣٨٠٨.
(٤) آل عمران: ١٣٤.
(٥) آل عمران: ١٥٩.

- إقامة العدل قال تعالى: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾[1]
- الصبر قال تعالى: ﴿والله يحب الصابرين﴾[2]
- التقوى قال تعالى: ﴿فإن الله يحب المتقين﴾[3]
- التطهر الحسي والمعنوي: ﴿والله يحب المطهرين﴾[4]
- القتال في سبيل الله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾[5]
- التوبة ﴿إن الله يحب التوابين﴾[6]

إلى غيرها من الآيات، والخلاصة أن طريق محبة الله طاعته بصدق واجتناب نواهيه.

محبة الله:-

قال صاحبا الوافي في شرح الأربعين النووية ومحبة الله للعبد رضاه عنه وإحسانه إليه، لأن المحبة ميل طبيعي، وهو في حق الله محال، فالمراد غايتها[7].

أقول هذا الكلام مخالف لما عليه سلف الأمة من إثبات الصفات لله عز وجل دون تأويل أو تعطيل أو تشبيه، ففي هذا الكلام الذي تقدم به المؤلفان تأويل دون وجه حق، فالله عز وجل أثبت لنفسه هذه الصفة أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ وقال ﴿إن الله يحب المقسطين﴾

---

(١) المائدة: ٤٢.
(٢) آل عمران: ١٤٦.
(٣) آل عمران: ٧٦.
(٤) التوبة: ١٠٨.
(٥) الصف: ٤.
(٦) البقرة: ٢٢٢.
(٧) الوافي في شرح الأربعين ٢١٧ أقول: حتى لا أبخس الناس حقوقهم فقد استفدت من كتابهما استفادة عظيمة فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وقال ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ فأخبرنا سبحانه بأنه يحب أقوالا وأعمالا معينة، كما يحب بعضا من خلقه اتصفوا بصفات معينة، وفائدة الإخبار حتى نبادر إلى ما يحب فنفوز برضاه ومحبته.

فيجب على العبد، أن يصف الله عز وجل بما وصف به نفسه دون تأويل للصفة أو تعطيل أو تشبيه لها بصفة الخلق، وهذا هو منهج السلف، فهو الأسلم والأحكم والأعلم وبه النجاة.

طريق محبة الناس :-

قوله ﴿وازهد فيما عند الناس يحبك الناس﴾ يعلمنا صلوات الله وسلامه عليه طريق محبة الناس، وذلك بالزهد بما في أيديهم من حطام الدنيا الفانية.

قال الشافعي :

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها[1]

ومعلوم أن من نازع إنسان على محبوبه كرهه وقلاه.

والإنسان بحاجة إلى محبة الناس إليه لأنه يشعر بسعادة وانشراح عندما يعيش بين ظهراني إناس يحبونه، ويشعر بضيق وانقباض عندما يحيى بين قوم يكرهونه.

والداعي إلى الله أحوج ما يكون إلى محبة الناس له، لأنهم إذا أحبوه أحبوا بضاعته وقبلوها، ولكن ينبغي ألا يكون السعي لكسب محبة الناس على حساب الحق والعدل فإن هذا لا يجوز في دين الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»[2].

---

(١) ديوان الإمام الشافعي ٢٢.

(٢) صحيح رواه الترمذي انظر صحيح الجامع برقم ٥٨٨٦.

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي سعيدٍ ـ سَعْدِ بنِ سِنَان ـ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ[1] .

منزلة الحديث:

مر قول أبي داود أنه من الأحاديث التي يدور عليها الفقه.

فهذا الحديث يؤصل قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» للفقهاء لقياس الأمور عليها، وخاصة فيما يستجد من الأمور فمثلا من حكم على الدخان بأنه حرام كان من ضمن أدلته هذه القاعدة «لا ضرر ولا ضرار» لأنه لم يكن موجودا في زمن التشريع.

تعريف الضرر والضرار:ـ

الضرر ضد النفع، وقوله ﷺ في الحديث «لا ضرر ولا ضرار»

لا ضرر : أي لا يضر الرجل أخاه ابتداء وهو ضد النفع منها.

ولا ضرار : أي لا يضار كل واحد منهما صاحبة جزاء. فالضرار منهما معا والضرر فعل واحد منهما، ومعنى الحديث:

لا يدخل الضرر على الذي ضره ولكن يعفوا عنه. أ. هـ.[2] فإبن منظور

---

(١) قال النووي: حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندا، ورواه مالك في الموطأ مرسلا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي ﷺ فأسقط أبا سعيد وله طرق يقوي بعضها بعضه ـ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع رقم ٧٣٩٣ والإرواء ٨٨٨ والسلسلة الصحيحة للألباني رقم ٢٥٠.

(٢) لسان العرب ٤/٤٨٤.

فرق بين الضرر والضرار وهذا هو المشهور.

ومن العلماء من لم يفرق بينهما فقال: هما لفظان بمعنى واحد تكلم بهما على وجه التأكيد قال ابن رجب بعد ان نقل أقوال أهل العلم عن هذين اللفظين : وبكل حال فالنبي ﷺ : إنما نفي الضرر والضرار بغير حق[1].

تحريم ضرر المسلم :ـ

دل الحديث على أنه لا يجوز للمسلم أن يضر أحدا بغير حق، فلا يضر من ضره أو يسب من سبه ولا يضرب من ضربه، بل يطلب حقه من الحاكم من غير مسابة. وأكد رسول الله ﷺ النهي عن ضرر المسلمين في أكثر من موضع، قال ﷺ : «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم»[2] وضر المسلم بعرضه أو ماله أو نفسه من أعظم الظلم الذي حرمه الله عز وجل قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[3].

أنواع الضرر :

يكون قصد المكلف بضرره للآخر على وجهين

- الوجه الأولى يكون ليس له قصد سوى الضرر بالعباد، وهذا لا شك في قبحه وتحريمه.
- الوجه الثاني يكون له غرض صحيح مشروع، وبسببه يضر الآخرين.

١ ـ الوجه الأول له مظاهر كثيرة منها :ـ

- الإضرار في الوصية، قال تعالى: ﴿من بعد وصية يوصى بها أودين غير

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٨٨ .

(٢) شرح مسلم كتاب الحج ٣٤٣/٣.

(٣) شرح مسلم كتاب البر والصلة والأدب ٤٣٩/٥ .

مضار﴾[1] ووجه الإضرار أن يخص بعض الورثة أكثر من نصيبه، فيتضرر باقي الورثة، وهذه الوصية لا تنفذ، قال ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»[2] إلا إذا أجازها الورثة. أو أن يخص أجنبي بأكثر من الثلث فيتضرر الورثة بذلك، وهذه الوصية لا تنفذ إلا بإجازة الورثة، وذلك لأن النبي ﷺ عندما سأله سعد، قال: يا رسول الله أنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي، قال: لا فقلت: بالشطر قال: لا، ثم قال: الثلث والثلث كبير أو كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس[3].

وإذا أوصى بالثلث لأجنبي بقصد المضارة بالورثة، فإنه يأثم بقصده هذا، وتنفذ كما قال الجمهور.

ـ الرجعة في النكاح:

قال تعالى: ﴿فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾[4] فمن قصد بالرجعة المضارة بالمرأة أثم بذلك، كما كان يفعل الجاهليون يطلق امرأته فإذا قاربت انتهاء العدة راجعها، وهكذا فتكون بذلك معلقة لا هي مطلقة ولا ممسكة.

ـ الإيلاء: وهو حلف الرجل على أن لا يجامع زوجته، وكان الجاهليون يحلف أحدهم أن لا يجامع زوجته سنة وسنتين، ويقصد بذلك الإضرار بها، فتكون بذلك معلقة لا هي مطلقة ولا هي زوجته، فوضع الإسلام حدا لهذا الضرر فعين مدة الإيلاء أربعة أشهر فقط، فإن رجع أثناءها أو

---

(1) النساء: ١٢.

(2) صحيح الجامع للألباني ١٧٨٤.

(3) رواه البخاري كتاب الجنائز ٨٢/٢. ومسلم انظر شرح مسلم كتاب الوصية جزء ٤ ص ١٥٩.

(4) البقرة: ٢٣١.

في آخرها كفر عن يمينه وإلا طلقها، قال تعالى: ﴿للذين يؤولون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾[1].

- الرضاعة: قال تعالى: ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾[2] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: لا تأبى الأم أن ترضعه إضرار بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها، ولا يحل للأب أن يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع هذا قول جمهور المفسرين»[3].

- الضرر في البيع: نهى الإسلام عن كل أنواع البيوع التي فيها ضرر بعباد الله، فنهى عن بيع العينة، قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة إلى أن قال: سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[4] كما نهى عن بيع الحصاة، وعن بين الغرر، كما نهى عن التفرقة بين الوالدة وولدها في البيع، فإذا كان ولدها صغير حرام بالاتفاق، قال ﷺ: من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[5].

قاعدة أصولية[6]:

هذا الحديث «لا ضر ولا ضرار» قاعدة أصولية ومن فروعها الفقهية أنه لو أتلف أحد مال الآخر، لا يجوز للآخر أن يتلف مال أخيه من باب المعاملة بالمثل، لأن في هذا توسيع لدائرة الضرر دون فائدة، والبادي بالإتلاف ضامن ما أتلف. ومن فروع هذه القاعدة: -

(١) البقرة: ٢٢٣.
(٢) البقرة: ٢٢٧.
(٣) القرطبي/ ٣ - ١٦٧.
(٤) صحيح الجامع رقم ٤١٦.
(٥) صحيح الجامع رقم ٦٢٨٨.
(٦) ملخص من كتاب الوافي في شرح الأربعين.

١ ــ الضرر يدفع بقدر الإمكان :

ومعناها أنه يجب إزالة الضرر الذي وقع وإزالة الآثار المترتبة بسبب وقوعه، مثل أن يصب الميزاب على الطريق فيؤذي المارة، في هذه الحالة يجب ازالته، وصاحبه ضامن ما أتلف.

٢ ــ (الضرر يزال)

ومعناها يجب دفع الضرر قبل وقوعه لأن هذا أسهل من رفعه بعد الوقوع.

٣ ــ (الضرر لا يزال بمثله)

ومعناها لا يجوز رفع ضرر واقع بإحداث ضرر مثله أو أكبر منه .

٤ ــ الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف :

ومعناها يجوز للحاكم أن يؤخذ من الأغنياء أكثر من الزكاة إذا كانت الزكاة لا تكفي حاجة الفقراء.

وبمعنى هذه القاعدة (يختار أهون الشرين) إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرر.

٥ ــ ويتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام

فيجوز للحاكم إجبار المحتكرين بالبيع بثمن السوق، ولو كان فيه ضرر عليهم لأن دفع الضرر العام، يقدم على ضررهم الخاص.

٦ ــ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح

إذا كان هناك تعار بين مفسدة ومصلحة وجب دفع المفسدة ولو ضاعت المصلحة.

٧ ـ إذا تعارض المانع والمقتضي يقدم المانع.

بمعنى أذا كان هناك لأمر محاذير تتطلب منعه، ودوافع تقتضي السماح به فهنا يقدم المنع. مثل أن يمنع الشريك من التصرف في المال المشترك فيه على وجه يضر بشريكه، وذلك أن حق الشريك مانع له من التصرف. وإن كان حق الشركة مقتضية صحة تصرفه.

٨ ـ الضرر لا يكون قديماً:

بمعنى كل ما فيه ضرر يزال سواء كان حديثا أو قديما، مثل أن يكون للمكلف بناء تطل منه نافذة على أرض جاره، فلو بنى جاره وكانت هذه المنافذ تطل على نساءه وعوراته فيجب إزالتها ولا عبرة بقدمها هنا.

أما ما كان قديما في أيد المكلفين، وفيه نفع لهم، ولا مضرة فيه للآخرين، فهنا للقدم اعتبارا، ويكون انتفاعهم مشروع، وهنا قاعدة «القدم يترك على قدمه».

٢ ـ الوجه الثاني: هو أن يتصرف المكلف بملكه، وبسبب هذا التصرف يتضرر الآخرين دون قصد مضرة الآخرين. مثل أن يتصرف على طريقة غير معتادة ومألوفة، مثل أن يضرم نارا في أرضه في يوم شديد الريح فيحترق ما حوله، ففي هذه الحالة هو ضامن لما أتلف.

ـ ومثل أن يتصرف بطريقة معتادة مألوفة، مثل أن يحفر بئرا في أرضه، فيسحب ماء بئر جاره، ومثل أن يبني على أرضه بناء عاليا يمنع الشمس والضوء عن جاره ويكشف عورته، في هذه الحالة اختلفت أنظار أهل العلم، فمنهم من منع كأحمد بن حنبل، ووافقه مالك في بعض الصور، وهذا موافق لكثير من الأدلة التي تنهي عن ضرر المسلم وتأمر بالإحسان إليه وترغب بإيثاره.

أن يمنع جاره من الانتفاع بملكة، فإن كان الإنتفاع يضر بملكه مثل أن

يكون له جدار ضعيف لا يحمل أكثر مما عليه فله أن يمنع جاره من التصرف به وإذا كان لا يضر فلا يجوز له المنع عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يمنع جاره أن يغرز خشبة في جداره»[1].

(١) رواه البخاري كتاب المظالم ١٠٢/٣ وشرح مسلم كتاب المساقاة والمزارعة ١٣٠/٤.

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ ابنِ عباسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لو يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْواهُمْ، لادَّعَى رِجالٌ أَمْوالَ قَوْمٍ وَدِماءَهُم، وَلَكِنِ البَيِّنَةُ عَلى المُدَّعِي واليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»[1].

منزلة الحديث :

قال ابن دقيق العيد «وهذا الحديث أصل من أصول الأحكام، وأعظم مرجع عند التنازع والخصام»[2].

وقال النووي: «وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع[3].

وضع هذا الحديث أسس الحكم بين الناس، حتى تصان الحقوق، وتحفظ الأعراض ويقام العدل، ويأخذ كل ذي حق حقه.

أنواع البينة :

المقصود بالبينة الشهادة، لأنها تكشف الحق، وهي دليل على صدق المدعي وذلك أن الشهادة تعتمد على الحضور والمعاينة لما ادعاه المدعي، وهي أضراب :

---

(١) قال النووي: «حديث حسن رواه البيهقي وغيره وهكذا، وبعضه في الصحيحين أخرج هذا الحديث مسلم بلفظ: لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدّعى عليه» شرح مسلم كتاب الأقضية ٤/٣٠٠. وأخرجه البخاري بلفظ «لذهب دماء قوم وأموالهم» البخاري ١٦٧/٥.

(٢) الوافي في شرح الأربعين ٢٤٢.

(٣) المصادر السابق.

١ ـ الزنا : قال تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾[١] وقال تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم﴾[٢] فشهادة الزنا يشترط فيها أن تكون أربعة من الرجال ولا تقبل شهادة النساء.

٢ ـ القتل والسرقة والخمر والقذف وتسمى عند الفقهاء بالحدود قال تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾[٣] فلابد من شهادة رجلين، ولا تقبل شهادة النساء وألحق بعض الفقهاء الشهادة على النكاح والطلاق مع الحدود، فلابد من شاهدين.

٣ ـ البيع والقرض والإجارة وغيرها من الحقوق المالية قال تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتين ممن ترضون من الشهداء﴾[٤] فلابد من شاهدين أو شاهد وامرأتين لإتيان المدعى في الحقوق المالية.

٤ ـ الرضاع والولادة والبكارة، مثل هذه الأمور لا يطلع عليها الرجال تقبل شهادة النساء، وإن انفردن عن الرجال، وقد تقبل شهادة المرأة الواحدة في بعض الأحيان:

عن عقبة بن الحرث: تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فقالت أرضعتكما، فأتيت النبي - ﷺ - فقلت: تزوجت فلانة بنت فلان جاءتنا امرأة سوداء، فقالت: لي إني قد أرضعتكما وهي كاذبة فَأَعْرَضَ عنه فأتيته من قبل وجهه قلت إنها كاذبة قال: كيف بها وقد زعمت أنها قد أرضعتكما دعها عنك[٥] ففارقها عقبة ونكحت زوجا غيره، والشاهد في الحديث أنه لم يشهد بذلك إلا امرأة واحدة.

---

(١) النساء: ١٥.

(٢) النور: ٤.

(٣) الطلاق: ٢.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

(٥) البخاري كتاب النكاح ١٢٦/٦.

والبينة هي حجة المدعي قال ﷺ: «البينة على المدعي»
في رواية مسلم قال ﷺ للمدعي: «شاهداك»، فإذا أقام المدعي البينة استحق بها ما ادعاه.

والحكمة في كون البينة على المدعي، لأنه يدعي أمرا خفيا بحاجة إلى إظهار، والبينة دليل قوي لإظهار ذلك.

حجة المدعي تقدم على حجة المدعى عليه:

بعد عرض القضية على القاضي يسأل المدعى عليه، فإن اعترف بما نسب إليه قضى عليه القاضي لأن الاعتراف حجة يلزم بها المعترف، وإذا أنكر ما نسب إليه طلب القاضي من المدعي إقامة البينة، فإن أتى بها قضى له ولم يعتد بعد ذلك بإنكار المدعى عليه أو أيمانه، فإن عجز المدعي الإتيان بالبينة، وطلب من خصمه أن يحلف، يستحلف القاضي المدعى عليه فإن حلف برىء وانتهت قضيتها.

قال رسول ﷺ للمدعي: «ألك بينة»؟ قال: لا، قال: فلك يمين»[1].

والحديث شاهد على أن حجة المدعي مقدمة على حجة المدعى عليه.

الحكم بالشاهد مع اليمين :

إذا لم يقم المدعي البينة كاملة، بأن جاء بشاهد واحد والدعوة لا تثبت إلا بشاهدين، فهل يقبل اليمين بدل الشاهد؟ يقضى له بشاهد ويمين، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله - ﷺ - قضى بيمين وشاهد.[2] وهذا ما ذهب إليه المالكية والشافعية والحنابلة وإسحاق وأبو ثور إلا في الحدود والقصاص.

---

(١) شرح مسلم كتاب الايمان ١/٣٤٤.
(٢) شرح مسلم كتاب الأقضية ٤/٣٠١ .

تحليف الشهود والمدعي مع اقامته للبينة :

ويجوز للقاضي أن يحلف الشهود والمدعي ولو أقام البينة إذا شك في أمرهم قال ابن رجب الحنبلي: أن الإمام أحمد سئل عن هذه المسألة فقال أحمد: قد فعله علي فقال له السائل: أيستقيم هذا؟ فقال قد فعله علي»[1].

كما ذهب إلى ذلك ابن أبي ليلى وابن القيم ومحمد بن بشير قاضي قرطبة[2] وقال ابن رجب: وقد دل القرآن على استحلاف الشهود عند الارتياب بشهادتهم في الوصية في السفر في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ـ إلى قوله: فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله﴾[3] وهذه الآية لم ينسخ العمل بها عند جمهور السلف[4].

النكول عن اليمين :

إذا لم يحلف المدعى عليه عندما يأمره القاضي، اعتبر نكوله هذا مثل الإعتراف والإقرار بدعوى المدعي، لأنه لو كان صادقا في إنكاره لما توقف على اليمين الواجبة عليه، والمسلم السوي صاحب العقل والدين لا يمتنع عن أداء الواجب، وهذا ما ذهب إليه الأحناف، والحنابلة على تفصيل عندهم فيما يقبل فيه من الحقوق وفيما لا يقبل.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٩٩.
(٢) فقه السنة ٣/٤٦٠.
(٣) المائدة: ١٠٦.
(٤) جامع العلوم والحكم ٢٩٩.

أيمان المدعي عليه :

اليمين حجة المدعى عليه إذا لم يقم المدعي البينة، وإذا حلف برىء بها من دعوى المدعي، قال ﷺ: «واليمين على المدعى عليه» وفي رواية مسلم «أو يمينه» والحكمة في كون اليمين على المدعى عليه، لأنها أقل قوة من البينة، كما أنه لا يدعي أمرا خفيا، وإنما هو يتمسك بالبراءة الأصلية.

يحلف كلّ مدعي عليه إذا توجهت عليه اليمين دون تفريق بين مدعي عليه وآخر، وهذا ما ذهب إليه أحمد والشافعي وأبو حنيفة وحجتهم عموم الأحاديث الواردة في تحليف المدعى عليه. وأن يحلف القاضي المدعى عليه بالله عز وجل ولا يحل تحليفه بغير ذلك قال ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[1].

يستحب للقاضي أن يعظ من عليه الأيمان، ويحذره من عاقبة الأيمان الكاذبة، ويذكره بقوله جل وعلا: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾[2] وبقوله ﷺ: «من حلف على يمين صبر[3] ليقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»[4].

قوله ﷺ «واليمين على من أنكر» فهذا ليس على الإطلاق فيستثنى منها:

١ ــ في اللعان يقسم الزوج المدعي.

٢ ــ كذلك يقسم لو ادعى أنه وطىء في مدة الإيلاء.

٣ ــ تارك الصلاة إذا قال صليت في البيت.

٤ ــ في القسامة فإن الأيمان تكون على المدعي مع اللوث[5].

---

(١) البخاري كتاب الأدب ٩٧/٧ وشرح مسلم كتاب الأيمان ١٨٦/٤.

(٢) آل عمران: ٧٧.

(٣) صبر/ هي التي يلزم بها ويحبس عليها ويترتب عليها حكمها/ كذا في الوافي في شرح الأربعين.

(٤) البخاري كتاب التفسير آل عمران ١٦٦/٥ وشرح مسلم كتاب الأيمان ٣٤٣/١.

(٥) في حديث القسامة ذكرُ اللوثِ، وهو أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول، قبل أن يموت، =

ثواب القاضي :

يجب على القاضي أن يبذل جهده ووسعه في تحري الحق والعدل، فإن أصاب الحق في حكمه كان له أجران، وإن أخطأ له أجر واحد، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»(١).

الجور في الحكم من الكبائر :

يجب على من يقدم نفسه للقضاء أن يكون ذا علم في الحلال والحرام وأمور القضاء، ويحسن الرجوع إلى مصادر الشريعة عندما تعرض عليه مشكلة، فلا يحل للجاهل أن يقحم نفسه في ميدان القضاء، لأنه قد يكون سببا في إضاعة حقوق الناس وهدر دمائهم دون وجه حق.

كما يجب على القاضي أن يراقب الله في حكمه، وأن يحكم بالحق والعدل، فإن الجور في هذا المقام من الكبائر الموجبة سقر، قال ﷺ «القضاة ثلاثة اثنان في النار، وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار»(٢).

= أن فلاناً تتلني أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما، أو تهديد منه له، أو نحو ذلك وهو من التلوث التلطخ يقال لانه في التراب ولوثه. كذا في لسان العرب ٤/ ١٨٥.

(١) البخاري كتاب الإعتصام ١٥٧/٨ وشرح مسلم كتاب الأقضية ٤/ ٣١٠.

(٢) صحيح انظر صحيح الجامع للألباني ٤٣٢٢ والإرواء ٢٦٠٣.

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بيدِهِ فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِع فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمانِ»[1]

منزلة الحديث:

هذا الحديث عظيم الشأن، لأنه نص على وجوب إنكار المنكر، وهذا كما قال النووي: باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث، عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعذاب ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[2] فينبغي لطالب الآخرة الساعي في تحصيل رضى الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم»[3].

سبب إيراد أبي سعيد للحديث:

عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان[4] فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة فقال: قد ترك ما هنالك[5]

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان / شرح مسلم ١/٢٢٤.
(٢) سورة النور: ٦٣.
(٣) شرح مسلم ١/٢٢٦.
(٤) مروان بن الحكم بن أبي العاص، خليفة أموي توفي في الشام ٦٥ هجرية.
(٥) أي ترك ما كنت تعلمه من تقديم الصلاة على الخطبة / الوافي شرح الأربعين.

فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه[1] سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثم ذكر الحديث.

وفي رواية البخاري أن الذي أنكر على مروان أبو سعيد رضي الله عنه.
فقال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجبذته بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له غيرتم والله فقال: أبا سعيد، قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[2] والجمع بين الروايتين فيحتمل أن الرجل أنكر بلسانه وحاول أبو سعيد أن ينكر بيده ويحتمل تعدد الواقعة قال النووي: فيحتمل إنهما قصتان أحداهما لأبي سعيد والأخرى للرجل بحضرة أبي سعيد»[3].

وقال الحافظ: يحتمل أن تكون القصة تعددت، ويدل على ذلك المغايرة الواقعة بين روايتي عياض ورجاء ففي رواية عياض أن المنبر بني بالمصلى، وفي رواية رجاء أن مروان أخرج المنبر معه، فلعل مروان لما أنكروا عليه إخراج المنبر، ترك إخراجه بعد، وأمر ببنائه من لبن وطين بالمصلى، ولا بعد في أن ينكر عليه تقديم الخطبة على الصلاة مرة بعد أخرى، ويدل على التغاير أيضا أن إنكار أبي سعيد، وقع بينه وبينه وإنكار الآخر وقع على رؤوس الناس»[4].

---

(١) يعني أدى الواجب الذي عليه من النكير على مخالفي سنة رسول الله ﷺ.
(٢) الفتح: ٣ ـ ١٠٢.
(٣) شرح مسلم ١/٢٢٥.
(٤) الفتح ١٠٢/٣.

حكم إنكار المنكر :

إنكار المنكر باليد واللسان له حالتان :

١ ــ فرض كفاية:

قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[1] وأولئك هم المفلحون﴾[2].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن»أ. هـ[3].

وقال ابن العربي في تفسيره لهذه الآية: في هذه الآية والتي بعدها ـ يعني «كنتم خير أمة أخرجت للناس. . .»

دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة الدين بإقامة الحجة على المخالفين أ. هـ[4].

فيجب على إمام المسلمين أن يفرغ مجموعة من الناس، ممن لديهم الكفاءة والإستعداد لهذه المهمة، وذلك أن هناك من المنكر لا يقوى على تغير إلا فئة معينة من الناس لديها من العلم والفهم والحكمة في معالجته، مثل الرد على الفرق الباطنية وفضحها وابطال معتقداتها، كذلك بيان ما يستجد من الأمور المحظورة وخاصة في المعاملات، فإذا قامت هذه الهيئة بواجبها سقط عن الباقين.

---

(١) المنكر من الأمر: خلاف المعروف، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه، فهو منكر. كذا في لسان العرب ٥/٢٣٣ كذلك ترك ما أوجب الله علينا منكر.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٧٥.

(٤) أحكام القرآن ١/٢٩٢.

٢ ـ فرض عين :

قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه» دل عموم هذا الحديث على وجوب إنكار المنكر على كل فرد مستطيع علم بالمنكر أو رآه.

قال القاضي ابن العربي: وقد يكون فرض عين إذا عرف المرء من نفسه صلاحية النظر والإستقلال بالجدال، أو عرف ذلك منه أ. هـ[١].

وقال ابن كثير «وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره...» ثم ساق الحديث[٢].

وقال النووي: ثم إنه قد يتعين - يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في معروف[٣].

تفاوت مسئولية الناس في إنكار المنكر :

تقدم أن الله عز وجل أوجب علينا جميعا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب القدرة، ولكن مما ينبغي التنبيه عليه أن الناس يتفاوتون في هذا الواجب، فالمسلم العامي عليه القيام بهذا الواجب حسب قدرته وطاقته، فيأمر أهله وأبناءه ما يعلم من أمور الدين التي يسمعها على المنابر وفي دروس الوعظ.

---

(١) أحكام القرآن ١/٢٩٢.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٧٥.
(٣) شرح مسلم للنووي ١/٢٢٥.

والعلماء عليهم من الواجب ما ليس على عيرهم، وذلك أنهم ورثة الأنبياء فإذا تساهلوا بهذه المهمة دخل النقص على الأمة، كما حدث لبني إسرائيل .

وأما واجب الحكام في هذه المهمة فعظيم، لأن بيدهم الشوكة والسلطان والتي يرتدع بها السواد الأعظم من الناس عن المنكر، لأن الذين يتأثرون بالوعظ قلة .

وتقصير الحكام بهذه المهمة طامة كبرى، حيث بسبب ذلك يفشوا المنكر ويجترىء أهل الباطل والفسوق بباطلهم على أهل الحق والصلاح .

إنكار المنكر بالقلب :

قوله ﷺ : «فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»

إنكار المنكر باليد واللسان سواء كان فرضا عينيا أو فرض كفاية يكون على حسب القدرة والاستطاعة، أما إنكار المنكر بالقلب فمن الفروض العينية التي لا تسقط مهما كانت الحال، فالقلب الذي لا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر قلب خرب خاوي من الإيمان، سمع ابن مسعود رجلا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فقال ابن مسعور: «هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر» يقصد رضي الله عنه معرفة المنكر والمعروف بالقلب واجب لا يسقط عن أحد، أما باللسان واليد وفق الإستطاعة والرضا بالمنكر من أقبح الذنوب والخطايا، ولا تبرأ ذمة العبد بالإنكار بالقلب حتى يعجز عن الأنكار باليد أو اللسان بسبب ضر يلحقه في بدنه أو ماله ولا طاقة له على تحمل ذلك .

وإنكار المنكر بالقلب قليل الثمرة، بعكس التغيير باليد أو اللسان فإنه عظيم الفائدة.

فهم خاطىء :

يخطىء كثير من المسلمين فهم هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم

أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[1] فيبررون عجزهم وتقصيرهم في إنكار المنكر بها، ولقد قوم الصديق - رضي الله عنه - فهم هؤلاء حيث قال: «يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها، «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم»

وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[2].

وقال النووي: المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: «إنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصر غيركم» مثل قوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[3]. وإذا كان كذلك: فمما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل، لكونه أدى ما عليه فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول والله أعلم[4].

إنكار المنكر الظاهر المعلوم :

قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا»
يدل الحديث أن المنكر الذي أمرنا بإنكاره ما كان معلوما ظاهرا، وليس للآمر البحث والتفتيش والتجسس وتسور جدران البيوت واقتحامها بحجة البحث عن المنكر، لذلك أنكر العلماء مثل هذا مثل سفيان الثوري وغيره.

إنكار المنكر المجمع عليه :

المنكر الذي يجب علينا إزالته ما كان مجمع عليه بين المسلمين على أنه منكر، مثل الربا والزنا وشرب الخمر والتبرج وترك الصلاة وغيرها.

---

(١) المائدة: ١٠٥.
(٢) رواه أبو داود انظر صحيح الجامع ١٩٦٩.
(٣) الأنعام/ ١٦٤.
(٤) الوافي في شرح الأربعين النووية ص٢٥٧.

أما الأمور التي اختلف العلماء في حرمتها أو وجوبها فإن كان الخلاف فيها ضعيف والحجة من قال بالحرمة، فإن مثل هذا ينكر على فاعله .

وإن كان الخلاف قويا والترجيح صعب لا يقوى عليه إلا الجهابذة من العلماء فمثل هذا ـ والله أعلم ـ لا ينكر على فاعله.

دوافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوافع كثيرة منها :

١ ـ كسب الثواب والأجر وذلك أن من دل الناس على المعروف وقاموا به يكون له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[١].

٢ ـ خشية عقاب الله وذلك أن المنكر إذا فشا في أمة تكون بذلك مهددة بنزول عقاب الله عليها، قال ﷺ : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه »[٢] .

٣ ـ الغضب لله من خصال الإيمان الواجبة، وسبق ذكر غضب رسول الله ﷺ لله أثناء شرح الحديث السادس عشر.

٤ ـ النصح للمؤمنين والرحمة بهم ورجاء إنقاذهم
إذا وقع العبد في المنكر يكون بذلك عرض نفسه لعقاب الله وغضبه، لذلك وجب على المسلم أن ينقذ أخاه من عقاب الله وغضبه، وذلك بنهيه عن المنكر الذي وقع فيه، وهذا من أعظم الرحمة به، قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٣].

---

(١) شرح مسلم كتاب الإمارة ٤/٥٥٧.
(٢) رواه أبو داود والترمذي انظر صحيح الجامع ١٩٦٩ .
(٣) انظر صحيح الجامع ٣٥١٦.

٥ ـ إجلال الله وإعظامه ومحبته :

الله عز وجل أهل التقوى وأهل أن يطاع ويعظم وذلك بإقامة أوامره بين العباد والنهي من الوقوع في حدوده لأن الواقع في المنكر مجترىء على ربه عز وجل، فيجب على المسلمين أن يفدوا الله بالغالي والنفيس لإقامة أمره في الناس، كما فعل رسول الله ﷺ فقد أذي في سبيل الله ولم يؤذ أحد مثل أذاه، وهكذا ضحى أنبياء الله السابقين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1].

مراعاة الحكمة بإنكار المنكر والأمر بالمعروف :

قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[2] ومن الحكمة مراعاة حال المأمور ففي بعض الأحيان لابد من اللين والمداراة والرفق، كما قال تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾[3] وفي بعض الأحيان لابد من الغلظة والقسوة، كما قال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[4] وقال: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾[5].

لذلك يجب على من يتصدى لهذه المهمة أن يلم بصفات معينة، كما قال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال «رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر وعدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى».

---

(١) البخاي كتاب الأنبياء ٤/١٤٨ وشرح مسلم كتاب الجهاد ٤/٤٣٤ واللفظ للبخاري.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) طه: ٣٣ ـ ٤٤.

(٤) التوبة: ٧٣.

(٥) الحجر: ٩٤.

وقال أحمد: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد أن ينتصر لنفسه.

وقال أحمد كذلك: الناس محتاجون إلى مداراة ورفق، والأمر بالمعروف بلا غلظة، إلا رجل معلن بالفسق، فلا حرمة له[1].

كذلك مما ينبغي مراعاته أن يكون الأمر أو الإنكار بانفراد وبالسر لأن هذا يؤدي لقبول النصيحة، قال الإمام الشافعي: ومن وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وعابه[2].

أن يكون الآمر قدوة للآخرين:

حتى يوفق الآمر في مهمته يجب عليه أن يكون قدوة للآخرين، فإذا أمر بالمعروف كان أول الممتثلين له وإذا نهى عن منكر كان من أبعد الناس عنه، لأن الله يمقت الآمر الذي يقع بما ينكر به على الآخرين، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[3].

ولكن هذا لا يعني أن من كان مقصراً في امتثاله لأوامر الله أن يدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الله أنكر عليهم مخالفة قولهم لفعلهم ولم ينكر عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال النووي: قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما نهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مخلا بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبسا بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟[4].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٠٧.
(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٧/١٠.
(٣) الصف: ٢ ـ ٣.
(٤) شرح مسلم ٢٢٥/١.

خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذا قصر المسلمون حكاما ومحكومين بهذه المهمة، شاعت الفاحشة وعمت الرذيلة، وتسلط الفجار على الأخيار، ويصبح الحق باطلا والباطل حقا، وبهذا تعرض الأمة نفسها إلى:

١ ـ الطرد من رحمة الله كما طرد الله أهل الكتاب من رحمته عندما تركوا هذه المهمة قال تعالى: ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾[١].

٢ ـ الهلاك في الدنيا قال ﷺ:
«مثل القائم[٢] على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا[٣] على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[٤].

٣ ـ عدم استجابة الدعاء
عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»[٥].

---

(١) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) قال النووي: المنكر لها القائم في دفعها وإزالتها كذا في رياض الصالحين ص١٠١ ومعنى الحدود: ما نهى الله عنه.
(٣) استهموا: أي اقترعوا.
(٤) رواه البخاري كتاب الشركة ٣/١١١.
(٥) انظر صحيح الجامع ٦٩٤٧.

فوائد من الحديث :

١ ـ يدل الحديث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان، لذلك أخرج مسلم هذا الحديث في كتاب الأيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

٢ ـ من قدر على خصلة من خصاله وقام بها كان خيرا ممن تركها عجزاً وإن كان معذورا في ذلك، فالمرأة مثلا معذورة في ترك الصلاة أثناء الحيض ومع ذلك عَدَّ رسول الله ﷺ ذلك نقصانا في دينها.

٣ ـ من خاف على نفسه الضرب أو القتل أو خاف على ماله الضياع سقط عنه التغير باليد واللسان.

٤ ـ كما فيه أن الصلاة قبل الخطبة يوم العيد، وهذا ما عليه سلف الأمة.

٥ ـ في الحديث دلالة على جهاد الحكام باليد، مثل ما فعل أبو سعيد رضي الله عنه، مثل أن يريق خمورهم ويكسر آلات اللهو التي لهم، أما الخروج عليهم بالسيف فهذا لا يجوز لثبوت الأحاديث الناهية عن ذلك.

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي هُـرَيرَةَ رَضِيَ الله عَنْـهُ قالَ: قـالَ رسولُ الله ﷺ «لا تَحـاسَدُوا، وَلا تناجَشُـوا، ولاَ تبـاغَضُـوا، ولا تَـدابَـرُوا ولا يَبِـعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكونُـوا عِبادَ الله إخـواناً، المُسْلِمُ أَخُـو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ. التَّقْوى هَهُنـا ـ وَيُشيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ـ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّـرِ أَنْ يَحْقِرَ أخـاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمَ عَلَى المُسْلِمِ حَرامٌ: دَمُهُ ومالُهُ وَعِرضُهُ»[1].

منزلة الحديث:

الحديث ذو نفع عظيم وفوائد كثيرة، أمر بالأخوة ووضع بعض أسسها، وحـذر مما يقضي عليهـا من حسد وخـداع وتباغض وتـدابر واحتقـار الآخرين وغيرها من الآفات، التي تقضي على الأخوة والمحبة.

كـما دل على حـرمة مـال وعرض ونفس المسلم، وهـذه الثلاثـة لا يقوم مجتمع آمن إلا بحفظها.

الحسد:

الحسـد تمني زوال النعمة، مثـل أن يرى رجـل لأخيه نعمـة أو فضل، فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دون أخيه.

---

(١) رواه مسلم كتاب البر والصدقة باب تحريم الظن والتجسس ٥/٤٢٨.

وهذا مرض عظيم نادر أن يسلم منه عبد، وذلك أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد في شيء، فيجب على المسلم أن يسعى لتزكية نفسه من هذا الداء الخبيث.

والحسد حرام وذلك لقوله ﷺ «ولا تحاسدوا» والحكمة في تحريمه لأنه اعتراض على الله عز وجل، فلسان حال الحاسد يقول كيف تنعم يارب على فلان بجاه أو مال أو نعمة ولم تنعم علي؟ لذلك أنشد بعضهم:

ألا قل لم ظل لي حاسدا　　أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه　　لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني　　وسد عليك وجوه الطلب

وقال القرطبي لأن فيه تسفيه الحق سبحانه، وأنه أنعم على من لا يستحق»[2].

والحساد أضراب:

١ ــ فمن الحساد من يسعى لزوال النعمة من المحسود، وذلك بالبغي عليه بالقول أو الفعل، ثم يسعى لنقل ذلك لنفسه.

٢ ــ ومنهم من يسعى لزوال النعمة من المحسود بقوله وفعله من غير نقلها إلى نفسه، وهذا من أخبثها.

٣ ــ ومنهم إذا حسد أخاه لم يعمل بمقتضى حسده ولم يبغ على المحسود بقول أو فعل، وهذا له حالتان.

أ ــ أن يكون مغلوبا على أمره في هذا الداء، وهذا لا يأثم.

ب ــ أن يحدث نفسه بالحسد اختيارات ويكون مستروحاً بذلك، دون أن يحاسب نفسه ويأنبها على ذلك، وهل يعاقب على ذلك؟

---

(١) تفسير القرطبي ٧١/٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢٥١/٥.

فيه خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يرى أنه يأثم، ومنهم من لا يرى ذلك.

٤ ــ وبعضهم إذا وجد في نفسه الحسد، اجتهد على إزالته وأحسن للمحسود بإظهار فضائله أمام الآخرين ودعا له في ظهر الغيب، فهذا فعل محمود وهو دلالة على الإيمان.

الحسد خلق أهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾[1].

فأهل الكتاب من يهود ونصارى يتمنون أن نرتد عن إسلامنا مع علمهم بأنه الدين الحق، ويثيرون الشبهات الواهية لصد الناس عن منهج الله ويؤلبون سلاطين الأرض على النيل من دعاة الإسلام في مختلف أقطار المسلمين، والسبب في ذلك الحسد الذي تغلغل في سويداء قلوبهم المريضة.

وقال تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله﴾[2].

والمقصود بهم اليهود، حسدوا رسول الله ﷺ على ما من عليه من الرسالة وغيرها، وحسدوا أصحابه على الإيمان به.

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به[3].

ولازال أبناء القردة والخنازير وأذنابهم يسعون بالصد عن منهج الله بقولهم وبفعلهم، وذلك بسبب الحسد الذي سود قلوبهم فأعماها عن الحق.

---

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) تفسير القرطبي ٥/٢٥١.

الحسد يقضي على أقوى الروابط :

حسد أبناء يعقوب أخاهم يوسف عليه السلام، وكانوا سببا فيما تعرض إليه من محن ومصائب. فألقوه في غيابة الجب وعرضوه للرق ثم السجن، والسبب في ذلك حسدوه على محبة يعقوب له، قال تعالى: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبه إن أبانا لفي ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين. قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾[1].

كما أخبرنا سبحانه، بأن الأخ قتل أخاه، والسبب في ذلك الحسد، كيف يتقبل الله منه قربانا ولم يتقبل منه؟

قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمات :

يقول تعالى: مبينا وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه - في قول الجمهور - وهما هابيل وقابيل كيف عدا أحدهما على الآخر، فقتله بغيا عليه وحسدا له، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿واتل عليهم

---

(١) يوسف: ٨ - ١٠.

(٢) المائدة: ٢٧ - ٣٠.

نبأ ابني آدم بالحق﴾ أي: واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة، إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم ـ خبر ابني آدم، وهما هابيل وقابيل فيما ذكر غير واحد من السلف والخلف.

وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، إن الله تعالى كان قد شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكن (قالوا) كان يولد له في كل بطن ذكر وانثى، فكان يزوج اثنى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دميمة، واخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على اخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قربانا، فمن تقبل منه فهي له، فقربا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، فكان من أمرهما ما قص الله في كتابه[1].

هذه عاقبة الحسد عندما يتغلغل في القلوب يؤدي إلى تمزيق أقوى الروابط بين البشر، لذلك حذر رسول الله ﷺ أمته من هذه الداء الخبيث لأنه يفرق الجمع، وينشر الشحناء والبغضاء بين الأمة، وهذا يؤدي إلى التفرق والشتات والضعف والإنهيار. لذلك قالوا أول ذنب عصى الله به في الأرض الحسد حين حسد قابيل على أخيه هابيل.

الحسد صد إبليس عن الإيمان بالله عز وجل، فهو حسد آدم عليه السلام على ما أنعم الله ـ عز وجل ـ عليه وسعى لإزالة هذه النعمة منه ، ووصل إلى مراده وتسبب في شقاء ذريته عليه لعنة الله إلى يوم الدين .

قال تعالى: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين، قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ٣ ص ٧٥.

لعنتي إلى يوم الدين﴾[1].

لذلك قالوا: الحسد أول ذنب عصى الله به في السماء وذلك حين حسد إبليس آدم عليه السلام.

فضل من زكت نفسه من الحسد

عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال:

يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو، فقال: إني لاحيت[2] أبي، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم ـ قال أنس ـ فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى صلاة الفجر، قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك، فأقتدي بك فلم أرك عملت كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال: «ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبدالله هذه التي بلغت

---

(١) ص: ٧٠/٧٨.

(٢) جادلته وخاصمته قال ذلك، رجاء أن يقبله ذلك الرجل الصالح لينظر إلى فعله.

بك»[1]

ففي الحديث دلالة على فضل من زكت نفسه من الحسد، وهذا السبب في تبشير رسول الله ﷺ هذا الصحابي الجليل بالجنة.

الحسد المحمود:

أن يتمنى المسلم ما من الله به على أخيه من نعمة من غير تمني زوالها عنه، وهذا يعرف بالغبطة، ولعله يندرج تحت باب المنافسة، قال تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[2] وهذا النوع من الحسد مشروع قال ﷺ لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[3].

النجش:

قوله ﷺ: «ولا تناجشوا» ذهب جمع من أهل العلم إلى تفسيره بالنجش في البيع، وهو أن تعرض السلعة في السوق فيزيد في سعرها من لا يريد شراءها، وإنما قصد بذلك نفع البائع، وضر المشتري بزيادة الثمن وهذا حرام ثبت في الصحيحين «أنه نهى عن النجش» وقال ابن أبي أوفى: الناجش اكل ربا خائن، وقال ابن عبد البر: أجمعوا عل أن فاعله عاص لله واختلفوا في حكم البيع، فمنهم من قال بفساده، ومنهم من قال بصحة البيع وهذا ما عليه أكثر الفقهاء، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في رواية عنه.

- ومن الفقهاء من فسر النجش بأعم من ذلك، لأن أصل النجش إثارة الشيء بالمكر والحيلة والمخادعة، ولهذا سمى الناجش في البيع بهذا، وكما يسمى الصياد باللغة ناجشا لأنه يصيد بحيلة وخداع.

---

(١) رواه أحمد على شرط الشيخين، كما قال المنذري والنسائي وحسنه الألباني في الترغيب.

(٢) المطففين: ٢٦.

(٣) البخاري كتاب التوحيد ٢٠٩/٨.

فمعنى قوله عند هؤلاء «ولا تناجشوا» أي لا تخدعوا بعضكم ولا يختل بعضكم بعضا بالمكر والاحتيال، وهذا الفهم تشهد له نصوص أخرى منها قوله «من غشنا فليس منا»[1] وقوله عز وجل: **﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾**[2].

فمن مكر بإخوانه فعاقبة مكره وخداعه سوف تنزل به ومما قيل قديما: «من حفر لأخيه حفرة وقع فيها». وقال القرطبي معقبا على هذه الآية: وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بهذه الأخلاق الذميمة[3].

ولكن مما ينبغي التنبيه عليه أن المكر والخداع في الكفار المخادعين لله ولرسوله وللمؤمنين يجوز ولا حرج على المؤمنين في ذلك ويشهد لذلك قوله عليه السلام «الحرب خدعة».

البغضاء:

قوله ﷺ: «ولاتباغضوا» نهينا أن نقع بأسباب التباغض، لأنه نقيض الحب الذي أمرنا الإسلام به وهو لغير الله عز وجل يكون حراماً.

- حرم الإسلام كل ما يفضي إلى البغضاء، قال تعالى: **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون﴾**[4] وفي الآية دليل على أن كل ما ينشر البغضاء بين المسلمين حرام، كما حرم الغيبة والنميمة والظلم والغش، لأن كل هذا يعكر صفو الأخوة وينشر الشحناء والبغضاء بين المسلمين، وأمر بكل ما يفضي إلى المحبة، بل رخص في الكذب عند الإصلاح بين الناس.

---

(١) شرح مسلم كتاب الإيمان ١/٢٩٩.
(٢) فاطر/ ٤٣.
(٣) تفسير القرطبي ١٤/٣٦٠.
(٤) المائدة: ٩١.

انتشار المحبة والألفة بين المسلمين نعمة عظيمة، لذلك ذكر الله رسوله والمؤمنين بهذه النعمة، حتى يقوموا بشكرها ويستقيموا عليها قال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾[1] وقال: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾[2].

البغض في الله لا يدخل في النهي الوارد في الحديث، لأنه من أوثق عرى الإيمان. أن يبغض المؤمن أعداء الله ورسوله المحادين لدينه، وأن يبغض الظلمه والفسقه على قدر فسوقهم وظلمهم، قال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[3].

التدابر :

قوله ﷺ: «ولا تدابروا» قال أبو عبيدة التدابر المصارمة والهجران مأخوذ من أن يولي الرجل صاحبه دبره ويعرض عنه بوجهه وهو التقاطع»[4] والتدابر من أجل الدنيا واتباع حظوظ النفس والهوى لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، قال ﷺ «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[5] .

أما الهجران من أجل الدين فيجوز أكثر من ثلاثة أيام، نص عليه الأمام أحمد رحمه الله، والحجة في ذلك قصة الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع العمري.

وهجر رسول الله ﷺ نساءه شهرا، وذكر الخطابي أن هجران الوالد

---

(١) آل عمران: ١٠٣ .
(٢) الأنفال: ٦٢ - ٦٣.
(٣) انظر صحيح الجامع ٥٨٤١.
(٤) جامع العلوم والحكم ٣١٢.
(٥) رواه البخاري كتاب الأدب ٩٠/٧ وشرح مسلم كتاب البر والصدقة ٤٢٥/٥ .

لولده والزوج لزوجته وما كان في معنى ذلك تأديباً تجوز الزيادة فيه على الثلاثة أيام.

البيع على البيع :

قوله ﷺ: «ولا يبع بعضكم على بيع بعض» قال النووي في شرحه للحديث، أن يبيع أحد الناس سلعة من السلع بشرط الخيار للمشتري، فيجيء آخر يعرض على هذا أن يفسخ العقد ليبيعه مثل ما اشتراه بثمن أقل. وصورة الشراء على شراء الآخر أن يكون الخيار للبائع، فيعرض عليه بعض الناس فسخ العقد على أن يشتري منه ما باعه بثمن أعلى، وهذا الصنيع في حالة البيع أو الشراء صنيع آثم، منهي عنه ولكن لو أقدم عليه بعض الناس وباع أو اشترى ينعقد البيع والشراء عند الشافعية وأبي حنيفة وآخرين من الفقهاء[1].

والنهي هنا على الصحيح للتحريم وليس للتنزيه، والحكمة في التحريم لوجود الإضرار والإيذاء، ولما يؤدي ذلك لنشر البغضاء والشحناء بين المسلمين.

الأخـــوة :

قوله ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانا» يأمرنا رسول الله ﷺ بأن نكون أخوة متحابين، وعبيد لله مجتنبين ما نهانا الله عنه من حسد وتباغض وتدابر وبيع على بعضنا البعض، ممتثلين ما أمرنا به من الأخذ بالأسباب التي توثق عرى الأخوة والمحبة، من تزاور وتهادي وإفشاء السلام والقيام بأداء حقوق بعضها البعض.

---

(١) فقه السنة لسيد سابق ٣/٧٢.

حقوق أخوة الإسلام :

قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره» يبين لنا رسول الله ﷺ أهم حقوق أخوة الإسلام:

١ ـ يحرم على المسلم أن يظلم أخاه بأي نوع من الظلم سواء بيده أو ماله أو عرضه وسبق الكلام عن حرمة الظلم أثناء شرح الحديث الرابع والعشرون.

٢ ـ يحرم على المسلم أن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته قال تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾(١) وقال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذ فوق يديه»(٢).

٣ ـ الصدق مع المسلم في الحديث لأن الصدق شعار المتقين، وهو طريق البر وهو يهدي إلى دار السلام، فلا يحل للمسلم أن يحدث أخاه حديثا هو مصدق له وهو كاذب عليه.

٤ ـ لا يحل للمسلم أن يحتقر أخاه فيقلل من شأنه لأن المسلم له قيمة عند الله مهما كان أصله أو وضعه المادي، واحتقار المسلم ذنب عظيم، قال ﷺ «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٣) واحتقار المسلمين علامة المتكبر المذموم عند الله ورسوله، قال ﷺ «الكبر بطر الحق وغمط الناس»(٤).

---

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) رواه البخاري كتاب المظالم ٩٨/٣.

(٣) شرح مسلم كتاب البر والصدقة ٤٢٨/٥.

(٤) شرح مسلم كتاب الإيمان ٢٨٢/١.

التقـوى :

التقوى اجتناب غضب الله وعقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهو الميزان الذي يتفاضل به الناس عند الله تعالى قـال تعالى: **﴿إن أكـرمكم عند الله أتقاكم﴾**[1] ومقر التقوى القلب قال تعالى: **﴿ومن يعظم شعـائر الله فـإنها من تقـوى القلوب﴾**[2] وقـال ﷺ: «إن الله لا ينـظر إلى أجسـامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[3] وإذا كـان مقر التقـوى القلب فلا يطلع على حقيقتها إلا علام الغيوب قال تعالى: **﴿هو أعلم بمن اتقى﴾**[4].

حرمة المسلم :

جعل الإسلام لـدماء المسلمين وأعراضهم وأمـوالهم حرمـة، ووضع من التشريعات ما يضمن لهم هذه الحقوق الأساسية لقيام المجتمع الآمن، لـذلك كثيرا ما يكرر وعظه بحرمة الدم والمال والعرض في المجامع العامـة العظيمـة، وذلك لأهميتها خـطب بها في يـوم عرفـه، ويوم النحـر، واليوم الثـاني من أيام التشريق.

فوائد من الحديث :

١ ــ فيه الإشارة إلى عظم القلب لأنه منبع خوف الله وخشيته.

٢ ــ التقوى والنية الصالحة هو المقياس الذي يزن الله بـه عباده ويحكم عليهم بمقتضاه.

٣ ــ الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملة.

٤ ــ الإسـلام يحارب الأخـلاق الذميمـة وذلـك لأثـرهـا السيء عـلى المجتمـع الإسلامي.

---

(١) الحجرات : ١٣.

(٢) الحج : ٣٢.

(٣) شرح مسلم كتاب البر ٥/٤٢٨.

(٤) النجم: ٣٢.

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرةَ رضي الله عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمنٍ كربة مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليهِ في الدُّنْيا والآخرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَه الله في الدنيا والآخرةِ، والله في عَوْنِ العَبْدِ ما كان العبدُ في عَوْنِ أخيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيهِ عِلْماً سَهَّلَ الله بِهِ طريقاً إلى الجَنَّةِ، وما اجتمعَ قومٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ الله يَتْلونَ كتابَ الله ويتدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلتْ عَلَيهِم السَّكينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحمةُ، وَحَفَّتهُمُ، الملائِكةُ وَذَكَرَهُم الله فيمنِ عْندَهُ، وَمَن بطأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1].

منزلة الحديث:

قال النووي: وهو حديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والأدب[2] أ. هـ فرغب بأداء حقوق أخوة الإسلام، وبطلب العلم، وبالاهتمام بدستور السماء، من حيث قراءته وفهمه، والعمل به، وتبليغه للناس.

---

(١) رواه مسلم انظر شرح مسلم كتاب الذكر/ ٥٥٠.

(٢) شرح مسلم.

فضل تنفيس الكرب :

قول ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه، كربة من كرب يوم القيامة».

نفس ورواية الصحيحين «فرج» والمعنى: أزالها وخففها عنه، مأخوذ من تنفيس خناق الثوب وإرخاؤه، حتى يأخذ نفسا، والتفريج أعظم من ذلك وهو أن يزيل كربه، فتفرج عنه كربته، ويزول همه وغمه.

والكربة: هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾[1] يرى ابن جرير أن المراد في الآية المكابدة في الأمور ومشاقها[2]أ. هـ فالإنسان يتعرض في هذه الحياة لما يهمه ويغمه ويحزنه في بدنه وولده وأهله وماله ودينه، فينبغي على إخوانه في العقيدة، أن يسعوا لتخليصه من هذا، وتخفيف آلامه وأحزانه قدر المستطاع، وقد يظلم المسلم، والظلم من شيم نفوس البشر كما قال المتنبي: «والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم».

وهنا لا يحل تركه مع الاستطاعة في الظلم، قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل: أفرأيت إذا كان ظالما، كيف أنصره؟ قال: تحجزه، أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»[3] .

وقد يظلم المسلم بسبب تمسكه بدينه، ويلاقي ما يهمه ويغمه من البلاء، ما لا تتحمله الجبال الرواس من طغاة وعتاة وجبابرة الأرض الخاسرين، وهنا علينا تنفيس كربته بأنفسنا وأموالنا وألستنا وأقلامنا، قال تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾[4].

---

(١) البلد.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٤٢٦.

(٣) البخاري كتاب الإكراه باب ٧ جزء ٨ ص ٥٨ .

(٤) الأنفال: ٧٢.

إن فعلنا ذلك، وسعينا في تفريج كرب المسلمين المعنوية والمادية، فيكون الجزاء من جنس العمل، كما يقولون، فسوف يحفظنا الله ويزيل عنا كرب يوم القيامة وأعظمها وأشدها يقول عز وجل: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاه عراة غرلا، قلت يا رسول الله: النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعضهم، قال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[2] ومعنى غرلا جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته، وهي الجلدة التي تقطع في الختان.

التيسير على المعسر:

قوله ﷺ: «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» المعسر: هو من كثرت ديونه وأثقلته، بحيث لا يستطيع سدادها. ويكون التيسير عليه، إما بإنظاره إلى ميسرة، حتى يخرج من عسره ويوسع الله عليه، قال تعالى: ﴿**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**﴾[3] وإما بالوضع عنه إن كان غريما، أو بإعطائه ما يزول به إعساره، ففي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «كان تاجرا يداين الناس، فإذا رأى معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز عنه[4].

وقال تعالى: ﴿**وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾[5] وقال ﷺ:

---

(١) الحج: ٢.
(٢) شرح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٧١٢/٥.
(٣) البقرة ٢٨٠ .
(٤) البخاري كتاب البيوع باب ١٨ جزء ١٠/٣ وشرح مسلم كتاب المساقاة ٦٩/٤.
(٥) البقرة: ٢٨٠.

«من انظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله»[1] مما لا شك فيه ولا ريب نحن مقبلون على يوم شديد هوله، عسير على من انحرف عن صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور، فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾[3] وأما من أمن به، وأدى حقوقه، وأدى حقوق عباد الله عليه، وأعانهم، ويسر عليهم يسر الله عليه أموره، وسهلها له، وكذلك سهل الله عليه كل عسر يوم القيامة، وأعانه وثبته، وهذا جزاء صنيعه في الدنيا مع إخوانه.

ستر عورات المسلمين:

قوله ﷺ: «ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة» الأصل أن المسلم السوي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا رأى عيباً أو تقصيرا في أخيه المسلم، أن يدعوا له بالاستقامة والصلاح، وأن ينصحه بالسر، فهذا أحرى لقبول النصيحة كما قال الشافعي:

تغمدني بنصحك في انفرادي وجنبي النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه[4]

لا أن يفرح ويسعد بزلة أخيه وسقطاته، ويجعل منها حديثا يتلذذ به في المجالس، فيفضح أخاه بذلك، ويخالف أمر ربه ورسوله،

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه،

---

(١) شرح مسلم كتاب الزهد ٨٥١/٥.
(٢) الفرقان: ٢٦.
(٣) المدثر ٨/١٠.
(٤) كتيب ديوان الإمام الشافعي ص ٥٦.

لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف رحله»[1].

فالحديث يدل على أن تتبع عورات المسلمين وفضحهم هذا يصدر من المنافقين وضعفاء الإيمان، الذين لم يتغلغل الإيمان إلى قلوبهم ؛ ولكن مما ينبغي أن يعلم هنا أن الناس في هذه القضية ضربان :

١ ـ من كان مستور الحال معروفاً بين الناس بطاعته وصلاحه، مثل هذا إذا وقعت منه هفوة أو زلة وجب على من رآه أن يستر عليه، وإفشاء حال مثل هذا، يقع تحت الغيبة، التي حرمها الله عز وجل، كما أن فيه إشاعة للفاحشة في الذين آمنوا، قال تعالى: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع[2] الفاحشة[3] في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**[4].

قال العلماء: المراد بإشاعة الفاحشة على المؤمن فيما وقع منه، أو اتهم به مما هو بريء منه[5].

٢ ـ من كان معروفا بمعاصيه، مجاهرا بها، لا يبالي منها، ولا بما قيل، مثل هذا الضرب من الناس لا غيبة له، بل لابد من بيان حاله للناس حتى يحذروا من شره، وإذا لم ينته، فلابد من رفع حاله لولاة الأمر لتأديبه، وتقويم سلوكه وذلك بإقامة الحد، أو التعزير.

---

(١) انظر صحيح الجامع ٧٨٦٢.
(٢) تشيع: تفشو وتنتشر.
(٣) الفاحشة: الفعل القبيح المفرط القبح.
(٤) النور: ١٩.
(٥) جامع العلوم والحكم ص ٣٢١.

ستر المسلم نفسه :

أما بالنسبة لفاعل المعصية نفسه فينبغي أن يستر على نفسه، وأن يتوب إلى ربه تبارك وتعالى، عن زيد بن أسلم: أن رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ بسوط، فأتى بسوط مكسور فقال: «فوق هذا» فأتى بسوط جديد، لم تقطع ثمرته فقال: «دون هذا» فأتى بسوط قد ركب به ولان، فأمر به رسول الله ﷺ فجلد، ثم قال: أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئا، فليستتر بستر الله، فإنه من يبدي لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله»[1].

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا فاقض فيَّ ما شئت فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت على نفسك»[2]

الترغيب بالتعاون بكل وجوه الخير :

قوله ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» التعاون على الخير يعطي المجتمع قوة وتماسك وصلابة، ولا يستطيع أحد أن يقهره، أو ينال منه، لذلك حث القرآن الكريم عليه قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[3] كما نهى عن التعاون على الشر، وفيما يغضب الله ورسوله، كما أن التعاون على البر من الصدقات قال ﷺ: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة»[4] كما

---

(١) الموطأ كتاب الحدود باب ٢ جزء ٢ ص ٨٢٥.
(٢) شرح مسلم كتاب التوبة ٦٠٧/٥.
(٣) المائدة: ٢.
(٤) رواه البخاري كتاب الجهاد ١٥/٤ وشرح مسلم كتاب الزكاة ٤٦/٣.

إن للتعاون من الأجر والثواب كما للصيام والصلاة وباقي العبادات، عن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فصام بعض وأفطر بعض، فتحزم المفطرون وعملوا في رواية: فضربوا الأبنية، وسقوا الرِّكاب، وضعف الصوام عن بعض العمل - قال: فقال في ذلك «ذهب المفطرون اليوم بالأجر»[1] والمراد بأن لهم أجر وثواب كما للصائمين.

الشفاعة لذوي الحاجات من التعاون:

قال تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾[2]

قال ابن كثير: من سعى في أمر فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك أ. هـ[3] وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض، فالشافع لأخيه إذا استجيبت شفاعته كان له أجران: أجر عن الخير الذي ساقه إلى أخيه، وأجر آخر هو مثل أجر المشفوع إليه في فعله من الخير.

عن أبي بردة بن أبي بردة قال: أخبرني جدي أبو بردة عن أبيه أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه» وكان النبي ﷺ جالسا إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال: إشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما يشاء»[4].

والمعنى إذا عرض الرجل حاجته علي فاشفعوا له إليَّ، فإن لكم ثواباً في ذلك، ويجري الله على لسان نبيه ما شاء من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها، فإن ذلك بقضاءه سبحانه وقدره.

---

(١) شرح مسلم كتاب الصيام ١٧٨/٣.

(٢) النساء: ٨٥.

(٣) ابن كثير ٣٢٤/٢.

(٤) البخاري كتاب الأدب ٨٠/٧.

قال الحافظ بن حجر: وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس، ولا التمكن منه ليلج عليه، أو يوضح له مراده، ليعرف حاله على وجهه، ولهذا فقد كان رسول الله ﷺ لا يحتجب.

الشفاعة المحرمة:

هي ما كان فيها تعد على حقوق الله أو عباده، فهذه شفاعة مذمومة، نهى الله عنها، ويكون للشافع وزر في ذلك الأمر الذي يترتب بسبب سعيه، قال تبارك وتعالى: ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾[1] ومنها كذلك الشفاعة بالحدود عندما تصل إلى الإمام، ويشهد لذلك حديث أسامة المشهور، عندما شفع للمرأة المخزومية التي سرقت، قال له ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله»[2] أما قبل انتهائها إلى الإمام فهي حسنة جميلة، كما قال ابن عبد البر.

أثر الحديث في حياة السلف:

الذي يطلع على سيرة سلف الأمة، يجد تعاليم الإسلام السامية ظاهرة وواضحة في فعلهم وقولهم، فهم قدوة صالحة لغيرهم، ربطوا العلم بالعمل، فاهتدى بسببهم خلق كثير إلى الإسلام، أما واقع الأمة اليوم إلا ما رحم ربك تحولت تعاليم السماء فيها إلى مداد على ورق، وكلام مسجل على أشرطة الكسيت، ومحاضرات وخطب أثرها في الواقع ضئيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) النساء: ٨٥.
(٢) البخاري كتاب الحدود باب ١٢ جزء ٨/١٦.

أخرج ابن سعد عن أنيسة قالت: كن جواري الحي يأتين بغنمهن إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيقول لهن: أتحبون أحلب لكن حلب ابن عفراء، وكان رجلا تاجرا فكان يغدو كل يوم السوق فيبيع ويبتاع وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما كُفيها فرعيت له وكان يحلب للحي أغنامهم، لما بويع له بالخلافة فقالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم وأني لأرجوا أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم[1].

عن الأوزاعي أن عمر خرج في سواد الليل، فرآه طلحة رضي الله عنه فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت وإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك، قالت إنه يتعاهدني، منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، فقال طلحة ثكلتك أمك. طلحة أعثرات عمر تتبع[2].

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: صحبت ابن عمر رضي الله عنه في السفر لأخدمه فكان يخدمني[3].

علم الدين الطريق الموصل إلى دار السلام:

قوله ﷺ: «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة» قد يكون المراد السلوك الحقيقي للطريق، وهو المشي بما هيأ الله لنا من وسائل إلى مجالس العلماء، وقد يكون سلوك الطريق المعنوي المؤدي لحصول العلم، مثل حفظه ومدارسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهم له ونحو ذلك من الطرق، أما قوله ﷺ: «سهل الله به طريقا إلى الجنة» قد يراد به تسهيل حصوله على العلم الذي هو طريق الجنة، أو يسهل له - إذا ابتغى به وجه

(١) حياة الصحابة ٣/١٦٨.
(٢) كتاب مناقب عمر لابن الجوزي ص ٦٨.
(٣) جامع العلوم والحكم ص ٣٢٢.

الله ـ الإنتفاع به والعمل بمقتضاه فيكون العلم سببا لهدايته ولدخوله الجنة، أو يسهل الله له طريق الجنة يوم القيامة، من اجتياز الصراط، وما بعده من الأهوال، وما قبله، والله أعلم. فالعلم النافع هو طريق معرفة الله عز وجل، والوصول إلى رضوانه والفوز بقربه، قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1].

أفضل العلم :

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة	إلا الحديث وعلم الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا	وما سوى ذاك وسواس الشياطين[2]

وقال رحمه الله كذلك :

إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيراً حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل[3]

قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[4].

فالواجب على طالب العلم تجاه كتاب الله الآتي :

١ ـ أن يجتهد على إتقان قراءته على أيدي العلماء حتى لا يقع باللحن وحتى يراعي قواعد التجويد أثناء قراءته.

٢ ـ أن يحفظ ما يستطيع منه، فإن لحفظ كتاب الله منزلة عظيمة عند الله.

٣ ـ أن يبذل ما في وسعه لفهم معانيه وأن يهتدي بذلك بطريق سلف الأمة.

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) ديوان الشافعي ص ٨٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المائدة: ١٦.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: كعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا»[1].

٤ ـ أن يراعي الأصول والضوابط الآتية أثناء دراسته لفهم القرآن (هذه الضوابط والأصول بينها شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة التي أنصح كل طالب علم بدراستها «مقدمة في أصول التفسير».

أ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

ب ـ تفسير القرآن بالسنة.

جـ ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

ذ ـ تفسيرالقرآن بأقوال التابعين.

وأن يبتعد عن التفسير بالرأي المجرد، فإن جمهور العلماء ذهبوا إلى تحريم ذلك قال أبو بكر: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم»[2].

وقال عمر: «اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه» وما سبب الضلال الذي غزا المسلمين في عقائدهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وعبادتهم، وفرقهم إلى شيعا وأحزابا إلا لبعدهم عن الأصول السليمة لفهم القرآن، فيأتي بعض المتصوفة على الآية **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[3] فيستدل بها على سقوط التكاليف اتباعا لرأيه الممسوخ، ألا يعلم هذا بأن الصحابة عبدوا ربهم وحافظوا على الجمع والجماعات حتى توفاهم الله. ويأتي الرافضي إلى الآية: **﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾**[4] فيقول: المقصود بها عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق المبرأة من السماء حبيبة

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية جزء ١٣ ص ٣٣١ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/٣٧١.

(٣) الحجر: ٩٩.

(٤) البقرة: ٦٧.

رسول الله ﷺ ، التي بشرها بالجنة .

ويأتي المفتون بضلالات علماء الكلام فبدل أن يقف أمام الذكر الحكيم فقيرا ذليلا ضعيفا يلتمس منه الهدى والرشاد، يقف موقف الأستاذ المعلم فيلوي أعناق الآيات كي توافق أصوله وقواعده، التي أصلها أساتذته من علماء الكلام بناء على عقولهم الضعيفة القاصرة، فيأتي على الآية: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1] فيقول: استولى ويخالف بذلك ما عليه سلف الأمة.

مما يجب على طالب العلم تجاه السنة :

١ ـ أن يجتهد لتحري ما صح عن رسول الله ﷺ، إن كان ممن له باع في علم الحديث، أو يتبع العلماء المشهود لهم في هذا الميدان، وألا يكون حاطب ليل، يجمع ما هب ودب، فهذا داء يبتلى به كثير من طلبة العلم، ويظنون أن هذا الفعل هين، قال تعالى: ﴿**وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**﴾[2].

٢ ـ أن يحفظ ما يستطيع حفظه من الصحيحين، فإنهما أصح ما ثبت عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ أن يسعى لفهم فقه الأحاديث وأن يتتلمذ على من سبقه في هذا الميدان من العلماء الأعلام المشهود لهم بالاستقامة، والفهم السليم، والمتبعون لما عليه سلف الأمة، وألا يقدم فهمه على أفهامهم، وألا يقول بفهم لم يسبق له دون بينه .

٤ ـ على طالب العلم أن يعمل بما في السنة من واجبات، وأن ينتهي عما نهت عنه، فإن الله يمقت الذي لا يعمل بما يعلم، وحتى لا تكون حجة

---

(١) طه: ٥.

(٢) النور: ١٥.

عليه يوم الجزاء، وحتى يكون قدوة طيبة صالحة لغيره، كما أن عليه أن يعمل بما فيها من مستحبات على قدر استطاعته، وأن يتنزه عن المكروهات.

حكم طلب العمل :

أثنى الله على العلماء، وفضلهم على غيرهم: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**[1]، ووعدهم برفع درجاتهم يوم الجزاء: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾**[2] كما رغب رسول الله ﷺ بطلبه، كما في هذا الحديث وغيره، ومما ينبغي أن يعلم أن هناك من العلم ما هو طلبه :-

١ ـ واجب على كل مسلم ومسلمة، قال صلوات الله وسلامه عليه: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3] وهذا العلم هو الذي لابد منه، من معرفته، كمعرفة الله بأسمائه وصفاته، وما له من حقوق علينا، قال تعالى: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾**[4] كذلك علم كيفية أداء ما افترض الله علينا من فرائض، كالطهارة والصلاة والصيام وغيرها من الفرائض، وكذلك علم ما به تؤدى حقوق العباد الواجبة.

٢ ـ فرض كفاية إذا قام به جماعة من المسلمين سقط عن الباقين، كتعلم علم الفرائض، وعلم الحديث الذي يميز به الطالب بين صحيح الرواية وسقيمها.

٣ ـ مستحب وهي جميع علوم الدين، فعلى طالب العلم أن ينهل منها ما

---

(١) الزمر: ٩.
(٢) المجادلة: ١١.
(٣) انظر صحيح الجامع رقم ٣٨٠٨.
(٤) محمد: ١٩.

يستطيع، قال تعالى: ﴿وقل رب زدني علما﴾[1] وقال ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[2].

الترغيب في نشر العلم:

العلم نور والجهل ظلمات، فعلى العلماء أن ينشروا هذا النور الذي أودعه الله في صدورهم للعامة، حتى يختفي الجهل، ويعم النور، فيعرف الناس حقوق ربهم فيؤدونها، وحقوق بعضهم على بعض فيؤدونها، وبهذا يحيى الناس حياة طيبة، لذلك قال صلوات الله وسلامه عليه: «بلغوا عني ولو آية»[3] ودعا للمبلغين بالنضارة، قال عليه السلام: «نضر الله أمرا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»[4] وكذلك للمبلغ مثل أجور من اتبعه، قال عليه السلام: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»[5]. وكذلك مما ينفع به المبلغ بعد مماته ما نشر من العلم بين الناس، قال ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره»[6].

فضل الإجتماع على تلاوة القرآن:

قوله ﷺ «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسون بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» يستدل بالحديث على استحباب الجلوس في المساجد، والإجتماع على تلاوة كتاب الله عز وجل، فإن حمل الحديث على

---

(١) طه: ١١٤.
(٢) البخاري كتاب العلم باب ١٣ جزء ١ ص ٢٧ وشرح مسلم - الإمارة جزء ٤ ص ٥٨٤.
(٣) البخاري كتاب الأنبياء باب ٥٠ جزء ٤ ص ١٤٣.
(٤) انظر صحيح الجامع رقم ٦٦٤٠.
(٥) شرح مسلم كتاب العلم جزء ٥ ص ٥٣٢.
(٦) رواه ابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع ٢٢٢٧.

تعلم القرآن وتعليمه فلا خلاف في استحبابه، قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1].

وإن حمل على ما هو أعم من ذلك، كالاجتماع في المساجد على دراسة القرآن مطلقا فهذا كذلك مستحب، كان ﷺ يطلب من بعض أصحابه أن يقرأ عليه، عن عبدالله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأ علي قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: نعم فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية.. فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» قال: حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[2] ولكن ينبغي الاجتماع على قراءة القرآن، أن يقرأ أحدهم ويستمع له الآخرون، ثم يقرأ الآخر وينصتوا له، حتى يفرغوا، إما أن يقرأ المجتمعون كلهم بصوت واحد، هذا ما أنكره مالك على أهل الشام.

جزاء المجتهد على تلاوة كتاب الله في بيته :

١ ـ نزول السكينة وهي الطمأنينة والوقار، قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾[3] قال ابن عباس: جعل الطمأنينة وقال قتادة: الوقار في قلوب المؤمنين، وهم الصحابة يوم الحديبية، الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك، واستقرت، زادهم إيمانا مع إيمانهم»[4].

٢ ـ غشيان الرحمة، والرحمة هي الرقة والتعطف والمغفرة، وهي الإحسان من الله ـ جل جلاله ـ والرضوان، ونزول الرحمة على متدارسي القرآن في بيت الله علامة الإيمان، قال تعالى: : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء

(١) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن باب ٢١ جزء ٦ ص ١٠٨.
(٢) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن باب ٢١ جزء ٦ ص ١٠٨.
(٣) الفتح : ٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٣١١/٧.

فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾[1] وعلامة الإحسان كذلك قال تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[2] ومعنى غشيتهم: عمتهم وغطتهم.

٣ ـ الملائكة تحفهم:
وهذا يعني أن المجتمعين على مدارسة كتاب الله في أمن وسلامة وحفظ من كل أذى ومكروه، وأن هؤلاء الملائكة يدعون لهم بالمغفرة، كما أن هناك ثمرة من مجالسة الملائكة يعلمها الله عز وجل، كما أن لمجالسة الأخيار ثمرة.

٤ ـ ذكر الله جل جلاله لهم فيمن عنده.
قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾[3] وقال ﷺ في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[4].

ذكر الله لعبده، يعني رحمته وشفقته، ومغفرته له، كما أن مجرد الذكر شرف ورفعة للعبد، كم يفرح ويسر العبد عند ما يسمع أن ملوك الأرض وسلاطينها ذكروه في مجالسهم وأثنوا عليه خيرا، وكم يرجو ويطمع من هذا الذكر من الإحسان، فكيف لا يطمع ويرغب من ذكر الغني المطلع على جميع ما يرجوه ويحتاجه العبد.

الجزاء على الأعمال لا على الأنساب:

قوله ﷺ: «ومن بطّأ به عمله، لم يسرع به نسبه» قال النووي رحمة الله عليه: من كان عمله ناقصا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال فينبغي ألا يتكل

---

(١) الأعراف: ١٥٦.
(٢) الأعراف: ٥٦.
(٣) البقرة: ١٥٢.
(٤) رواه البخاري كتاب التوحيد باب ٥ جزء ٨ ص ١٧١.

على شرف النسب وفضيلة الأباء، ويقصر في العمل[1]. ويشهد لذلك قوله جل وعلا: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾[2].

قال تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾[3] وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: حين أنزل عليه: «وأنذر عشيرتك الأقربين» :-

يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف، اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا»[4]. فمنزلة الإنسان يوم القيامة على قدر إيمانه وعمله، وسواء أكان ذا نسب رفيع أو ضعيف وحول هذا المعنى قال بعضهم:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه ... فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب[5]

فوائد الحديث:

١ ـ فيه أن الجزء من جنس العمل.
٢ ـ كما فيه الترغيب إلى الإحسان إلى العباد.
٣ ـ كما فيه الحث على المسارعة للتوبة من الذنوب والخطايا.
٤ ـ كما فيه الحث على الاهتمام بكتاب الله تعالى.
٥ ـ كما فيه فضل الجلوس في بيوت الله لمدارسة العلم.

---

(١) شرح مسلم كتاب الذكر جزء ٥ ص ٥٥١.
(٢) الأنعام: ١٣٢.
(٣) المؤمنون: ١٠١.
(٤) انظر صحيح الجامع رقم ٧٨٥٩.
(٥) الوافي في شرح الأربعين النووية ص ٣١٢.

الحديث السابع والثلاثون

عن ابنِ عبَّاسٍ رضِي الله عنهما، عَنْ رسولِ الله ﷺ فيما يَـرْوِيه عَنْ رَبِّـهِ تبارَكَ وَتَعـالى قـالَ: إنَّ الله كَتَبَ الحَسَنـاتِ والسَّيِّئـاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذلك: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَـةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهـا كَتَبَهـا الله عِنْـدَهُ حَسَنَـةً كـامِلَةً، وإنْ هَمَّ بِهـا فَعَمِلَهـا كَتَبَهـا الله عِنْـدَهُ عَشْـرَ حَسَنـاتٍ إلىٰ سَبْعِمائَـةِ ضِعْفٍ إلى أَضْعَافٍ كَثيـرةٍ، وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَـةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإن هَمَّ بِها فَعَمِلَهـا كَتَبَها الله سَيِّئَةً واحِدَةً»[١].

قال النووي:

فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى، وتـأمل هـذه الألفاظ. وقوله «عنده» إشارة إلى الإعتناء[٢] بها. وقوله «كاملة» للتأكيد وشدة الإعتناء بها، وقـال: في السيئة التي هم بهـا ثم تركهـا: كتبها الله عنـده حسنة كاملة، فأكدها بكاملة، وإن عملها كتبها سيئة واحدة، فأكـد تقليلها بـواحدة ولم يؤكـدها بكـاملة، فلله الحمد والمنـة سبحانـه لا نحصي ثناء عليـه. وبـالله التوفيق.

---

(١) قال النووي: رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف أ.هـ.
البخاري رواه في كتاب الرقاق باب من هم بحسنة أو بسيئة ١٨٧/٧.
شرح مسلم كتاب الإيمان باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس واللفظ لمسلم.

(٢) قال الحافظ: فأما العندية فإشارة إلى الشرف. الفتح ١٠٧/١٤.

منزلة الحديث :

قال الشراح لهذا الحديث: هذا حديث شريف عظيم، بين فيه النبي ﷺ مقدار تفضل الله عز وجل على خلقه.

وفيه من الترغيب العظيم في فضل الله العميم ورحمته الواسعة التي وسعت كل شيء، كما أنه يبعث في نفوس المكلفين الأمل المشرق، ويدفعها للعمل الصالح وكسب الثواب الذي فيه النجاة في الآخرة والسعادة في الدنيا، فما أجوده من حديث لترغيب القانطين من رحمة الله.

كتابة الحسنات والسيئات :

قوله ﷺ: «إن الله كتب الحسنات والسيئات» قال: الطوفي أي أمر الحفظة أن تكتب، أو المراد قدر ذلك في علمه على وفق الواقع منها.

وقال غيره: المراد قدر ذلك وعرف الكتبة من الملائكة ذلك التقدير، فلا يحتاج إلى استفسار في كل وقت عن كيفية الكتابة لكونه أمرا مفروغا منه[1].

الهم بالحسنة :

إذا هم المسلم بعمل حسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة دون أن يضاعفها له قال الطوفي: إنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة، لأن إرادة الخير سبب إلى العمل، وإرادة الخير خير لأن إرادة الخير عمل القلب[2].

والمقصود بالهم العزم المصمم الذي يوجد معه الحرص على العمل لا مجرد الخاطرة العابرة، ومما يشهد من القرآن على ذلك قوله تعالى:

---

(١) الفتح ١٤/١٠٧.
(٢) الفتح ١٤/١٠٨.

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما﴾[1].

والمقصود بأهل الضرر هم أهل الأعذار ولكن عندهم نية صادقة في الخروج فأثابهم الله على هذه النية الصادقة، قال ﷺ: «إن أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا، حبسهم العذر»[2] فهؤلاء يعطون من الأجر، ولكن من غير تضعيف، فيفضله الغازي بالتضعيف لمباشرة الجهاد.

عمل الحسنة:

إذا عمل العبد حسنة يضاعفها الله عز وجل بعشر أمثالها، وهذا في كل عمل قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[3] ولكن هناك أعمال جاءت نصوص تدل على مضاعفتها أكثر من ذلك منها:

- النفقة في سبيل الله قال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[4].

دلت هذه الآية الكريمة أن النفقة تضاعف بسبعمائة ضعف.

- هناك أعمال لا يعلم مضاعفة أجرها إلا الله عز وجل قال ﷺ: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»[5].

---

(١) النساء: ٩٥ - ٩٦.
(٢) رواه البخاري كتاب الجهاد ٣/٢١٣.
(٣) الأنعام: ١٦٠.
(٤) البقرة: ٢٦١.
(٥) البخاري كتاب اللباس ٧/٦١ وشرح مسلم كتاب الصوم ٣/٢٠٦.

- دعاء السوق قال ﷺ: من دخل السوق فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتا، في الجنة»[1].

وتكون مضاعفة الحسنات بحسب حسن إسلام العبد وإخلاصه وبحسب فضل العمل وزمن إيقاعه.

الهم بالسيئة :

إذا هم العبد بفعل سيئة ثم تركها من أجل الله عز وجل فإنها تكتب له حسنة كاملة وتكتب له بشرط أن يتركها خوفا من الله، كما قال ﷺ: «إنما تركها من جراي»[2] أما إذا تركها خوفا من العباد ففي هذه الحالة يأثم، لأنه قدم خوف العباد على الله عز وجل.

وكذلك إذا تركها رياء ففي هذه الحالة كذلك يأثم لأن الرياء حرام .

- وإذا هم بالمعصية وسعى لها وحال دونها القدر، ذكر جماعة من أهل العلم أنه يعاقب واستدلوا بقوله عليه السلام: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه»[3].

- أن يكون الهم بالمعصية خاطرا خطر لهم ولم يستقر في القلب بل كرهها القلب ونفر منها مثل الوساوس الرديئة التي سئل عنها، صلوات الله وسلامه عليه فقال: «ذلك محض الإيمان»[4] ظن الصحابة أن هذه الخواطر

---

(١) رواه أحمد أنظر صحيح الجامع للألباني/ ٦١٠٧.
(٢) شرح مسلم كتاب الإيمان ١/٣٣٤.
(٣) البخاري كتاب الإيمان ١/١٣ وشرح مسلم كتاب الفتن ٥/٧٣٧.
(٤) شرح مسلم كتاب الإيمان ١/٧٣٨.

يحاسب عليها المرء وشق عليهم ذلك عندما نزل قوله: ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**﴾[1] فنزل قوله تعالى بعدها: ﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾[2] فبينت الآيات أن ما لا طاقة للعبد به غير محاسب عليه ومنها خواطر النفس العابرة.

- **العزائم المصممة التي استقرت في نفس المكلف وهذه ضربان:**

١ ـ ما كان منها من أعمال القلوب مثل الشك في الوحدانية أو الرسالة أو القيامة وهذا لا شك في معاقبته ومؤاخذته، لأن من استقر في قلبه ذلك يكون كافرا أو منافقا.

٢ ـ ما لم يكن من أعمال القلوب، بل من أعمال الجوارح مثل الزنا والسرقة والخمر والقتل، فإذا أصر المكلف على إرادة ذلك ولم يباشر العمل فهذا في مؤاخذته قولان فمنهم من قال يؤاخذ قال ابن المبارك: سألت سفيان الثوري أيؤاخذ العبد بالهم؟ فقال: «إذا كانت عزما أُوخذ»[3]. وذهب إلى هذا القول كثير من علماء الحنابلة. واستدلوا بقوله: ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فأحذروه**﴾[4] وقوله: ﴿**ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾[5] وحملوا قوله عليه السلام «إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تتكلم»[6] على خطرات النفس وقالوا: ما أكنه العبد وعقد عليه قلبه فهو من كسبه وعمله فلا يكون معفوا عنه»[7].

---

(١) البقرة: ٢٨٤.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) جامع العلوم والحكم ٣٣٥.

(٤) البقرة: ٢٣٥.

(٥) البقرة: ٢٢٥.

(٦) البخاري كتاب العتق ١١٩/٣.

(٧) جامع العلوم والحكم ٣٣٥.

وقـال المـازري[١] ذهب ابن البـاقلاني يعني ومن تبعـه إلى أن من عـزم على المعصية بقلبه ووطن عليها نفسه إنه يأثم[٢].

وهذا ما يميل إليه الحافظ في الفتح قال رحمه الله: والذي يظهـر أنه من هذا الجنس وهو يعاقب على عزمه بمقدار ما يستحقـه، ولا يعاقب عقـاب من بـاشر القتل حسـا[٣] وكـلامـه هـذا تعقيبـا عـلى الحـديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل هذا القاتل فـما بال المقتـول؟ قال إنـه كان حريصا على قتل صاحبه»

عمل السيئة:

إذا عمل العبد سيئة تكتب بمثلها دون مضاعفة قـال تعالى: ﴿من جـاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾[٤].

وهـذه الآية تشهـد للحـديث «وإن عملهـا كتبهـا سيئـة واحـدة» ولكن السيئة تعظم أحيانا بسبب:ـ

- شرف الزمان قـال تعالى: ﴿إن عـدة الشهور عنـد الله اثنا عشر شهـرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعـة حرم ذلـك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾[٥] نهى عن ظلم النفس فيهن ثم اختص منهم الأشهر الحرم وهي محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة فجعل الذنب فيهن

---

(١) المـازري (٤٥٣ وقيل ٤٤٣ ـ ٥٣٦) هـ هـو محمد بن عـلي عمر التميمي المازري نسبة إلى بلدة صقلية، برز في الفقه والأصول ولقب بالإمام، لم يكن للمالكية في عصره أفقـه منه، كـان آخر المشتغلين ـ من شيـوخ افريقيـا ـ بتحقيق الفقه ورتبـة الإجتهاد من آثـاره العلمية: ١ ـ ايضـاح المحصول في برهان الأصول للجويني. ٢ ـ تعليق على المدونة.
٣ ـ نظم الفوائد في علم العقائد.

(٢) الفتح ١٤/١١٠.

(٣) الفتح: ١٤/١١٠.

(٤) الأنعام: ١٦٠.

(٥) التوبة: ٣٦.

أعظم والعمل والأجر أعظم قال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا[1].

ـ شرف المكان قال تعالى: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال﴾[2] قال ابن عمر الفسوق إتيان معاصي الله في الحرم، وقال عبدالله بن عمرو: الخطيئة فيه أعظم وقال ابن عمر «لأن أخطى سبعين خطيئة يعني بغير مكة أحب إلي من أن أخطىء خطيئة واحدة بمكة.

وقال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات[3] وكذلك قال أحمد. ويشهد لذلك: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾[4].

مكانة المرء قال تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين﴾[5].

فوائد من الحديث:

١ ـ أسلوب الترغيب والترهيب من أفضل أساليب التربية.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٩٠ وقد جمعت رسالة سميتها الأشهر الحرم تعرضت فيها للأحكام التي اختصت بها الأشهر الحرم عن غيرها أسأل الله أن ينفع بها.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) كلام مجاهد فيه نظر قال الشيخ عبد العزيز بن باز: أما السيئات فالذي عليه المحققون من أهل العلم أنها لا تضاعف من جهة العدد ولكن تضاعف من جهة الكيفية أما العدد فلا. لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها﴾ فالسيئات لا تضاعف من جهة العدد لا في رمضان ولا في الحرم ولا في غيره بل السيئة بواحدة دائما وهذا من فضله سبحانه وتعالى واحسانه. انظر كتاب: فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة الذي تصدره وزارة الداخلية في السعودية.

(٤) الحج: ٢٥.

(٥) الأحزاب: ٣٠.

٢ ـ قال ابن بطال: في الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة لأنه لولا ذلك كان لا يدخل أحد الجنة، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من علمهم الحسنات»[١].

٣ ـ كما فيه ما يترتب من ثواب عميم للعبد على هجرانه لذاته وترك شهواته وحظوظ نفسه من أجل مولاه سبحانه رغبة فيما عنده من ثواب ورهبة من عقاب يوم الدين.

٤ ـ قال الحافظ: واستدل به على أن الحفظة لا تكتب المباح للتقيد بالحسنات والسيئات[٢].

٥ ـ كما فيه أن الله بفضله ومنه وكرمه جعل العدل في السيئة بل أضاف فيها إلى العدل الفضل، فجعلها بين العقوبة والعفو بقوله: «ومحاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك»[٣] ويقوله: «فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر»[٤].

وجعل الفضل في الحسنة إلى أضعاف كثيرة ولم يجعله بالسيئة.

٦ ـ قال الحافظ: وفي هذا الحديث رد على الكعبي في زعمه أن ليس في الشرع مباح على الفاعل أما عاص وإما مثاب.

٧ ـ كما فيه دليل على أن الملك يطلع على قلب الإنسان بالطريقة التي مكنه الله سبحانه بها.

---

(١) الفتح: ١١٢/١٤.
(٢) الفتح: ١١٢/١٤.
(٣) شرح مسلم كتاب الإيمان ٣٣٧/١.
(٤) شرح مسلم كتاب الذكر ٥٤٢/٥.

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قـالَ رسول الله ﷺ: إنَّ اللهَ تعالى قالَ: مَنْ عادَى لي وَليًا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ وما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إليَّ مما افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقـرَّبُ إليَّ بِالنَّوافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَـهُ الذي يَسْمَـعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَـدَهُ التي يَبْطِشُ بِهـا، وَرِجْلَهُ التي يَمْشي بِها، وإنْ سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ»[1].

منزلة الحديث:

قال الشوكاني: «حديثِ من عادى لي وليا» قد اشتمل عـلى فوائـد كثيرة النفع جليلة القدر لمن فهمها حق فهمها، وتدبرها كما ينبغي[2].

وقال الطوفي: «هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله تعالى، والوصول إلى معرفته ومحبتـه، وطريقـة أداء المفروضـات الباطنـة وهي الإيمان، والظاهرة وهي الإسلام والمركب منهما وهو الإحسـان، كما تضمنـه حديث جـبريل عليـه السلام والإحسان يتضمن مقامات السـالكين من الـزهد والإخـلاص والمراقبـة وغيرها»[3].

---

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع ٧/١٩٠.

(٢) الوافي في شرح الأربعين النووية ٣٢٠.

(٣) الفتح: ١٤/١٣٠.

صفة أولياء الله عز وجل :

قال الله تعالى واصفا أولياءه: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[1] فالوصف الأول لهم الإيمان الصادق بالله عز وجل والوصف الثاني تقوى الله عز وجل وقال الحافظ «المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته»[2] والباب مفتوح أمام الناس للدخول في ولاية الله عز وجل، وهي مراتب كما بين ربنا تبارك وتعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾[3].

١ ـ الظالم لنفسه وهم أصحاب الذنوب قال ابن كثير «وهو المفرط في بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات»[4].

٢ ـ المقتصد المؤدي لفرائض الله المجتنب للمحارم وقد يترك المستحبات ويقع ببعض المكروهات.

٣ ـ السابق بالخيرات وهو القائم بالواجبات والمتسحبات المجتنب للمحارم والمكروهات وأفضل أولياء الله تعالى هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولقد شذ في ذلك غلاة المتصوفة، حيث جعلوا مرتبة الولي فوق رسل الله وأنبياءه كما أنشد بعضهم:

مقام النبوة في برزخ
فويق الرسول ودون الولي

فمقام النبوة عند هؤلاء وسظ فوق مرتبة الرسل ودون الولي، فالنبي أحسن من الرسل والنبي والرسول دون الولي.

---

(١) يونس: ٦٢.
(٢) الفتح: ١٤/١٢٦.
(٣) فاطر: ٣٢.
(٤) تفسير ابن كثير ٦/٥٣٢.

وقال أبو يزيد البسطامي خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله.

وأفضل الأولياء بعد أنبياء الله ورسله هم صحابة رسول الله ﷺ وصفهم الله في كتابه فقال:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾[1].

فالصحابة رضي الله عنهم هم النموذج السامي في تحقيق الولاية لله عز وجل، فمن يريد الوصول لرضوان الله عز وجل فعليه أن يقتدي بهؤلاء.

وأولياء الله تعالى ليس لهم علامات خاصة وشعارات يرفعونها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره، إذا كان كلاهما مباحا، كما قيل كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء»[2].

الأولياء غير معصومين قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾[3] فهذه الآية وصف لأولياء الله، وفيها أن الله سيجازيهم أجرهم على أحسن ما عملوا وذلك مقابل توبتهم من أسوأ ما عملوا، فأثبتت الآية أن الأولياء من غير الرسل قد يقعون ببعض الأخطاء.

ومما يشهد لذلك أن أفضل أولياء الله بعد الرسل وهم الصحابة قد

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) نقلا عن محاسن التأويل للقاسمي ٣٣٧٢/٩.

(٣) الزمر: ٣٣ - ٣٥.

وقعوا في أخطاء في كثير من المواضع، فقد وقع القتال بينهم رضوان الله عليهم، كما أن لهم كثير من الإجتهادات التي لم يخالفهم بها الصواب، والشواهد في هذا كثيرة معلومة للمطلع على أقوالهم في كتب الفقه وغيرها.

قال الحافظ: وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل التجلي والرياضة فقالوا: القلب إذا كان محفوظا مع الله كانت خواطره معصومة من الخطأ، وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا: لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة، والعصمة إنما هي للأنبياء ومن عداهم فقد يخطىء، فقد كان عمر رضي الله عنه رأس الملهمين ومع ذلك فكان ربما رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه، فمن ظن أنه يكتفي بما يقع في خاطره عما جاء به الرسول ﷺ فقد ارتكب أعظم الخطأ. وأما من بالغ منهم فقال: حدثني قلبي عن ربي، فإنه أشد خطأ فإنه لا يأمن أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان، والله المستعان»[1].

حرمة معادات أولياء الله تعالى:

تجب موالاة أولياء الله تعالى وتحرم معاداتهم، وذلك لقوله «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»[2] ولقوله تعالى **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾**[3] وفي الحديث وعيد شديد للذين يؤذون أولياء الله في أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم، والله تبارك وتعالى يمهل الظالمين ولا يهملهم.

ومعنى «آذنته بالحرب» أي أعلمته بأني محارب له وذلك بإهلاكه.

قال الحافظ ابن جحر: «وقد استشكل وجود أحد يعاديه ـ يعني الولي ـ

---

(١) الفتح: ١٤/١٣٠.

(٢) رواه البخاري كتاب الرقاق ٧/١٩٠.

(٣) المائدة: ٥٦.

لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين، ومن شأن الولي الحلم الصفح عمن يجهل عليه.

وأجيب بأن المعادات لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا، بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب، كالرافضي في بغضه لأبي بكر، والمبتدع في بغضه للسني، فتقع المعاداة من الجانبين.

أما من جانب الولي فلله تعالى وفي الله. وأما من جانب الآخر فلما تقدم. وكذا الفاسق المجاهر يبغضه الولي، ويبغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته.

وقد تطلق المعاداة ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل، ومن الآخر بالقوة»[1] والمعاداة التي توعد الله بها من عادى أولياءه، ما كانت بسبب امتثاله لأوامر الله واجتنابه عن نواهيه ودعوته إلى منهجه، أما إذا كانت المعاداة من أجل نزاع أو خصومة على ما يقتضي النزاع عليه فهذا لا يدخل في الحديث، كما حدث من مشاجرة بين أبي بكر وعمر وبين العباس وعلي وغيرها من الوقائع التي حدثت بين أفضل أولياء الله تعالى.

أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه

قوله عليه السلام «وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه» قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله تعالى[2].

وأعظم فرائض البدن التي تقرب من الله الصلاة، قال تعالى ﴿واسجد واقترب﴾[3]

(١) الفتح ٤/ ١٢٦ - ١٢٧.
(٢) جامع العلوم والحكم.
(٣) العلق: ١٩.

وقال ﷺ «اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1]

ومن الفرائض المقربة من الله كذلك، عدل المسؤول في مسؤوليته سواء كانت العامة أو الخاصة، وفي أهله، عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[2].

وكذلك يندرج تحت التقرب إلى الله بأداء الفرائض ترك معاصي الله عز وجل.

التقرب إلى الله تعالى بالنوافل :

قوله «ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل» التقرب بالنوافل يكون بعد التقرب بالفرائض وأبواب النوافل واسع، فينبغي للمسلم أن يجتهد في ذلك وفق استطاعته، من صلاة وصيام وصدقة وحج وعمرة وقراءة قرآن مع تدبر معانيه وذكر الله عز وجل.

وهذا هو طريق طهارة النفوس وزكاتها، حتى تكون مهيأة لمحبة الله عز وجل وثوابه «ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه».

ومحبة الله شيء عظيم من وفق إليها فقد حصل على الخير كله، وكتب له القبول في السماء والأرض وأغدق الله عليه نعمه.

قال ﷺ : إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانا فاحببه، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»[3].

---

(١) مختصر مسلم ٢٩٨.

(٢) شرح مسلم كتاب الإمارة ٤/٤٩٠.

(٣) رواه البخاري كتاب بدء الخلق ٤/٧٧ وشرح مسلم كتاب البر والصدقة ٥/٤٩٠.

آثار محبة الله لأوليائه:

قوله «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصره به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» .

قال الحافظ في شرحه لهذا المقطع من الحديث[1] وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ؟ والجواب من أوجه:

أحدهما: أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى: كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح.

ثانيا: إن المعنى كليته مشغول بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به .

ثالثا: المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره. . . الخ .

رابعا: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه.

خامسا: قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة[2]: هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع ألا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك. . . الخ.

سادسا: قال الفاكهاني[3]: يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله، وهو

---

(١) الفتح ١٤/١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) ابن هبيرة (٤٩٩ ـ ٥٦٠) هـ هو يحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني أبو المظفر، عون الدين من العراق، فقيه حنبلي اديب عابد عامل ولي الوزارة للخليفتين المقتفي والمستنجد، من تلاميذه ابن الجوزي، جمع ابن الجوزي فوائد من ابن هبيرة، ودونها في الكتاب المقتبس من الفوائد العونية.

(٣) الفاكهاني (٦٥٤ ـ ٧٣٤) هـ هو عمر بن أبي علي بن سالم بن صدقة اللخمي تاج الدين، الفاكهاني، أبو حفص. إسكندراني المولد والوفاة فقيه مالكي، أخذ العلم عن ابن دقيق العيد، =

أن يكون معنى سمعه مسموعه، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول، مثل فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وبمعناه قال ابن هبيرة أيضا.

سابعا: قال الخطابي أيضا: وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.

وهذه الأقوال التي بينها الحافظ لا تعارض بينها وكل واحد منها يحتمل الصواب.

انحراف خطير في فهم الحديث:

قال الطوفي: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله، إن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية «فبي يسمع، وبي يبصر وبي يبطش، وبي يمشي»

قال: والإتحادية زعموا أنه على حقيقته، وأن الحق عين العبد واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية، قالوا «فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر، قالوا: فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

قال الحافظ: وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو، وأنه الغاية التي لاشيء وراءها وهو أن يكون قائما بإقامة الله له، محبا بمحبته له ناظرا بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو

والبدر بن جماعة وغيرهما. كما له باع في الأصول، والحديث والعربية والأدب والشعر. من آثاره (١) التحرير والتجبير. (٢) شرح العمدة (٣) المنهج المبين في شرح الأربعين.

توقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى قام،. ومحبته له حتى أحبه، ونظره إلى عبده حتى أقبل ناظرا إليه بقلبه.

وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك وإنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه، الموحد لنفسه، المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج[1].

وفهم هؤلاء أعوج سقيم لا حجة لهم به، مخالف لنصوص الكتاب والسنة الظاهرة، كما أن قوله «وإن سألني» صريح بالرد على هوسهم وتخبطهم وضلالهم.

دعاء الولي مستجاب:

قوله «ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» فالحديث يدل على أن ولي الله مستجاب الدعوة، وكان كثير من الصحابة مجاب الدعوة مثل البراء بن مالك، والبراء بن عازب وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: شكا أهل الكوفة سعدا، يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستعمل عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي: فأرسل إليه فقال: يا أبا اسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فقال: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها أصلي صلاتي العشاء فأركد في الأولين وأخف في الاخرين قال. قال: ذلك الظن بك يا أبا اسحاق، وأرسل معه رجلا - أو رجالا - إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة فلم يدع مسجدا إلا

---

(١) الفتح ١٤/١٢٩ - ١٣٠.

سأل عنه ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة، فقال: أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. وكان بعد ذلك إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد قال عبدالملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن(١).

وعن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم، وادعت أنه أخذ شيئا من أرضها، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذا شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أرضين، فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واقتلها في أرضها قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت، متفق عليه. وفي رواية لمسلم عن محمد ابن زيد بن عبدالله بن عمر بمعناه وأنه رآها عمياء تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد، وأنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها فوقت فيها وكانت قبرها(٢):

فوائد من الحديث:

١ ـ يستفاد من الحديث تقديم الإعذار على الإنذار.

٢ ـ قال الحافظ: يؤخذ من قوله «ما تقرب إلى آخرة...» إن النافلة لا تقدم

---

(١) متفق عليه انظر رياض الصالحين بتحقيق الألباني ٥٢٨.

(٢) متفق عليه رياض الصالحين بتحقيق الألباني ٥٢٩.

على الفريضة لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه ارادة التقرب[1].

٣ ـ النافلة تجبر الفرائض، قال ﷺ: «انظروا هل لعبدي من تطوع فتكمل به فريضته»[2].

٤ ـ وفيه أن العبد مهما بلغ أعلى الدرجات فينبغي له ألا ينقطع عن الطلب من الله وذلك لما فيه من إظهار الذل والخضوع له.

٥ ـ فيه الحذر من إيذاء المسلم.

---

(١) الفتح ١٤/١٢٨.

(٢) انظر صحيح الجامع رقم ٢٠١٦.

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابنِ عباس رَضِيَ الله عَنْهُما: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إنَّ الله تَجاوَزَ لي عَنْ أُمَّتِي: الخَطَأَ، والنِّسْيانَ، وما اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[1].

منزلة الحديث:

قال النووي: وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة، لو جمعت بلغت مصنفا لا يحتمله هذا الكتاب[2].

وقال ابن حجر الهيتمي: وهو عام النفع، لوقوع الثلاثة في سائر أبواب الفقه، عظيم الوقع، يصلح أن يسمى نصف الشريعة، لأن فعل الإنسان الشامل لقوله: إما أن يصدر عن قصد واختيار وهو العمد مع الذكر اختيارا، أولا عن قصد واختيار وهو الخطأ أو النسيان أو الإكراه، وقد علم من هذا الحديث صريحاً أن هذا القسم معفو عنه، ومفهوما: أن الأول مؤاخذ به، فهو نصف الشريعة باعتبار منطوقه، وكلها باعتباره مع مفهومه[3].

فالحديث عظيم المنزلة كما بين النووي وابن حجر، لأنه يؤصل قاعدة عظيمة يعتمد عليها الفقهاء في فتاواهم.

---

(١) قال النووي «حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما. والحديث صحيح انظر مشكاة المصابيح للألباني رقم ٦٢٩٣.
والإرواء ٨١ حيث بسط القول عنه.

(٢) شرح الأربعين للنووي ص ٥٩ طبعة دار عمر بن الخطاب.

(٣) الواقي شرح الأربعين/ ٣٢٨.

التجاوز عن الخطأ:

قوله عليه السلام «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ»

- الخطأ «ضد العمد وهو مالم يتعمد، مثل أن تقتل إنسانا بفعلك من غير أن تقصد قتله[1]، فالمخطيء هو أن يقصد بفعله شيئا فيصادف غير ما قصد.
ومما يشهد من الذكر الحكيم للحديث قوله جل وعلا: ﴿لا جناح عليكم فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾[2] وقوله سبحانه ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[3] وقوله عليه السلام: «إذا حكم الحاكم ثم اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وحكم وأخطأ فله أجر»[4].
فهذه النصوص الكريمة تدل على أن الله رفع الإثم والحرج والمؤاخذة في الآخرة عن المخطيء، وهذا من فضله ومنه وكرمه وعدله ولطفه بهذه الأمة.

- «رفع الحرج والإثم عن المخطيء لا يعني عدم ترتيب أحكام خطأه فمثلا إذا قتل المسلم خطأ هناك أحكام تترتب على قتله نص عليها القرآن»
﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما﴾[5].

ولكن من حيث إثبات حكم على المخطيء أو عدمه، يجب النظر في المسألة والإطلاع على أدلتها وفهم العلماء فيها، ثم بعد ذلك يصدر الحكم

---

(١) من لسان العرب بتصرف ٦٦/١.
(٢) الأحزاب: ٥.
(٣) البقرة: ٢٨٦.
(٤) البخاري كتاب الإعتصام ١٥٧/٨ شرح مسلم كتاب الأقضية جزء ٤ ص ٣١٠.
(٥) النساء ٩٢.

لأن هناك أمور لا تترتب على المخطيء فيها أحكام مثل من شرب خمرا ظانا أنها شراب غير مسكر، فهذا لا حد عليه ولا تعزيز، إلى غيرها من المسائل الكثيرة التي على هذا المنوال.

وهناك أمور تترتب عليها أحكام مثل ما ذكرنا في قتل الخطأ، ومثل لو أتلف مال غيره بالخطأ فهو ضامن لما أتلف، إلى غيرها من المسائل الكثيرة.

التجاوز عن الناسي :

- النسيان «ضد الذكر والحفظ. وهو أن يكون ذاكر الشيء فينساه عند الفعل. والناسي رفع الله عنه كذلك الحرج والمؤاخذ والإثم، ومما يشهد للحديث قوله جل وعلا ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[1].

- رفع الإثم والحرج عن الناسي لا ينافي أن يترتب على النسيان حكم، فمثلا من صلى دون وضوء فلابد من الإعادة، ومن ترك الصلاة المكتوبة نسيانا حتى خرج وقتها فيجب عليه أن يصليها إذا ذكر، وذلك لقوله ﷺ «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك «وأقم الصلاة لذكري»[2].

«وهناك خلاف بين العلماء في كثير من القضايا فيما يترتب على الناسي من أحكام فمنهم من يثبت عليه حكما ومنهم من لا يثبت، والفصل في هذا هو الدليل، فإذا صح الدليل في إثبات حكم قلنا به، وإذا لم يوجد توقفنا، فمثلا أمام دار الهجرة مالك رحمه الله يرى أن من أكل ناسيا في رمضان عليه الإعادة ورسول الله ﷺ يقول «من أكل أو شرب ناسيا فلا يفطر فإنما هو رزق رزقه الله»[3] فهنا نقول بأنه لا حكم على الناسي وصومه صحيح وذلك لثبوت النص،

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) رواه البخاري كتاب مواقيت الصلاة. ١/١٤٧ وانظر شرح مسلم للنووي كتاب المساجد ٢/٣٢٦.

(٣) انظر صحيح الجامع / ٥٩٥٨.

وإمام دار الهجرة معذور في ذلك لأنه مجتهد وله أجر على اجتهاده ولعل الدليل لم يصل إليه .

التجاوز عن المكره:

يقال «أكرهته على كذا إذا حملته عليه قهرا، والكره المشقة، والكره القهر وقيل «بالفتح الإكراه، وبالضم المشقة، وقيل لغتان»[1]

وما يشهد للحديث من الذكر الحكيم قوله تعالى: **﴿من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**[2] .

هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، لأنه قال كلمة مكرهاً، فنفى الله عنه الحرج والمؤاخذة والإثم في ذلك .

قال القرطبي : أجمع أهل العلم أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل، إنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي»[3] .

وكذلك يشهد للحديث «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله شيء إلا أن تتقوا منهم تقاه»[4] .

قال ابن عباس «هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان»[5]
وقال القرطبي : وقيل «إن المؤمن إذا كان قائما بين الكفار فله أن يداريهم باللسان وإذا كان خائفا على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان. والتقيه لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم»[6].

---

(١) من الوافي في شرح الأربعين.
(٢) النحل : ١٠٦ .
(٣) تفسير القرطبي ١٠/١٨٢.
(٤) آل عمران : ٢٨ .
(٥)،(٦) تفسير القرطبي ٤/٥٧.

فهذه النصوص من كتاب ربنا تنفي المؤاخذة والحرج على المكرة بقول أو فعل.

- المكره الذي لا اختيار له بالكلية ولا قدرة له على الامتناع، مثل من حمل كرها وإدخل في مكان حلف ألا يدخله، أو أضجعت ثم زنى بها من غير قدرة لها على الامتناع، فهذا لا إثم ولا مؤاخذ عليه بالإتفاق، ولا يترتب عليه حنث في يمينه.

- المكره الذي مختار من وجه وغير مختار من وجه آخر، مثل من أكره بضرب أو غيره حتى فعل، فهذا الفعل يتعلق به التكليف، لأن بإمكانه ألا يفعل ولكن غرضه من الفعل دفع الضرر عن نفسه لا الفعل نفسه.

في مثل هذه الحالة من الإكراه اختلفت أنظار أهل العلم:

- الإكراه في الإفعال فيه تفصيل

فمثلا لو أكره زيد من الناس على قتل عمرو من الناس، فلا يحل له أن يقتله قال القرطبي «أجمع العلماء على أن من أكره على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله، ولا انتهاك حرمته بجلد أو غيره، ويصبر على البلاء الذي نزل به، ولا يحل له أن يفدي نفسه بغيره، ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة»[1]

وجمهور أهل العلم يرون أنهما يشتركان في وجوب القود المكره والمكره، وذلك لاشتراكهما في القتل، وهذا ما ذهب إليه مالك والشافعي، وهو المشهور عن أحمد، ولو أكره على الزنا خلاف بين العلماء فمنهم من أجاز له الفعل، ومنهم من حرم عليه، ذلك وقالوا لا يجوز له أن يقدم على ذلك بأي حال من الأحوال وهذا ما ذهب إليه الحنابلة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/١٨٣.

وقال ابن العربي: الصحيح أنه يجوز الإقدام على الزنى ولا حد عليه خلافا لمن الزمه ذلك»[1]

أما الإكراه، في غير القتل والزنا من محرمات الله عز وجل، فقد ذهب جمهور الفقهاء إباحة ذلك للمكره، ولكن يضمن ما يتلف من مال الغير، ويقوم بالأحكام المترتبة على الفعل الذي قام به إن وجدت.

الإكراه في الأقوال:

ذهب جمهور العلماء منهم مالك والشافعي وأحمد إلى أنه يباح لمن أكره على أي قول له أن يقوله، ولا حرج ولا اثم عليه، لأن الله أجاز التلفظ بكلمة الكفر التي هي أعظم ذنب عصي الله به فمن باب أولى جواز قول مادون الكفر، والإكراه في الأقوال متصور في جميع الأقوال في العقود والأيمان والنذور وغيرها.

---

(١) تفسير ابن كثير ١٠/١٨٣.

الحديث الأربعون

عن ابن عُمَـر رضِي اللهُ عَنْهما قَـال: «أَخَذَ رسـولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبَيَّ فَقالَ :كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبيلٍ» وكانَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهمـا يَقـولُ: «إذا أَمْسَيْتَ فـلا تَنْتَـظِرِ الصبـاحَ، وإذا أَصْبَحْتَ فـلا تَنْتَظِرِ المساءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتَـكَ لِمَـرَضِـكِ. وَمِنْ حَياتِكَ لِمَوْتِكَ»[1].

منزلة الحديث:

كم من مكلف وقفت الدنيا عائقا في طريقه من الإلتزام بأوامر الديـان، وكم من مكلف نفذ حب الدنيا إلى قلبه فأصبح أسيراً لها ولأهلهـا، وكم من مكلف باع دينه وضميره وأمته بسببهـا، لذلـك بين رسـول الإسلام ﷺ كيف ينبغي للمكلف أن يكون فيها، حتى يجتاز هذه الدنيا بسلام إلى دار السلام.

فهذا الحديث أصل في الزهد بالدنيا واحتقارها، والقناعة منهـا بالقليـل الذي يبلغ للآخرة.

أقوال العلماء بهذه الوصية:ـ

قوله ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»

نقل الحافظ ابن حجـر للعلماء في هذه الـوصية العـظيمة أقـوالا مفيدة، أنقلها بالنص[2]

(١) رواه البخاري في الرقاق باب قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب ٧/١٧٠ .

(٢) الفتح ١٤ / ٨ ـ ٩

ـ قال الطيبي :

ليست أو للشك بل للتخيير والإباحة والأحسن أن تكون بمعنى بل، فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة.

وقال ابن بطال:

لما كان الغريب قليل الإنبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم إذْ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال غير متثبت بما يمنعه من قطع سفره، معه زاده وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده، شبه بهما وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل.

وقال النووي :

معنى الحديث : لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه

ـ كما ذكر الحافظ قولين لاثنين من العلماء لم يذكر اسميهما:ـ

الأول: عابر السبيل هو المار على الطريق طالبا وطنه، فالمرء في الدنيا كعبد أرسله سيده في حاجة إلى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسل فيه ثم يعود إلى وطنه ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه.

الثاني: وقال غيره: المراد أن المؤمن نفسه في الدنيا منزلة الغريب فلا يعلق قلبه بشيء من بلد الغربة بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه ويجعل إقامته في الدنيا ليقضي حاجته وجهازه للرجوع إلى وطنه، وهذا شأن الغريب، أو يكون كالمسافر لا يستقر في مكان بعينه بل هو دائم السير الى بلد الإقامة.

- وقول ابن عمر رضي الله عنه «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء» منتزع من وصية رسول الله ﷺ له، فهي تدل على قصر الأمل في هذه الدنيا، وينبغي للعبد أن يظل دائما أن أجله مدركة.
وهذا الشعور يدفعه للقناعة بالقليل من الدنيا، والاستعداد ليوم المعاد، وأحسان ما كلف به من طاعات واجبة ومستحبة.

استغلال العمر بما ينفع :-

قول ابن عمر «وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»
هذه وصية عظيمة من هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، مشتقة من كتاب ربنا وسنة رسولنا ﷺ.

- فأوصى باستغلال زمن الصحة والعافية بالطاعة الواجبة والمستحب منها، لأن الإنسان أثناء المرض قد يعجز عن الكثير من الطاعات وقد يقصر بأداها، فلعل ما قام به أثناء الصحة والعافية يجبر ما بدر منه أثناء المرض.

قال الحافظ: والمعنى اشتغل في الصحة بالطاعة، بحيث لو حصل تقصير في لا يجبر بذلك[1]

وقال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعنا فغلب الكسل عن الطاعة فهو المغبون وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استغل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم[2].

وكلام ابن الجوزي هذا أورده الحافظ أثناء شرح حديث «نعمتان

---

(١) الفتح ١٤ / ٩
(٢) الفتح ١٤ / ٤

مغبون[1] فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[2].

كما أوصى رضي الله عنه باستغلال أيام العمر بطاعة الله ورسوله والتزود من أبـواب الخير الـواسعة ليـوم المعاد، قـال تعالى: **﴿تـزودوا فإن خـير الزاد التقوى﴾**[3] والموت يفجأ ابن آدم، وقد يلقى ربـه ولا زاد معه، وبهـذا يهلك ويخسر ويضل سعيه، انشد بعضهم:

أيسرك أن تـكـون رفـيـق قـوم ... لهـم زاد وأنـت بـغـير زاد

وهنا يندم ابن آدم عل ما فـرط في جنب الله، ولات ساعة مندم، قـال تعـالى: **﴿أن تقول نفس يـا حسرتى على مـا فـرط في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هـداني لكنت من المتقين، أو تقـول حين تـرى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾**[4].

وقـال تعالى : **﴿يـوم تقلب وجوههم في النار يقولون يـا ليتنا أطعنـا الله وأطعنا الرسولا﴾**[5] والآخرة دار حسـاب وليست دار عمل، قـال : ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صـدقة جـارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[6] .

---

(١) أي = عظيمتان «مغبـون فيهما» من الغبن وهـو الشراء بـأضعـاف الثمن، أو البيـع بـدون ثمن المثل. شبه النبي ﷺ المكلف بـالتاجـر، والصحة في البـدن والفراغ من الشـواغل عن الـطاعة برأس المال، لأنهما من أسباب الأرباح ومقدمات نيل النجاح. . فمن عامل الله تعالى بامتثال أوامره، وابتدار الصحة والفراغ يربح، ومن أضاع رأس ماله، ندم حيث لا ينفع النـدم، كذا في ريـاض الصالحين ص ٦٠ .

(٢) رواه البخاري .

(٣) البقرة ١٩٧

(٤) الزمر ٥٨

(٥) الأحزاب ٦٦

(٦) شرح مسلم ٤ /١٦٧

انقضاء الدنيا :ـ

يعلم ابن آدم علم اليقين بأن الدنيا فانية ومنقضية، ولكنه يغفل وينسى هذه الحقيقة بسبب انغماسه في الدنيا وأثناء الكدح فيها، لذلك ذكرنا الله عز وجل في أكثر من موضع قال تعالى : **﴿كل من عليها فان﴾**[1] وقال سبحانه: **﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾**[2].

فالعبد الفطن الذي نور الله قلبه بحقيقة هذه الدنيا، لا تغره الدنيا الفانية ولا يطمئن لنعيمها وزينتها، بل يجعلها مزرعة ليوم المعاد.

فوائد من الحديث:ـ

١ ـ أخذ الرسول ﷺ بمكنب[3] عبدالله فيه تنبيه طالب العلم لما يلقى عليه، وإشعار المتعلم باهتمام المعلم به وحرصه على توصيل العلم إلى قرارة نفسه، وهذا يؤدي إلى حفظ العلم، إذ محال أن ينسى من فعل به ذلك. كما فيه محبة رسول الله ﷺ لعبدالله بن عمر، لأن مثل هذا غالبا يفعله المرء مع من يحب .

٢ ـ في الحديث حرص رسول الله ﷺ على إيصال الخير والصلاح للأمة.

٣ ـ كما فيه الإقتصار على ما لا بد منه.

٤ ـ كما فيه الحث على المبادرة في الطاعات.

---

(١) الرحمن ٢٦

(٢) يونس ٢٤

(٣) المنكب: مجمع العضد والكتف .

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبي مُحمـدٍ عبدِالله بنِ عَمْـرو بنِ العـاصِ رضِيَ الله عَنْهُمـا، قالَ: قـالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَـوَاهُ تَبَعاً لِمـا جِئْتُ بِهِ» حـديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنـاهُ في كِتابِ الحُجَّةِ بِإسنادٍ صَحيحٍ.

هـذا الحديث ضعيف لا يصح، وإليك كـلام الألبـاني عليـه، وكـلام الحافظ ابن رجب الحنبلي.

قال الألباني في المشكاة.

هـذا وهم، فـالسند ضعيف فيـه نعيم بن حمـاد وهـو ضعيف، وأعله الحافظ ابن رجب بغير هـذه العلة متعقبا عـلى النووي تصحيحـه إياه، فـانظر كتابه «جامع العلوم والحكم» ثم إن عزوه إلى المذكـورين يوهم أنـه لم يخرجـه من هـو أعلى طبقـة منهما، وليـس كـذلك فقـد أخـرجـه الحسن بن سفيـان في «الأربعين» له ق ٦٥/١) وهو من الآخذين عن أحمد وابن معين (تـوفي ٣٠٣) ورواه القاسم ابن عساكر في «أربعينه» وقال: «حديث غريب»[1].

وقال الحافظ ابن رجب: تصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه منها أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي، ونعيم هـذا وإن كان وثقـة جماعـة من الأئمة وخرج له البخاري فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابتـه في السنة وتشدده في الرد على أهـل الأهواء وكانوا ينسبونه إلى أنه يتهم ويشبه عليـه في بعض الأحـاديث، فلما كـثر عثورهم عـلى منـاكـيره حكمـوا عليـه

(١) انظر المشكاة ١/٥٩.

بالضعف، فروى صالح بن محمد الحافظ عن ابن معين أنه سأل عنه فقال: ليس بشيء إنما هو صاحب سنة قال صالح: وكان يحدث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة لا يتبع عليها. وقال أبو داود: عند نعيم نحو عشرين حديثا عن النبي ﷺ ليس لها أصل. وقال النسائي: ضعيف. وقال مرة: ليس بثقة. وقال مرة قد كثر تفرده على الأئمة المعروفين في أحاديث كثيرة فصار في حد من لا يحتج به. وقال أبو زرعة الدمشقي: يصل أحاديث يوقفها الناس: يعني أنه يرفع الموقوفات. وقال أبو عروبة الخواني: هو مظلم الأمر. وقال أبو سعيد بن يونس: روى أحاديث مناكير عن الثقات ونسبه آخرون إلى أنه كان يضع الحديث، وأين كان أصحاب عبدالوهاب الثقفي وأصحاب ابن سيرين عن هذا الحديث حتى ينفرد به نعيم، ومنها أنه قد اختلف على نعيم في إسناده فروى عنه عن الثقفي عن هشام. وروى عنه عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره، وعلى هذه الرواية يكون الشيخ الثقفي غير معروف عنه. وروى عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره، فعلى هذه الرواية. فالثقفي رواه عن شيخ مجهول، وشيخه رواه عن غير معين فتزداد الجهالة في اسناده. ومنها أن في اسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري، ويقال فيه يعقوب بن أوس أيضا. وقد خرج له أبو داود والنسائي وابن ماجة حديثا عن عبدالله بن عمرو ويقال عبدالله بن عمر، وقد اضطرب في إسناده، وقد وثقه العجلي وابن سعد وابن حبان. وقال ابن خريمة: روى عنه ابن سيرين مع جلالته وقال ابن عبدالبر: هو مجهول. وقال الغلابي في تاريخه: يزعمون أنه لم يسمع من عبدالله ابن عمرو وإنما يقول: قال عبدالله بن عمر: فعلى هذا تكون رواياته عن عبدالله بن عمرو منقطعه والله أعلم[1].

---

(١) جامع العلوم والحكم ٣٦٤/٣٦٥.

الحديث الثاني والأربعون

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «قالَ الله تعالى: يا ابنَ آدَمَ إنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوتَني غَفَرْتُ لَكَ على ما كانَ مِنْكَ ولا أُبَالي يا أَبْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَني غَفَرْتُ لَكَ يا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خَطايا ثُمَّ لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً»[1].

منزلة الحديث:

الحديث عظيم الشأن، لأنه دل على عظم شأن التوحيد، وعظم الأجر الذي أعده الله للموحدين، كما دل على سعة مغفرة الله لعباده.

كما فيه ترغيب عظيم بالإستغفار والتوبة، والإنابة إليه سبحانه وتعالى.

نبذة عن آدم عليه الصلاة والسلام:

قوله ﷺ «قال الله تعالى: يا ابن آدم»

آدم هو أبو البشر، سبب تسميته بهذا الإسم، كما قال الحافظ ابن حجر: «وآدم اسم سرياني وهو عند أهل الكتاب آدام باشباع فتحة الدال بوزن خاتام، ووزنه فاعال امتنع صرفه للعجمة والعلمية وقال الثعلبي: التراب

---

(١) قال النووي: رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح حسنه الألباني انظر السلسلة ١٢٧ والمشكاة ٤٣٣٦. وتخريج الترغيب ٢/٢٦٨ وصحيح الجامع/ ٤٢١٤.

بالعبرانية آدام، فسمى آدم به وحذفت الألف الثانية. وقيل هو عربي جزم به الجوهري والجوالبقي وقيل هو بوزن أفعل من الأدمة، وقيل من الأديم لأنه خلق من أديم الأرض وهذا عن ابن عباس ووجهوه بأنه يكون كأعين ومنع الصرف للوزن والعلمية وقيل هو من أدمت بين الشيئين إذا خلطت بينهما لأنه ماء وطينا فخلطا جميعا[1].

وآدم نبي كريم اصطفاه الله عز وجل قال تعالى: **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾**[2] خلقه الله عز وجل بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، ثبت ذلك في الكتاب والسنة، كما في حديث الشفاعة الطويل فيأتون آدم فيقولون: «ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك»[3] وعلمه أسماء كل شيء، قال تعالى: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾**[4] ذكر لنا ربنا تبارك وتعالى قصته مع إبليس، وكيف وسوس له الشيطان وأوقعه بمعصيته الله، فجاءه بأسلوب فيه لين وترغيب **﴿وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾**[5] أقسم لهما على صدقه بنصحه لهما، وقال تعالى: **﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾**[6] هذه أساليب إبليس بدعوته الناس إلى الضلال، والبعد عن منهج الله، يرغب مدعوية ويدخل عليهم من أبواب الضعف فيهم، حتى يوقعهم بمعصية مولاهم ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا أوقعهم تبرأ منهم

---

(١) الفتح جزء ٧ ص ١٧١.
(٢) آل عمران: ٣٢ ـ ٣٣.
(٣) صحيح رواه أحمد انظر العقيدة الطحاوية بتحقيق الألباني ٢٥٤.
(٤) البقرة: ٣١.
(٥) الأعراف: ٢٠/٢١.
(٦) طه: ١٢٠.

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾[1].

هذا هو موقفه يوم الدين، فعلى العبد أن يحذر من أساليبه، وطرقه فالله تبارك وتعالى ما ذكر لنا ذلك إلا للعبرة والعظة والحذر منه، وإذا حدث أن وقع العبد بالمعصية، فعليه أن يبادر بالتوبة والرجوع إلى الله فالله سبحانه واسع المغفرة كما في هذا الحديث.

لذلك رجع آدم عليه السلام إلى ربه وتاب، فتاب الله عليه قال تعالى: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾[3].

ولعل النكتة في قول الرسول في هذا الحديث «يا ابن آدم» وهو يدعو ويرغب في التوبة والإستغفار والإنابة هذا.

أسباب المغفرة:

في الحديث بيان أسباب مغفرة الله لعباده، وهي كالآتي:

١ ـ الدعاء:

قوله ﷺ إنك ما دعوتني.. قال العلماء: ما مصدرية ظرفية أي مادمت تدعوني وترجوني يعني مدة دعائك ورجائك.. غفرت لك ولا أبالي أي والحال أني لا اتعظم مغفرتك وردت كلمة الدعاء في القرآن لمعاني متعددة منها

---

(١) إبراهيم: ٢٢.
(٢) الأعراف: ٢٣.
(٣) طه: ١٢٢.

السؤال كما قال تبارك وتعالى: ﴿**ادعوني استجب لكم**﴾[1] والدعاء في المعنى الشرعي كما يعرفه البعض، الإبتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير، والتضرع إليه في تحقيق المطلوب وإدراك المأمول.

أ ــ أمرنا بالدعاء:

أمرنا الله عز وجل بدعائه وسؤاله، قال تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾

فالدعاء عبادة وقربة.

بين صلوات الله وسلامه عليه بأن الله يغضب على من لا يسأله «من لم يسأل الله يغضب عليه»[2].

ب ــ الترغيب بالدعاء:

كما رغبنا رسول الله ﷺ بالدعاء: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها «قالوا: اذن نكثر. قال «الله أكثر»[3].

وقال ﷺ «إن ربكم حيي كريم، يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفرا»[4].

---

(١) غافر: ٦٠.
(٢) رواه الترمذي وغيره وهو حسن.
(٣) انظر المشكاة رقم ٢٢٥٩.
(٤) صحيح الجامع رقم ٢٠٦٦.

٥ ـ من أحكام الدعاء[١]:

والدعاء يكون سببا لمغفرة ذنوب العبد، إذا راعى شروطه وابتعد عن موانعه، لذلك ينبغي أثناء الدعاء بالمغفرة أن يكون القلب حاضرا، يعي ما يقول ومن يخاطب، قال ﷺ أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[٢] وكذلك أن يرجو الإجابة وان يعزم بالمسألة، ولا يقول اللهم اغفر لي إن شئت قال ﷺ: إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ولا يقل اللهم إن شئت فاعطي، فإنه الله لا مستكره له»[٣] لذلك ينبغي الإلحاح بشدة في الدعاء وإظهار الفقر له سبحانه فإنه لا ملجأ ولا منحى منه إلا إليه وأن لا يرجو مغفرة ذنوبه من غير ربه سبحانه.. قال سبحانه ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾[٤].

الرجاء والخوف:

قوله ﷺ: «ورجوتني» الرجاء كما يقول الحافظ في الفتح: إن من وقع منه تقصير، فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنوبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور»[٥].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا اعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»[٦].

---

(١) سبق بيان بعض ما يتعلق بالدعاء اثناء شرح الحديث العاشر.
(٢) انظر صحيح الجامع رقم ٢٤٣.
(٣) شرح مسلم كتاب الذكر والدعاء ٥/٥٣٦.
(٤) إل عمران: ١٣٥.
(٥) الفتح كتاب الرقاق ٨١/١٤.
(٦) أخرجه الترمذي.

لذلك وردت آحاديث كثيرة تشتمل على الوعد والوعيد المقتضيين الخوف والرجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقة كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار»[١]. . . قال الحافظ رحمه الله. . . فمن علم أن صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه، والإنتقام ممن أراد أن ينتقم منه لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة وملازمة الطاعة ولكانت قليلة[٢].

فينبغي للمسلم أن يكون بين جناحي الرجاء والخوف كما قال تعالى ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾[٣].

أ ـ القنوط من الكبائر:

في هذا الحديث القدسي، يفتح الله عز وجل أبواب مغفرته على مصراعيها للمذنبين، الذين أسرفوا بارتكاب الذنوب والمعاصي والتقصير فى أداء الواجبات حتى لا يقنطوا ولا ييأسوا من رحمته ومغفرته سبحانه، لأن القنوط من رحمته من الكبائر، قال الله جل جلاله: ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[٤].

قال القرطبي معقبا على هذه الآية: (دليل على أن القنوط من الكبائر وهو اليأس)

قال تعالى: مخبرا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قال ومن يقنط من رحمة

---

(١) البخاري كتاب الرقاق ١٨٢/٧.
(٢) الفتح كتاب الرقاق ٨٣/١٤.
(٣) الإسراء: ٥٧.
(٤) يوسف: ٨٧.

ربه إلا الضالون﴾[1].

وقال تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾**[2].

ففي الآية نهي عن القنوط، والنهي يقتضي التحريم إذا لم يصرفه صارف للكراهة وهذه الآية نزلت، كما قال ابن عباس إن أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا ﷺ فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن وهو يخبرنا بإن لما عملنا كفارة فنزل[3] **﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾**[4] ونزل **﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا..﴾**.

ب ـ معنى «استيأس الرسل» الآية:

وهنا لابد من بيان معنى الآية قال الله: **﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾**[5] حتى لا يلتبس الأمر، ويظن أن فيه تعارض بين ماقدمت وبين هذه الآية. فمعنى الآية: **﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾** قال القرطبي: أي يئسوا من إيمان قومهم[6] وعن ابن عباس في قوله ـ قد كذبوا ـ قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم»[7] فليكن هو المعتمد في تأويل ماجاء عن ابن عباس في ذلك وهو اعلم بمراد نفسه من غيره.

---

(١) الحجر: ٥٥.
(٢) الزمر: ٥٣.
(٣) القرطبي جزء ١٣ ص ٧٦.
(٤) الفرقان: ٦٨.
(٥) يوسف: ١١٠.
(٦) القرطبي ٩/٢٧٥.
(٧) رواه النسائي وقال الحافظ إسناده حسن الفتح ٩/٤٤٠.

وقالت عائشة رضي الله عنها في تفسيرها «هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك[1] .

فالرسل - عليهم السلام - معصومون ومنزهون من أن ييأسوا من رحمة الله، أو يظنون بالله عز وجل غير الحق. هذا شرح موجز للآية ومن أراد التوسع فليرجع إلى فتح الباري فقد بسط الحافظ القول في هذه القضية في كتاب التفسير[2] فهذا الحديث فيه، أن العبد مهما كثرت ذنوبه وازدادت، كما قال «لو بلغت ذنوبك عنان السماء»[3] أي لوصلت ذنوبك من كثرتها إلى السحاب، وقيل ما انتهى إليه البصر منها، ثم استغفر تجد الله غفورا رحيما، وكذلك في قصة الرجل الذي قتل مئة نفس شاهد على سعة مغفرة الله لعباده، لذلك لا يحل للمسلم أن ييأس من رحمة الله سبحانه وتعالى .

٣ ـ الاستغفار وإن عظمت الذنوب

قوله ﷺ «ثم استغفرتني»

الإستغفار كما يعرفه العلماء استفعال من الغفران، وأصله الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عما يدنسه، وتدنيس كل شيء بحسبه، والغفران من الله للعبد أن يصونه من العذاب. وقيل الاستغفار هو طلب المغفرة من الله، وستر الذنوب والتجاوز عنها ووقاية شرها.

---

(١) الفتح ٩/٤٤٠.
(٢) الفتح كتاب التفسير ٩/٤٣٨.
(٣) صحيح الجامع ٤٢١٤.

ـ وجوب الإستغفار من الذنوب

أمر الله سبحانه وتعالى بالاستغفار من الذنوب بآيات كثيرة، قال تعالى: ﴿**واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**﴾[1]ـ وقال تعالى: ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**﴾[2] ـ فيجب على العبد إذا أذنب أن يستغفر ربه عز وجل حتى يغفر له.

فضل الاستغفار من الذنوب:

اثنى ربنا تبارك وتعالى على المستغفر ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾[3] كما يبين سبحانه بأنه لا يعذب المستغفرين قال تعالى ﴿**وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾[4]. والاستغفار من أسباب نزول المطر، وزيادة القوة وكثرة البنين، ونزول الخيرات والأرزاق قال تعالى: ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ـ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا**﴾[5] ـ وقال تعالى: ﴿**ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين**﴾[6]. قال العلامة القرطبي: في هاتين الآيتين دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار.

من صيغ الإستغفار:

ثبت في السنة صيغ للإستغفار، ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، وذلك لما لها من ثواب عظيم، ولما فيها من اتباع لرسول الله ﷺ حيث هو

---

(١) المزمل: ٢٠.
(٢) النصر:
(٣) آل عمران: ١٧.
(٤) الأنفال: ٢٢.
(٥) نوح: ١٠ ـ ١٢.
(٦) هود: ٥٢.

خير من استغفر ربه عز وجل وأناب إليه. عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: سيد الإستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أو أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت، إذا قالها حين يمسي فمات دخل الجنة، أوكان من أهل الجنة، وإذا قالها حين يصبح فمات من يومه مثله[1] قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامع لمعاني التوبة كلها، استعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور[2] وعن بلال بن يسار بن زيد ـ رضي الله عنه قال: حدثني أبي عن جدي أنه سمع النبي ﷺ يقول: من قال.. استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له، وإن فر من الزحف»[3] وهذا يدل على أن بعض الكبائر تغفر ببعض الأعمال الصالحة لأن التولي من الكبائر، ولكن الكبائر التي لا توجب على صاحبها حكما في نفس ولا مال.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت «سبحانك الله وبحمده، استغفرك وأتوب إليك»[4] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[5].

اقتران الإستغفار مع التوبة:

التوبة يعرفها القرطبي: هي اختيار ترك ذنب سبق حقيقة أو تقديرا لأجل الله[6] والتوبة الرجوع عن الذنوب فكثير ما تأتي مقترنة معه قال تعالى:

---

(١) رواه البخاري كتاب الدعوات.

(٢) الفتح: ٣٤٣/١٣.

(٣) صححه الألباني رياض الصالحين ١٨٨٢ .

(٤) شرح مسلم كتاب الصلاة جزء.

(٥) صحيح انظر صحيح الجامع رقم ٣٤٨٠.

(٦) فتح الباري جزء ١٣ ص ٣٤٧.

﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه﴾[١] والتوبة لها شروط إليك بيانها:

- الإقلاع عن المعصية لقوله جلا وعلا: **﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾**[٢]
قال الحافظ عليه سحائب الرحمة: فيه إشارة إلى أن من شروط قبول الإستغفار، أن يقلع المستغفر عن الذنب، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب وإذا كانت التوبة متعلقة بحق الله يكفي فيها الترك، وأداء الكفارة أو القضاء إن وجدتا.[٣]

- الإخلاص بترك الذنب لله عز وجل، لأن ترك الذنب خشية أن يعيره الناس أو لغيره، لايكون تائبا إتفاقا، والحجة في ذلك **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**[٤] والحديث المشهور «إنما الأعمال بالنيات»[٥].

- أن يبرأ من حق صاحبها، إذا كانت المعصية تتعلق بحقوق العباد، وذلك لقوله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٦].

- أن يعجل بالتوبة قبل وصول الروح الحلقوم، فإن في هذه الحالة لا تقبل لقوله صلوات الله وسلامه عليه «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر»[٧] وقال تعالى: **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا**

(١) المائدة: ٧٤.
(٢) آل عمران: ١٣٥.
(٣) فتح الباري جزء ١٣ ص ٣٤٣.
(٤) البينة: ٥.
(٥) البخاري كتاب بدء الوحي ٢/١،
(٦) البخاري كتاب المظالم ٩٩/٣.
(٧) انظر صحيح الجامع ١٨٩٩.

حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾[1] .

- إن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها، لقوله ﷺ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[2].

- أن يندم على فعل المعصية، ويعزم أن لا يعود إليها أبدا قال تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾**[3] قال قتادة والتوبة النصوح الصادقة وقال الكلبي: التوبة ـ النصوح الندم بالقلب والإستغفار باللسان، والإقلاع عن الذنب، والإطمئنان على أنه لا يعود[4].

٤ ـ التوحيد :

قوله ﷺ «انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة» لو لقي العبد ربه جل وعلا بملء الأرض ذنوبا وخطايا لا يشرك بعبادته أحدا، غفر الله ذنوبه وتجاوز عنها، فالتوحيد من أعظم أسباب مغفرة الله لعبده جل وعلا والشرك هو ان يصرف العبد العبادة التي اختص الله بها نفسه لغيره، لولي أو لرسول او ملك أو غير ذلك، فمثلا الدعاء من العبادات التي لا تصرف لغير الله، فمن دعا غير الله في كشف ضر فيه أو غير ذلك وقع بالشرك. كما قال بعضهم :ـ

يا سيد يا حبيب الله جئت إلى ... أعتاب بابك أشوك البرح من سقمي
يا سيد قد تماد السقم في جسدي ... من شدة السقم لم اغفل ولم أنم
قد عشت دهرا مديدا كله عمل ... واليوم لا شيء غير القول والقلم
يا سيد طال شوقي للجهاد فهل ... تدعو لي الله عودا عالي العلم

---

(١) النساء: ١٨.
(٢) مختصر مسلم رقم ١٩٢٠.
(٣) التحريم: ٨.
(٤) القرطبي ١٨/١٩٨.

فهو يدعو رسول الله ﷺ، والله عز وجل يقول: «ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون»[1]

وكذلك نقرأ لقطب آخر يبرر ويترضى على ما يقع به ملايين من المسلمين من شرك الأولياء، واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة، والدعاء فيها عند الشدائد.

ويقول كذلك «فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم ومقاماتهم»

ويقول كذلك «وأقول للمتشددين في الإنكار: هونا فما في الأمر من شرك ولا وثنية ولا إلحاد» فهذا هو الشرك الذي حذر منه خليل رب العالمين أمته يبرره أهل الجبب الإسلامية للمسلمين على أنه دين وقربة فإنا لله وإنا اليه راجعون.

الترهيب من الشرك:

- الشرك من أعظم الظلم وأعظم ما عُصي به رب العالمين - قال تعالى: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾**[2] وعاقبة الظلم وخيمة في الدنيا الذل والهوان والشقاء وفي الآخرة عذاب الهون.

- حرم الله عز وجل الجنة على من أشرك بعبادته أحدا **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾**[3].

- لا يغفر الله عز وجل لمن أشرك به قال تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك**

---

(١) الأحقاف: ٥.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) المائدة: ٧٢.

به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1]

- الشرك سبب في بطلان الأعمال قال تعالى : **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾**[2].

وهذه لآية كقوله جل وعلا **﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾**[3] فالشرط لقبول العمل الصالح أن يكون صاحب العمل موحدا فالصدقة والبذل من المشرك لا قيمة له عند الله ولا ينتفع به صاحبه يوم الدين.

عن عائشة قالت : يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين». حتى نصرة الدين وقول كلمة الحق لا تنجي صاحبها من نار جهنم إن كان مشركا لقد نصر أبو طالب محمداً، ودافع عنه حتى يقول.

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا.
فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيوناً
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا.
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا.
لولا الملامة أو حذار سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكنه لم ينج من النار، توضع تحت أخمص قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه في نار جهنم فيجب على العبد أن يحذر من الشرك، حتى ينجو يوم لا ينفع مال ولا بنون وأن يعمل بأخذ أسباب المغفرة، التي بينها رسول الله ﷺ بهذا الحديث حتى يغفر الله له ذنوبه.

---

(١) النساء ١١٦.
(٢) الزمر ٦٥.
(٣) الأنعام ٨٨.

الفهـرس